التفكك الأسري

الأسباب... والحلول

لفضيلة الشيخ
أحمد عبد الرحمن السعدني
من علماء الأزهر الشريف



Tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: التفكك الأسري الأسباب والحلول

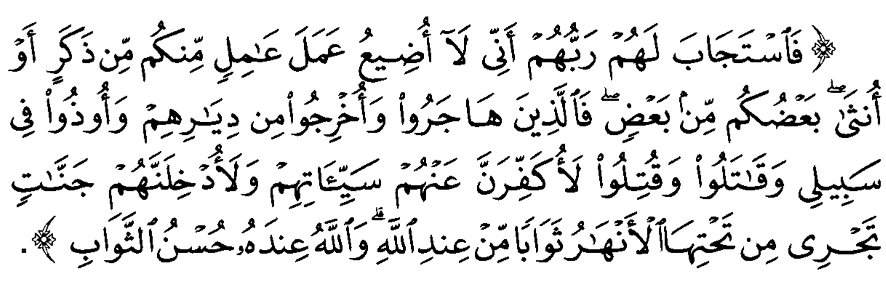
إعـــــداد: أحمد عبد الرحمن السعدني

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١١







﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

[آل عمران:١٩٥]

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٢].



الإهداء

إلى رجال الدعوة الإسلامية الذين يدعون إلى الله بمنهج الاعتدال والوسطية ويلتزمون بقوله ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل:١٢٥].

إلى أمي الحبيبة التي علمتني أن أكون معطاءً وصولاً وإن حرمني الآخرون وقطعوني.

إلى القلب النابض بالحب والحنان في كل بيت.

إلى الزوجة والأم والأخت المسلمة حتى تتعرف على جزء من دورها في بناء البيت السعيد.

إلى شهداء انتفاضة الأقصى الذين تزفهم الملائكة إلى الفردوس الأعلى.

إلى الخنساء وأسماء ونسيبة التي عادت من جديد مدرسة تخرج العلماء والشهداء.

إلى دعاة الإسلام الحنيف الذين لبُّوا النداء، وأجابوا الدعاء، وحملوا اللواء، إلى الإسلام الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة وبالوسطية المنضبطة بشرع الله.

إلى المهجة الحمراء شهداء ثورة ٢٥ يناير إلى الفردوس الأعلى.

* * *

مقدمــة

الحمد لله الذي شرع وحدة الأصل البشري، وخلق الأنثى من الذكر، وأمر بالتقوى في العلاقة بينهما، وجعل هذه العلاقة تحت رقابته، ورتب على الإخلال بها مسؤولية في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾. [الحجرات:١٣]

وبتلك الشريعة الغراء أُلغي التميز والتمييز والتعالي والكبر والتظالم، وأُلغيت جميع الفوارق القسرية التي لابد للإنسان في وجودها أو نفيها، كاللون والعرض والجنس والذكورة والأنوثة، والقوم، والنسب، والعشيرة، والقبيلة، لأنها جميعًا أمور قسرية، لابد للإنسان في إيجادها أو نفيها لذلك فلا يمكن عقلاً ولا شرعًا أن تكون ميزانًا للتفاضل، فكم من امرأة صالحة عالمة خيرة تفضل وتتميز عن كثير من الرجال الجهلة والفاسقين الطالحين، كما جعل سبحانه وتعالى أهلية المرأة كاملة كأهلية الرجل سواء بسواء واعتبرها محلاً للخطاب والتكليف والاستجابة، فقال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٧٩].

وجعل ميزان الكرامة ومعيارها كسبيًا، فالأكرم هو الأتقى، وليس حكرًا على أحد، كما جُعلت هذه العلاقة منبت الإنسانية وسبيل امتدادها وتشكلها وانتشارها من رحم واحد ورتبت مسؤولية كبرى على العبث بالأرحام والظلم في العلاقات الإنسانية، واعتبرت الأسرة الأساس الأول أو الوحدة الأولى في هذا البناء الإنساني، كما اعتبرتها المركز الرئيسي للتدريب على العلاقات الاجتماعية وتوريث القيم والنقل الثقافي.

فالأسرة هي النواة ومحضن النمو والتنمية والتنشئة والتربية، فمنها ينمو الفرد ويمتد وفيها تنمو الخصائص الفردية والاجتماعية وتحدد قسمات الشخصية الإنسانية وتزرع البذور الأولى لمستقبل الحياة السلوكية.

والصلاة والسلام على الرسول المثل الأعلى، القدوة في مجال الزواج والأبوة والجوار والصداقة... إلخ، القائل: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**) أخرجه الترمذي.

وبعد،

فالكتاب الذي نقدمه في(التفكك الأسري)، محاولة في الاتجاه الصحيح - فيما نرى- وإن كانت ما تزال تحبو على الطريق الطويلة، فقد توفق في بعض مسعاها وقد يعوزها بعض التوفيق، وحسبنا أننا فتحنا ملفًا يعتبر من أخطر الملفات إن لم يكن أخطرها؛ لأن الأسرة هي الحضن الباقي وأن الهزيمة عندها تعتبر الحالقة فهي الوحدة الاجتماعية الأولى، وهي الرحم والمحضن الذي تتخلق فيه جميع الأنشطة والفعاليات، والأسرة المسلمة على ما أصابها ما تزال مستعصية عن التذويب رغم المحاولات الكثيرة.

ولا نذيع سرًا إذا قلنا: بأنها كانت تاريخيًا المعقل والرباط الذي احتفظ بالقيم والتعاليم الإسلامية بعد أن أُفسدت المؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية والسياسية وأريد للأجيال أن تخرج على حضارتها ودينها.

إن الأسرة المسلمة استطاعت أن تحتفظ بالخمائر الأصلية للقيم الإسلامية، لما يقرب من مائة سنة في القرن الماضي في أكثر من بلد من بلدان العالم التي اجتاحتها رياح السموم والاقتلاع وتعاود نشرها من جديد، بعد أن أريد لبعض المجتمعات استبدال قيمها بالتغريب والماركسية والعلمنة، فهل ندرك دور الأسرة ونعاود البناء لهذا الحضن بدراسات

موضوعية تبصر الجوانب جميعًا، وتحيط بها بعلم الأمور المطروحة حتى لا تكذبها أو تكذب على أنفسها: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩].

إن إعادة تشكيل دور الأسرة وفق الكتاب والسنة ووفق السيرة واسترداد موالاتها وولايتها هو مساهمة حضارية وإنسانية وعلاج لأزمة الحضارة الإنسانية استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [التوبة:٧١].

ولله الأمر من قبل ومن بعد، والله ولي التوفيق.

وكتبه

فضيلة الشيخ

أحمد عبد الرحمن السعدني

من علماء الأزهر الشريف

* * *

الفصل الأول

اهتمام القرآن والسنة بالأسرة المسلمة

اهتمام القرآن والسنة بالأسرة المسلمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسلك سبيله إلى يوم الدين، وبعد:

فمنذ أن سقطت أعلام الخلافة الإسلامية في مطلع القرن الماضي على يد أعداء الإسلام، سواء الذين انتسبوا زُورًا إلى الإسلام أو من أعدائه التقليدين من اليهود ومن شايعهم من المعسكر الغربي والغارات تترى على العالم الإسلام بلا هوادة، وكان في مرمى تلك الغارات وفي السويداء منها(الأسرة المسلمة)، وقوامها المرأة، فكان ذلك الاستهداف لعفاف المرأة وحيائها والإلحاح على إخراجها من محض قوامة الرجل ورعاية الفراخ الزغب كي لا يشبوا على الفضيلة والعزة والأخذ بأسباب القوة جميعًا، ومن ثم يكون سلخ الأمة من هويتها وإخراجها من دينها بداية الطريق نحو هيمنة أعداء الأمة - خاصة اليهود - للتمكين لهم في الأرض ومن ثم لم يجد أعداء الإسلام من يعينهم على مخططاتهم الأثيمة تلك سوى المجرم الآبق مصطفى كمال - الملقب زورًا وبهتانًا بأتاتورك وهي كلمة تعني أبا الأتراك- ، وشايعه في ذلك مارق آخر أفتى علماء الإسلام بإخراجه من الملة وهو (بو رقيبة)، ومن سار على نهجه هناك، وما زال العلماء الأذلاء المارقون المنبطحون إزاء قوى الاستكبار والتربص والكيد للإسلام والمسلمين.

وفي خضم الصراع الدائر بين الإسلام وأعدائه، نالت المرأة المسلمة حظًا وافرًا من الهجوم عليها بقصد إفسادها وإبعادها عن دينها وفي بداية الأمر رفع أعداء الإسلام شعارات بَرَّاقة خادعة تدعو "لتحرير المرأة"، وتعالت صيحاتهم في كل بلد مسلم تنادي بتحطيم القيود التي تكبل المرأة، وبكسر الأغلال التي تعوق حركتها وتسحق إنسانيتها وفي حملتهم هذه

طالبوا بضرورة مساواة المرأة بالرجل، ودعوا إلى اختلاط النساء بالرجال، وتحطيم كل الحواجز التي تحول دون ذلك، ثم زينوا للمرأة المسلمة كل وسائل الإغراء والإغواء وفتحوا أمامها كل أبواب الفتنة والغواية لتنسلخ من دينها وتبتعد عن قيمها وأخلاقها، وكان أخطر ما فعلوه تشجيع النساء على التبرج والسفور، وتحريضهن على نزع الحجاب إذ حين ينزع الحجاب تتحرك كوامن الغرائز، وتهبط المرأة جسدًا ونفسًا وكرامة، تعرض سوءتها على شواطئ البحار وفي منتديات الليل، وفي حفلات الرقص وسهرات العري، ومسابقات الجمال.

وحين يكون الأمر كذلك تأسن النفوس والقلوب، وتتعفن وتصبح مرتعًا خصبًا لديدان الرغبات الهابطة والشهوات البهيمة وفي ذلك الفساد كل الفساد ومن العجيب ألا يتمعر وجه أحد من حكام المسلمين المتغربين عن الإسلام عقيدة والتزامًا وانتهاجًا، بل تراهم المهللين لمهرجانات العري والخلاعة، والتهتك، والمجون، والإعلام الهابط، والفن الفاجر، ويشايعهم في ذلك بعض من خلعوا عمائم العلماء وارتدوا عمائم السلطة، وتحولوا إلى موظفين متسولين يزينون الحرام ويعينون على إشاعة الفاحشة، وخلع حجاب الطهر والعفاف بفتاواهم التي لم يرعوا فيها يومًا قريبًا سيقفون فيه بين يدي الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وقد أفاضوا وكتبوا وأذاعوا في كتبهم وندواتهم ومؤتمراتهم مطالبين بحقوق المرأة في الوقت التي أصبحت فيه عضوة في مجلس الشعب ومجلس الشورى، وتبوأت في الدولة مراكز ووزارات ووصلت إلى مركز وضع القوانين والتشريعات في أهم أمور الدولة، ومع هذا لا زالت الأصوات العالية تطالب بحقوق المرأة، وكأنما فرغت الأيدي من كل حقوق النساء والرجال وغيرهم على السواء، ولم يبق أحد ناقص الحقوق إلا المرأة، ولم يبحث باحث، ولم يتكلم متكلم ولم يناد منادٍ، بواجبات المرأة الأساسية، أين هي من أدائها كاملة نحو نفسها وبيتها وأسرتها

ومجتمعها وأمتها ؟ سكتت كل الأصوات وأمسكت جميع الأقلام، ولم يدر هؤلاء المفكرون والكتاب الذين يتصدرون للدفاع عن حقوق المرأة المهضومة، أن المرأة تبوأت مكانة لم تصل إليها الآن من أربعة عشر قرنًا أو تزيد حين نزلت أول آية من القرآن الكريم تأمر الناس جميعًا في شخص الرسول ﷺ.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥].

وهذا الأمر شامل للناس جميعًا رجالهم ونساؤهم.

ولو فكروا بعين البصيرة والعقل المجرد من الهوى لعلموا أن في تلك الآيات الخمس كل الحقوق والواجبات على الرجل والمرأة سواء.

ومن خلال ما سنبينه بعد ذلك تفصيل الأهمية العظمى لصلاح الأسرة المكونة من الرجل والمرأة وأثر هذا الصلاح في سلامة المجتمع الذي بسلامته تسلم الأمة من كل ما يعترض تقدمها ونهضتها.

الحاجة الملحة في إقامة الأسرة:

أرادت حكمة الله الإلهية العليا بعد خلق السماوات - وإعدادها بكل ما تتطلبه الحياة على الأرض - أن يجعل هذه الحياة قائمة على الأسرة فقال جل شأنه مخاطبًا ملائكته: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:٣٠-٣٥].

ومن الاستعراض المجمل لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة يتضح لكل منصف منزلة الأسرة التي أراد الله أن تكون الحياة

على أساسها في الأرض [(١)].

وسوف نستعرض بعون الله وتوفيقه نماذج من آيات القرآن الكريم ثم من الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت بها توجيهات من أجل الأسرة ومنها يتضح أهمية الأسرة وضرورة سلامتها وصلاحها حتى يسلم المجتمع، وتصلح الأمة، وتأخذ مكانها تحت الشمس كما أراد الله لها أن تكون: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

أولا: من القرآن الكريم:

١ - قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾.

[النجم:٤٥، ٤٦]

٢ - قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٨٩].

٣ - قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٥- ٥٨].

٤ - قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر:١١].

٥ - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا

(١) لذلك نجد أن الأسرة ذكرت في (٤٤) سورة بمكة المكرمة وفي (١٨) سورة في المدينة المنورة فيكون المجموع (٦٢) سورة من سور القرآن الكريم البالغ عددها (١١٤) سورة، وعدد الآيات التي وردت في السور المكية (٥٥٠) آية، وعدد الآيات التي وردت في السور المدنية (٢٣٦) آية، فيكون المجموع (٧٨٦) آية.

كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾. [الإسراء:٢٣، ٢٤]

٦- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النحل:٧٢].

٧- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

٨- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

٩- قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد:٢٢، ٢٣].

١٠- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون:٩].

ثانياً: من السنة المطهرة:

- عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:(**إذا تزوج العبد استكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي)**.

رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم (٢/١٦١)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

- عن عبد الله بن عمر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:(**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة)**. رواه الإمام مسلم برقم (١٤٦٧).

- عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:(**تنكح المرأة لأربع: لحسبها ولمالها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين ترتب يداك)**.

البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

- عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:(**إذا أتاكم من ترضون**

دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض).

رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم والبيهقي في السنن عن أبي حاتم المزني، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٧٠).

- عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(**إذا صلت المرأة خمسها** - أي صلواتها الخمس - **وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت).**

رواه ابن حبان في صحيحه (٤١٦٣)، وقال محققه الشيخ شعيب: حديث صحيح، وقد روى أحمد والطبراني نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف كما عزاه في الجامع الصغير إلى البزار عن أنس، والطبراني عن عبد الرحمن ابن عوف وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٦١).

- عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(**ليتخذ أحدكُم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة).**

رواه أحمد (٢٨٢/٥)، والترمذي، وابن ماجه عن ثوبان، صحيح الجامع (٥٢٣١).

- عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(**تزوجوا الولود فإني مكاثُر بكم الأنبياء يوم القيامة).**

رواه الإمام أحمد (٢٤٥/٣)، وقال في إرواء الغليل: صحيح (١٩٥/٦).

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(**ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة).**

رواه أبو داود والترمذي، وابن ماجه، والدارقطني وصححه الحاكم.

- روى الإمام البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك ﷺ: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أُخبروا كأنهم تقالوها- وجدوها

قليلة-، فقالوا: وأين نحن من النبيﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا.

وقال آخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أما أنا فأعتزل النساء فلا أتزوج.

فجاء رسول الله ﷺ فقال:(**أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**).

وقال ﷺ:﴿**خير نسائكم الولود المواسية المواتية، إذا اتقين الله وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم**﴾.

وقال ﷺ:﴿**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كراهبانية النصارى**﴾.

وقال ﷺ:﴿**ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**﴾.

* * *

الفصل الثاني

الأسرة المسلمة...
معناهـــا ومقوماتهـــا

مفهوم الأسرة المسلمة

الأسرة: كيان اجتماعي يقوم على ارتباط رجل وامرأة برباط شرعي معلن تترتب عليه حقوق وواجبات على كل منهما للآخر، وهذا الرباط هو الزواج الذي شرعته الديانات السماوية كلها، وباركته واعتبرته السبيل الوحيد لتكوين الأسرة المشروعة، وهو يسير مع سنة الله العامة في الكون: سنة الازدواج في كل شيء: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات:٤٩].

هذه الزوجية أو هذا الازدواج في الكون: أن يلتقي الشيء ومقابله كأن يلتقي الذكر والأنثى ويلتقي الموجب والسالب في الكهرباء، وغيرها، حتى﴿الذرة﴾ وهي قاعدة البناء الكوني كله، تتكون من إلكترون وبرتون، ونواة، والالكترونات شحنة كهربية موجبة، والبرتون مقابله له: شحنة كهربية سالبة.

ولهذا باركت الكتب السماوية كلها زواج الرجل بالمرأة؛ لأنه يسير مع الفطرة السوية، ومع قاعدة الزوجية المبثوثة في الكون كله، فكل ما في الكون أزواج، ولا واحد إلا الله جل جلاله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس:٣٦].

ولهذا جاء في سفر التكوين من أسفار التوراة:﴿أن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بزوجته فيصير الاثنان جسدًا واحدًا﴾ (١).

وأكد ذلك المسيح عليه السلام لتلاميذه أيضًا (٢).

فالأسرة الصالحة هي التي تقوم على﴿الزواج المستقر﴾، الذي يثمر التآلف والمودة وهو هدف من أهداف الحياة الإسلامية الطيبة، وهو عنصر أساسي لاستقرار حياة الأفراد والأسر والجماعات.

---

(١) سفر التكوين (١- ٢٤).

(٢) انظر: إنجيل متى (١٩/٤- ٦)، وإنجيل مرقص (١٠/٦- ٩).

ولهذا حرص الإسلام عليه ووضع له من الأسس الفكرية والأخلاقية والتشريعية ما يكفل إقامة بنائه واستمرار عطائه وحراسته من عوامل التفكك والانهيار.

فمن الحقائق التي لا خلاف عليها بين علماء الاجتماع والتربية والفكر الإسلامي: أن الأسرة عماد المجتمع وقاعدة الحياة الإنسانية، وأنها إذا أسست على دعائم راسخة من الدين والخلق والترابط الحميم؛ فإنها تكون لبنة قوية في بنيان الأمة أو خلية حية في جسم المجتمع، ومن ثم كان صلاح الأسرة هو السبيل لصلاح الأمة، وكان فسادها أو انحلالها مناط فساد المجتمع أو انهياره.

ولأهمية الأسرة البالغة كان الاهتمام الكبير الذي أولته التشريعات الإلهية والقوانين الوضعية لها، خاصة الشريعة الإسلامية التي بُعث بها خاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام للناس كافة، فقد قرر الإسلام المبادئ والقواعد التي تؤسس عليها الأسرة والتي تكفل لها حياة فاضلة تقوم على معاني المودة والرحمة والسكن والوئام والسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وظلت الأسرة المسلمة عبر مراحل التاريخ الإسلامي تتمتع بقسط وافر من القيم الإسلامية قيم الترابط والتراحم والتعاطف والتآلف والتكافل، وقيم الإحسان والتعاون على البر والتقوى قيم احترام الكبير، والعطف على الصغير، قيم الإيثار والمحبة، والكلمة الطيبة، وصلة الرحم، ومن ثم كان لها دورها الفاعل في حياة الأمة والمجتمع وقوتها ونهضتها، وكان لها القيادة والريادة والسبق الحضاري الذي أنار للغرب طريق العلم والتقدم.

وفي العصر الحديث هبت على الأسرة رياح التغريب، وساعد على ذلك تخلف العالم الإسلامي وخضوعه للاحتلال الغربي ولم يكن هذا

الاحتلال غزوًا للأرض وانتهابًا للثروة، وامتهانًا للكرامة فحسب، وإنما كان إضافة إلى هذا غزوًا للعقول والموروثات، والتقاليد والأعراف، وسلبًا للشخصية المسلمة مما زحزح الأسرة المسلمة عن خصائصها وقيمها، ففقدت قيم الترابط والتراحم والتكافل والتعاطف والتآلف.

ومن هنا ظهرت مشكلة التفكك الأسري التي باتت تنذر بشر مستطير، إذا لم يسع أهل الفكر والذكر والعقلاء والعلماء إلى وضع الحلول العملية لها، حتى تجتاز الأسرة المسلمة مرحلة التذبذب، والحيرة بين القيم الإسلامية والقيم الوافدة بما تمثله من أعراف ومفاهيم غريبة تنأى بهذه الأسرة عن هويتها وأصالتها.

فكان لابد أن يعي المسلم الأسس والمقومات التي تقوم عليها الحياة الزوجية الطيبة المستقرة وسنحاول إن شاء الله أن نلقي عليها الضوء لنبين في الصفحات التالية:

أولا: المنهج الإسلامي للحفاظ على الأسرة وعلاج مشكلاتها

يتركب هذا المنهج من عدة دعائم أهمها:

الرغبة المتبادلة والاختيار المطلق والرضا الكامل، فالحياة الزوجية ينبغي أن تتحقق لها هذه الدعامة حتى يمكن أن تكون حياة مستقرة، يأنس كل طرف فيها إلى شريك حياته ورفيق عمره، ولهذا لا يجوز أن تزوج امرأة بغير رضاها، ولا يكره رجل إلى العيش مع امرأة ينفر منها، ولا يميل إليها، وفي هذا قال رسول الله ﷺ:﴿**لا تنكح الثيب حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تُسْتَأْذَن وإذنها الصُّمُوت**﴾ [(١)].

ويؤكد ابن القيم﴿المتوفى سنة ٧٥١هـ﴾، حق المرأة في الموافقة والرضا بقوله:﴿إن البكر العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من ملكها إلا برضاها ولا يجبرها على إخراج اليسير منه فكيف يجوز أن

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

يتصرف فيها هي بدون رضاها ومعلوم أن إخراج مالها بغير رضاها أسهل عليه من تزويجها بمن لا تريد﴾ (١).

ولهذا أنصف الرسول ﷺ المرأة خاصة، منحها حق الاختيار، ولم يقبل أن يكرهها أبوها وأقرب الناس إليها على ما يريد هو إذا كانت تكرهه وترفضه.

وفي هذا ثبت أن النبي ﷺ رد نكاح خنساء بنت خدام الأنصارية حين اشتكت إلى النبي ﷺ: أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك (٢).

وعن عائشة ﵂ أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته، وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن أُعلِم النساء، أن ليس للآباء من الأمر شيء (٣).

والمراد: أمر تزويج البنات وهن كارهات كما يفيد السياق.

وروى النسائي وغيره حديث:﴿**تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها وإن أبت فلا جواز عليها**﴾.

وبهذا أصبحت المرأة سيدة نفسها، هي التي تختار شريكها وإذا اختير لها فلابد أن توافق عليه وإلا لم ينفذ النكاح، وأما اشتراط بعض المذاهب وجود الولي في العقد فذلك لكي ينعقد الزواج برضا كل الأطراف حتى لا تعترضه القلاقل بعد ذلك، حتى أمر الرجال أن يشاوروا نساءهم في تزويج بناتهن، لأن الأم أخبر ببناتها من أبيهن، وحتى لا تعكر الأم على ابنتها صفو حياتها الزوجية إذا تم الزواج بغير رضاها، وإذا كان الرضا والرغبة المتبادلة في حياة زوجية أمرًا مشروعًا؛ فإن الرؤية مشروعة

(١) زاد المعاد، في هدي خير العباد، لابن القيم، ط صبيح (٢/٤).
(٢) البخاري (٥١٨٣)، (٦٩٤٥)، وأبوداود (١/ ٦٣٨، رقم ٢١٠١).
(٣) رواه النسائي في المجتبى، كتاب النكاح (٨٧/٦).

أيضًا ليكون هذا الرضا جديًا ومنبعثًا من شعور ورغبة وقائمًا على حقيقة قال رسول الله ﷺ للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه حين خطب امرأة:﴿**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**﴾ (١).

أي: فإنه أدعى إلى أن يبارك بينكما فتجتمعا على وفاق وخير وتتعاونا على ما فيه صلاح أمركما ومستقبلكما.

ولحرص الإسلام على أن تؤسس الأسرة على دعامة راسخة من الرغبة الصادقة كانت الخطبة مرحلة تمهيدية تسبق عقد الزواج، بحيث إذا آنس كل من الرجل والمرأة في هذه المرحلة من نفسه الاطمئنان إلى من يقترن به، قام عقد الزواج على دعامة متينة ترجى معها العشرة الحسنة والحياة الزوجية الآمنة المطمئنة.

القيم الثابتة عماد الاختيار:

يحض المنهج الإسلامي في اختيار شريك الحياة والعمر على أن يكون عماد هذا الاختيار القيم الثابتة، وعدم الاغترار بالقيم الزائلة ولذا كان الدين والخلق الطيب دعامة أساس هذا المنهج، وكان ما سوى هذه الدعامة كالجمال والحسب مساعدًا له بعد توافر عنصر الدين والخلق، فهذا العنصر هو الذي يحمي الحياة الزوجية من بوادر النشوز والإعراض، وله دوره الفاعل في التغلب على ما قد يعترض الأسرة من مشكلات تهدد أمنها واستقرارها، فضلاً عن أن يهيِّئ الجو الصالح لتربية الأبناء تربية سليمة.

والآثار كثيرة في الحض على أن يكون الاختيار في الزواج مناطه الاعتصام بحبل الله، قال رسول الله ﷺ:﴿**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**﴾.

(١) الترمذي (١٠٨٧)، النسائي (٣٢٣٥)، ابن ماجه (١٨٦٥)، والألباني في الصحيحة (٩٦).

متفق عليه عن أبي هريرة، رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

وبالنسبة لاختيار الرجال: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**﴾.

رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي في السنن عن أبي حاتم المزني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٧٠).

وكان بعض السلف يقول: إذا زوجت ابنتك فزوجها ذا دين، إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقال آخر: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها.

وكم من المآسي تقع كل يوم جراء الاختيار، فإن كل شيء يذهب ولا يبقى سوى الدين، الجمال والغنى والحسب والنسب والمناصب كلها تنفد ويبقى الخلق - يمد الحياة الزوجية - في كل لحظة بعوامل النجاح والاستقرار.

يقول أحدهم:

تزوجتها رغمًا عن أهلي، طمعًا في ثروتها التي ورثتها عن أبيها اللواء السابق، ورغبة في الارتباط بعائلة﴿ذات شأن﴾ فأخواها يعملان في وظيفة كبيرة، وكذلك أخوالها وأعمامها فهم أصحاب السلطة النافذون.

ولم أفق لنصائح أبي الفاضل إلا بعد ما خسرت كل شيء ما زادني غناها إلا فقرًا، وما نلتُ من مناصب أهلها وشقيقيها سوى الذل والإهانة.

إنني مع أول خلاف معها لعنتني ولعنت أهلي وهددتني وآذتني، وما كدت أدافع عن نفسي وأرد عني أذاها حتى انفتحت عليَّ أبواب العذاب من كل مكان، شتم، وضرب، تلفيق تهم، حتى وصل هذا الأذى إلى أبي وأخوتي، ثم أرغمت على طلاقها وتنازلت لها عن كل شيء وأنا أردد:

حسبي الله ونعم الوكيل.

وتقول أخرى:

خوفي من شبح العنوسة دفعني للارتباط به، أقنعني من حولي أنه﴿آخر قطار﴾، سوف يمر بي تخليت وقتها عن جميع شروطي، رغم علمي أنه شخص غير ملتزم، لكنني لم أكن أتوقع أن يكون بهذه البشاعة.

ولو كنت أعلم ما سوف يفعله بي هذا الرجل - إن جاز أن أسميه رجلاً لتعمدت أن تفوتني﴿جميع القطارات﴾، إنه عذاب وليس زوجًا، إن المرأة في تصوره﴿شيء﴾ للمتعة لشهر أو شهرين على الأكثر، يستبدلها وقتما تتوافر معه تكاليف زيجة من زيجات المتعة التي اعتاد عليها.

أقمت معه خمسة شهور لم يصلِّ فيها لله ركعة واحدة ولم يتحرك لسانه بذكر الله مرة واحدة، وإنما كان يبدأ يومه بمعصية وينهيه بمعصية، لقد عُدت إلى بيت أهلي وأنا في قمة السعادة لأنني تخلصت من هذا الكابوس.

- وفي قصة زواج التابعي سعيد بن المسيب المثل والعبرة فالأب سعيد - يختار زوجًا صالحًا لابنته - وإن كان فقيرًا لثقته أنه أكثر خيرًا وبركة من زوج آخر لا يعلم صلاحه ولو كان ابنًا لأحد الملوك.

يقول ابن وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت ؟

قلت: توفيت أهلي، فانشغلتُ بها، فقال سعيد: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم أردتُ أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة ؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال سعيد: أنا، فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم، ثم حمد الله وصلى على محمد ﷺ وزوجني على درهمين.

فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي، وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين ؟ فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي، وكنت

صائمًا فقدمت عشائي، وكان خبزًا وزيتًا، فإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا ؟ فقال: أنا سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم يُر أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له الرجوع عن زواجي، فقلت: يا أبا محمد، ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟ فقال: لا أنت أحق أن تُؤتى، فقال: إنك كنت رجلاً عزبًا لا زوج لك، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراها، ثم صعدت إلى السطح فناديت الجيران فجاؤوني، وقالوا: ما شأنك ؟

قلت: ويحكم، زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها إليَّ على غفلة وها هي في الدار.

فنزلوا في داري فبلغ أمي الخبر فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام، إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، تعني تزينها استعدادًا للدخول بها.

قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل النساء وأحفظهن للقرآن، وأعلمهن بسنة النبي ﷺ، وأعرفهن بحق الزوج، ومكثت شهرًا لا يأتيني سعيد بن المسيب، ولا آتيه، فلما أن كان قرب الشهر أتيت سعيدًا في حلقته فسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام، ولم يكلمني حتى تقوض - تفرق المجلس، فلم يبق غيري - فقال: ما حالك مع أهلك ؟

فقلت: خيرًا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فانصرفت إلى منزلي فوجه لي بعشرين ألف درهم.

قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجها،

وزوجها بأحد تلاميذه [1].

- ويحدثنا التاريخ أن شريحًا قابل الشعبي يومًا فسأله الشعبي عن حاله في بيته، فقال له شريح: من عشرين عامًا لم أر ما يغضبني من أهلي، قال له: وكيف ذلك ؟ قال شريح: من أول ليلةٍ دخلت على امرأتي ورأيت فيها حسنًا فاتنًا، وجمالاً نادرًا، فقلت في نفسي: أصلي ركعتين شكرًا لله ﷻ.

فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت إليها فمددت يدي نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: إن الحمد لله، أحمده وأستعينه وأصلي وأسلم على محمد وآله وبعد، فإني امرأةٌ غريبةٌ، لا علم لي بأخلاقك فبيِّن لي ما تحب فآتيه، وبين لي ما تكره فأبتعد عنه، ثم قالت: فلقد كان لك في قومك مَن هي كفء لك، ولقد كان في قومي مَن هو كُفء لي، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضوع، فقلت: أحمد الله وأستعينه وأصلي وأسلم على النبي وآله وبعد، فإنك قلت كلامًا إن ثبت عليه يكن ذلك حظك وإن تدعيه يكن حجةً عليك، فإني أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنةٍ فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها.

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي ؟

قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.

فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ومن تكره فأكره.

---

(١) القصة وردت في طبقات ابن سعد، (١٣٨/٥)، وحلية الأولياء (١٦٧/٢).

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، فمكثت معي عشرين عامًا لم أعتب عليها إلا مرة وكنت لها ظالمًا [1].

يا لها من حياة هانية وعيشة راضية.

وصدق من قال:

رغيــــفُ خُبــــزٍ واحــــدٌ   تأكلـــــــه في زاويـــــــه
وكـــــوز مـــــاءٍ بـــــاردٍ   تشربـــــه مــــن صـــــافيه
وغرفـــــــــة نظيفـــــــــةٌ   نفســـــك فيهـــــا هانيــــه
وزوجـــــــةٌ مطيعـــــــة   عينـــــك عنهـــــا راضـــــيه
وطفلـــــــة صـــــــغيرة   محفوفـــــــةٌ بالعافيـــــــه
واختـــــــارك الله لـــــــهُ   حتـــــى تكـــــون داعيـــــه
خـــير مـــن الـــدُّنيا ومـــا فيهـــا   وهـــــي لعمـــــري كافيـــــه

وقد حذر الرسول ﷺ من الزواج من المرأة الحسناء التي لا تتمتع بالدين والخلق العظيم، لأنها نشأت في بيئة فاسدة قال:﴿**إياكم وخضراء الدمن**﴾، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال:﴿**المرأة الحسناء في المنبت السوء**﴾، أخرجه الدارقطني وقال: تفرد به الواقدي وهو ضعيف.

ولأهمية اختيار الزوجة نجد عثمان بن أبي العاصي التقي، يوصي أولاده باختيار النطف وتجنب عرق السوء فيقول لهم:﴿يا بني، الناكح مغترس - زارع - فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه والعرق السوء قلما ينجب فتخيروا ولو بعد حين﴾.

(١) انظر: شريح القاضي، صفة الصفوة لابن الجوزي، طبعة حلب (٣٨/٣)، شذرات الذهب (٨٥/١، ٨٦)، لابن رجب.

- وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يجيب أحد أبنائه لما سأله: ما حق الولد على أبيه ؟ فيقول:﴿أن ينتقي أمه ويحسن اسمه ويعلمه القرآن﴾.

العرق دساس، نعم، تخيروا لنطفكم ؟ نعم فكثير من الشباب في هذه المرحلة يفكر بعقل الحالم وقد يتغاضى فيما بعد، ولهذا فالدعوة إلى الآباء بالاختيار للأبناء دعوة مهمة وينبغي هنا أن نربي الأبناء على ذلك منذ نعومة أظفارهم، على الاستشارة للاستنارة، وأنه ليس عيبًا بحال من الأحوال أن يكون للأب دور في الاختيار وأن يكون للأم دور في الاختيار ولا ينقص ذلك من قدرك فضلاً عن أنه يكون فيه من البر بالآباء ما يكون مدعاة للبركة في الزواج والذرية فيما بعد.

نكاح الأبكار:

قال رسول الله ﷺ فيما رواه الطبراني مرفوعًا، وابن ماجه رقم (١٨٦١)، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (٦٢٣):﴿**تزوجوا الأبكار فإنهن أعذب أفواهًا وأنتق أرحامًا وأرضى باليسير**﴾.

لقد حرص التوجيه النبوي على الزواج من الأبكار، بل لقد كانت عائشة ﷺ تعتبر ذلك ميزة تميزت بها على قريناتها أنه تزوجها بكرًا ولقد بلغ حبها في قلب رسول الله ﷺ مبلغه وفي هذا قال ابن مليكة: قال ابن عباس لعائشة: لم ينكح النبي بكرًا غيرك، رواه البخاري.

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرًا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال:﴿**في التي لم يرتع منها**﴾، وفي هذا إشارة ودلالة على التماس البكر أولاً، لما في ذلك مدعاة لإدخال السرور والسعادة على قلب زوجها ولانعدام خبراتها الزوجية وما قد يخلفه ذلك من مشاكل ومتاعب عند المقارنات بين الزوج السابق واللاحق، فالتماس البكر، تمامًا كالتماس الفاكهة الناضجة التي لم يقربها أحد قبلك كما أن التماس الأبكار يقلل من نسبة العنوسة ويحل مشاكلها في المجتمع المسلم.

قال ابن القيم في﴿روضة المحبين﴾:

س: لم فضل النبي ﷺ البكر على الثيب وهذه الصفة تزول بأول وطء فتعود ثيبًا ؟

ج: قيل: الجواب من وجهين:

الأول: أن المقصود من وطء البكر أنها لم تذق أحدًا قبل وطئها فتزرع محبته في قلبها وذلك أكمل لدوام العشرة فهذه بالنسبة إلى الوطء فإنه يرعى روضة لم يرعها أحد قبله، وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٧٦].

الثاني: أنه قد ورد أن أهل الجنة كلما وطئ أحدهم امرأة عادت بكرًا كما كانت، رواه الطبراني في معجمه.

ويؤكد الرسول ﷺ في بعض ما يروى عنه أن الاهتمام بأعراض الحياة الدنيا في الزواج مجلبة للشقاء والتعاسة، فقد روى عبد الله بن عمرو ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:﴿**لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل**﴾. أخرجه ابن ماجه بإسناد ضعيف، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بإسناد آخر.

ولا يعني دعوة الإسلام إلى أن يكون الدين والخلق قوام الحياة الزوجية أن ينبذ المال والجمال وما إليهما وإنما يعني أن يكون الدين والخلق الشرط الأساسي لقيام علاقة مقدسة وميثاق غليظ المهم إسلاميًا أن يتمتع الرجل والمرأة بالدين والخلق.

مراعاة الكفاءة بين الزوجين:

ويقتضي الحديث عن حسن الاختيار وما يجب أن يتمتع به كل من الزوجين من الدين والخلق والإشارة إلى موضوع الكفاءة فلهذا الموضوع

صلة وثيقة بحسن الاختيار وآثاره في منهج الإسلام في حماية الأسرة.

والكفاءة يراد بها أن يكون بين الزوجين قدر من التقارب في أمور مخصوصة يعتبر الإخلال بها مفسدًا للحياة الزوجية ومع اختلاف آراء الفقهاء في الأمور المخصوصة التي ينبغي أن يكون بين الزوجين تقارب فيها، وليس المساواة الكاملة فإنهم متفقون على أن الدين والخلق والصلاح والتقوى أساس الكفاءة بين الزوجين، وأن ما سوى هذا من الحرفة والمال والحسب لا يراد بها التفريق بين الناس والحكم عليهم بأنهم طبقات اجتماعية لكل منها منزلتها الخاصة وإنما يراد بها أن يكون الزوجين قدر من التقارب في المستوى الاجتماعي والمبادئ فذلك أنفى للشقاق وأدعى للوفاق، والوئام، وأجدر أن يجعل من الزواج خير علاقة توثق عرى المصاهرة وتوسع دائرة الأسرة.

فالعلاقة الزوجية ليست مجرد علاقة بين فردين ولكنها مع هذا علاقة بين أسرتين فالفقهاء فيما صدر عنهم من آراء في موضوع الكفاءة والمعاني المعتبرة فيها لم يكونوا في غفلة عن أن الإسلام دين الأخوة والمساواة وأن التفاضل بين الناس في هذا الدين مناطه تقوى الله ﷻ، ولكنهم توخوا مصلحة الأسرة وصلة المصاهرة، وراعوا مشاعر المرأة إذا ما تزوجت من دونها منزلة فهي وإن رضيت به لا تسلم من نظرات النقد والتعبير حتى ممن رضيت به زوجًا فتضيق بحياتها مع هذا الزوج وتبدأ مرحلة النفور منه وعدم النزول على مقتضى قوامته وسلطانه وقد يستغل قوامته استغلالاً مسيئًا لها، فتضطرب الحياة الزوجية، ويسودها التفكك والشقاق ويكون التفريق، فلا ينبغي للرجل الفقير أن يطلب زوجة ثرية تُدل عليه بمالها ويعيش عالة عليها، فالأصل في الرجال أن يكونوا قوامين على النساء وينفقوا عليهن ولكن هذه هي التي تنفق عليه فلا تكون قواميته كاملة.

ولا ينبغي لرجل أمي أو شبه أمي أن يتزوج امرأة جامعية مثقفة أو العكس، لبعد الفارق الثقافي بينهما فلا يكادان يشتركان إلا في الطعام أو الشراب والمتاع الجنسي.

ولا يليق بشاب يبحث عن امرأة عجوز، ولا بشابة أن تبحث عن رجل بلغ من الكبر عتيًا إن هذا في الغالب يكون وراءه بواعث مادية، كثيرًا ما تفسد أمر الزواج وتكدر صفاءه وهذا ما جعل النبي ﷺ يقول لجابر بن عبد الله وهو أنصاري شاب وقد أخبره أنه تزوج فقال له:﴿**بكرًا أم ثيبًا ؟** ﴾، قال: بل ثيب، قال:﴿**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك، تضاحكها وتضاحكك**﴾ [1].

فأخبره جابر أن أباه استشهد وترك له أخوات بنات صغيرات يحتجن إلى امرأة ترعاهن﴿وكانت الأم ميتة﴾، فلو تزوج بكرًا في سنهن أو قريبة منهن لضعن فكان من حرصه ﷺ على أخواته أن تساهل في حقه في زواج البكر التي يلاعبها وتلاعبه، ليأتي لأخوته بمن تقوم لهن مقام الأم.

وهذا يدلنا على أن الكفاءة الظاهرية - كما يراها الناس قد يعدل عنها أحيانًا لأسباب أقوى منها فقد يتزوج الشاب من هي أكبر منه وقد تتزوج المرأة من هو أصغر منها أو من هو أكبر من سنها بكثير، ولكن لابد أن يكون ذلك لاعتبارات قوية اقتنع بها كل من الطرفين، ورضيا بها عن طيب نفس، حتى تستقر حياتهما على أساس مكين.

مع العلم أن الكفاءة ليست من شروط صحة العقد وإنما هي شرط لزوم فالعقد بدونها يقع صحيحًا نافذًا ولكنه قابل للفسخ إذ يجوز لولي الأمر أن يرفع الأمر إلى القاضي ليفسخ العقد لعدم الكفاءة والقاضي يجيبه إلى طلبه بشرط ألا تكون المرأة قد حملت أو ولدت محافظة على الولد.

---

(١) أحمد (٣٠٨/٣)، البخاري (١٢٣/٥)، ومسلم (١٧٦١٤).

قيام عقد الزواج على التأبيد:

يمتاز عقد الزواج في الإسلام على سواه من العقود بأن موضوعه الإنسان أكرم المخلوقات، ومن ثم كان هذا العقد من أهم العقود وأكرمها ويتجلى ذلك في قيامه على التأبيد والدوام، فلا يعرف التأقيت أو التحديد وهو أمر يتلاءم مع وظيفة الأسرة في المجتمع ورسالتها المقدسة في الحياة.

ولا تناقض بين جواز التفريق بين الزوجين في الإسلام مع قيام عقد الزوجية على الدوام؛ لأن الإسلام يريد لهذا العقد أن يكون تعبيرًا عن علاقة زوجية تفيض بمعاني الاستقرار والسكن والمودة والرحمة، فإذا اضطرب جو الأسرة وساءت العلاقة بين الزوجين إساءة بالغة، وباءت كل محاولات الإصلاح والتوفيق بالبوار، فإن الإسلام يبيح انفصام العقد تحت ضغط الضرورة الملجئة؛ لأن هذا خير من استمرار علاقة زوجية لا تعرف غير الشقاق، والصراع، ولهذا كان الرأي الصحيح والراجح أن الأصل في تشريع الطلاق هو الحظر، وإنما يلجأ إليه عند الإضطرار والضرورة.

إن قيام عقد الزواج على التأبيد، وأن انحلاله لا يكون إلا بوفاة أحد الزوجين أو كليهما يومئ إلى مسؤولية كل من الرجل والمرأة عن حماية هذا العقد وتجنب كل ما يؤثر على رابطة العلاقة الزوجية ومقاومة مشاعر الكراهية والنفور، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

فإذا وقع خلاف بين الزوجين فإن الإسلام يحثها على الاستقلال بإصلاح ما شجر بينهما من خلاف إن استطاعا، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾ [النساء:١٢٨].

فإن عجزا بعث ولي الأمر من أهلهما من يصلح بينهما، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء:٣٥].

فإن لم يجد كل ذلك في إصلاح ذات بينهما فقد تبين أنه لا مصلحة للأسرة ولا للأمة في هذا الارتباط ومن ثم شرع الله الطلاق في أضيق الحدود دفعًا للمضار التي تنشأ من اجتماع الزوجين على البغض والكراهية.

وبهذا يتضح أن جواز الطلاق عند الضرورة لا يتعارض مع دعامة قيام الأسرة على الدوام والتأبيد.

ثانيًا: رعاية الحقوق والواجبات الزوجية:

يهدف الإسلام إلى بناء أسرة إسلامية تقوم دعائمها على تقوى الله ﷻ ويتعامل أفرادها وفق ما يحبه الله ويرضاه، فلا تسمع فيها ما يجرح المشاعر، ولا ترى فيها ما ينغص العيش ويجلب الهمَّ بل تشيع المودة والسكينة والرحمة في جنباتها فيصير البيت واحة الصفاء وساحة الحب وبستان السعادة، وبلسم الشفاء من هموم الحياة وأكدارها.

وهذه الأسرة هي النواة لبناء مجتمع متماسك يقدم صورة الإسلام الصحيحة ويستطيع أن ينشر دين الله في كل بقعة ويزود عن العقيدة في أي مكان.

وهي أيضًا الأرض الطيبة التي تخرج الثمر الطيب والنبت الحسن الذي يحمل اسم الإسلام ويرضع قيمه ومبادئه من صغره فحين يستوي على سوقه في شبابه يصبح صورة مشرفة لهذا الدين معبرة عن أهدافه وتعاليمه، والمرأة في الأسرة حجر الزاوية وأساسها الأول، ودعامتها الكبرى، فهي الزوجة، والأم، والبنت، والأخت، ومن ثم فقد أولاها الإسلام اهتمامًا كبيرًا ورعاها رعاية عظيمة ورباها على حسن أداء

مسؤوليتها نحو زوجها وأبنائها، أداء رسالة وحب لا أداء واجبات، وحقوق، تبغي به مرضاة الله ﷻ في الدنيا والآخرة لا انتظارًا لشكر من أحد أو حرصًا على ثناء مخلوق.

وقد أشار القرآن الكريم إلى منة الله تعالى على الخلائق بنعمة الزوجية وبين أنها طريق إلى الاستقرار والسكن الذي ينشده الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، وفي هذا يقول رب العزة: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ولضمان تحقيق هذا السكن المشار إليه كهدف من أهداف الحياة الزوجية وضع الإسلام الحنيف أيدينا على الواجبات التي يلزم كل طرف أن يقوم بها والحقوق التي له في مقابل أداء هذا الواجب، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وقد أكدت السنة النبوية على ذلك في أكثر من حوار بين الرسول ﷺ ونساء الصحابة.

ونختار من هذه الحوارات النماذج التالية:

أ - عن الحصين بن محصن أن عمة له أتت النبي ﷺ في حاجة ففرغت من حاجتها، فقال لها النبي ﷺ:﴿**أذات زوج أنت ؟**﴾، قالت: نعم، قال:﴿**كيف أنت له ؟**﴾، قالت: ما آلوه﴿أي ما أقصر في حق له﴾، رواه الإمام أحمد في مسنده.

والحديث غني عن التعليق، وهو يشير إلى أن الباب الذي ستلج منه المرأة المسلمة إلى الجنة ما تفعله في سبيل رضا زوجها ابتغاء مرضاة الله
تبارك وتعالى.

ب - عن أسماء بنت يزيد الأنصارية ﵂، أنها أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله بعثك للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أولادهم وربينا لهم أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال:﴿**هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟**﴾، قالوا: لا يا رسول الله، قال:﴿**انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء إن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال**﴾.

رواه البزار والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان، ج٦، (ص٤٢١).

وقد حدد النبي المصطفى ﷺ في هذا الحديث الشريف الكيفية التي ترقى بها المرأة إلى أرفع الدرجات وأسمى المراتب، وذلك في ثلاث نقاط:

١- حسن تبعلها لزوجها.

٢- طلبها مرضاته.

٣- اتباعها لموافقته.

وأكد النبي ﷺ على أن قيام المرأة بتلك المهام يجعلها تنال ثواب الجماعة في المسجد وإن لم تحضرها وثواب الجهاد وإن لم تشارك فيه.

وعلى سبيل التأكيد لعظم حق الزوج على زوجته، يقول النبي ﷺ:﴿**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت**﴾ [1].

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٩١/١)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الأوسط،

ويقول النبي ﷺ: **﴿أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة﴾** (١).

وحتى تستمر الدراسة التي معنا في مجراها الطبيعي عن صفات المرأة المسلمة في الأسرة المسلمة فإني سأتناول حياة المرأة من زوجها وأولادها من خلال عنصرين أساسين هما:

١- حسن عشرتها لزوجها.

٢- حسن تربيتها لأولادها.

أولا: حسن عشرتها لزوجها:

حدد لنا رسول الله ﷺ صورة المرأة الصالحة التي تحسن عشرة زوجها وتؤدي حق الله ﷻ فيه من خلال صفات معينة ذكرها لنا في أحاديث متعددة **من هذه الأحاديث:**

أ - قوله ﷺ: **﴿ما استفاد مؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله﴾** (٢).

ب - وسئل النبي ﷺ: أي النساء خير ؟ فقال: **﴿التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا في مالها بما يكره﴾** (٣).

جـ - ولما نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة]، قال بعض الصحابة: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل، ولو علمنا أي المال خير فنتخذه، فقال النبي ﷺ: **﴿أفضله لسان ذاكر، وقلب**

وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (٣٠٦/٤).

(١) سنن الترمذي، كتاب الرضاع، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه، كتاب النكاح.

(٢) ابن ماجه (١٨٥٧).

(٣) النسائي (٣٢٣١).

شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه﴾ [(١)].

وقال رسول الله ﷺ: **﴿خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يد﴾** [(٢)].

د - وقال رسول الله ﷺ: **﴿رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ أهله فإن أبت نضح الماء في وجهها، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فإن أبى نضحت الماء في وجهه﴾** [(٣)].

من خلال هذه الأحاديث وغيرها نستطيع أن نضع ملامح محددة لحسن عشرة المرأة الصالحة مع زوجها من خلال النقاط التالية:

١- تعينه على طاعة الله ﷻ.

٢- تؤدي حقه وتحسن صحبته.

٣- تواسيه بمالها.

٤- تحفظه في نفسها وماله عند غيبته.

٥- لا تفشي سره.

١ - تعينه على طاعة الله ﷻ:

قالت﴿عمرة﴾ امرأة حبيب العجمي له، وقد انتبهت ليلة وهو نائم في السحر: قم يا رجل فقد ذهب الليل، وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا [(٤)].

وعن أبي جعفر السائح قال: بلغنا عن امرأة متعبدة كانت تقول لزوجها: قم ويحك إلى متى تنام ؟ قم يا غافل، قم يا بطال، إلى متى أنت في غفلتك ؟ أقسمت عليك ألا تدخل النار من أجلي، برَّ أمك، صلْ

(١) الترمذي (٣٠٩٤).
(٢) البخاري (٣٤٣٤)، ومسلم (٢٣٣٧).
(٣) أبو داود (١٣٠٨).
(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي (٣٥/٤).

رحمك، لا تقطعهم فيقطع الله بك [(١)].

وعن عامر بن مسلم الباهلي، عن أبيه قال: كانت لنا جارية في الحي يقال لها هنيدة، فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه، فتوقظ والدها وزوجها، وخدمها، وتقول لهم: قوموا فتوضؤوا وصلوا، فستغبطون بكلامي هذا، فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت، فرأى زوجها في منامه إن كنت تحب أن تزوجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات، فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له: إن كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما في الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما، قال: فلم يزل ذلك دأبه حتى مات فكانوا يُدعون القوامين [(٢)].

وصدق ربنا جل في علاه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور: ٢١].

أما زوجة رياح بن عمرو القيسي، فقد كانت نعم الزوجة له بالنهار في عمل الدنيا، ونعم المعينة له بالليل على عمل الآخرة، وكان هذا دأبها من أول تزوج بها.

عن أبي يوسف البزار قال: تزوج رياح بن عمرو القيسي امرأة فبنى بها فلما أصبح الصباح قامت إلى عجينها فقال: لو نظرت إلى جارية تكفيك هذا؟ فقالت: إنما تزوجت رياحًا القيسي العبد الفقير ولم أرني تزوجت جبارًا عنيدًا، فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل الآخر، ثم نادته: قم يا رياح، قم يا رياح، فقال: أقوم ؟ فقالت: مضى الليل، وعسكر المحسنون، وأنت نائم، ليت شعري، من غرني بك يا رياح، قال: وقامت الربع الباقي.

فلنعم هؤلاء الزوجات اللاتي يُعن أزواجهن على قيام الليل، وعلى بر الأمهات، وصلة الأرحام، وكسب الحلال، وأين منهن زوجاتنا، وأخواتنا

(١) صفة الصفوة (٤/٤٣٧).
(٢) المصدر السابق (٤/٣٩١).

اليوم اللاتي يرهقن أزواجهن بهموم المعاش ومشكلات الحياة، ولا يكلفن أنفسهن أن يدعين أزواجهن إلى ركعتين في جوف الليل، أو إلى صلاة الفجر في جماعة، أو إلى الصدقة وصلة الرحم... إلخ.

إن المرأة الصالحة تستطيع بما تملك من وسائل التأثير على زوجها أن تجعله يستجيب لطاعة الله ﷻ ويقلع عن المعاصي والذنوب، لو أنها جعلت ذلك هدفًا رئيسًا لها في حياتها معه، ويكفي أنها بذلك ستأخذ من الأجر والثواب مثل ما يأخذ زوجها كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ: **﴿من دعا إلى خير كان له من الأجر مثل أجور من دعاهم لا ينقص من ذلك من أجورهم شيئًا﴾** (١).

وكما قال ﷺ: **﴿الدال على الخير كفاعله﴾** (٢).

٢- تؤدي حقه وتحسن صحبته:

ولا يحسبن أحد أن المرأة الصالحة حينما أعانت زوجها على طاعة الله ﷻ قصرت في حقوقه الدنيوية، كلا، فهي تعلم أن حق زوجها مقدم على صلاة النافلة وصيام النافلة.

كما قال ﷺ: **﴿لا يحلُ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه﴾** (٣).

فها هي امرأة رياح التي ذكرناها آنفًا كانت تتجمل وتتعطر له كما يحدث هو عن ذلك فيقول:

عن سيار قال: حدثني رياح بن عمرو القيسي قال: ذكرت لي امرأة فتزوجتها، فكانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيبت وتزينت ولبست ثيابها ثم تأتيني فتقول: ألك حاجة ؟ فإن قلت: نعم، كانت معي وإن قلت: لا،

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.
(٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله.
(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة.

قامت فوضعت ثيابها وصفت قدميها بين يدي الله حتى تصبح [١].

روى الفاكهي في كتاب﴿أخبار مكة﴾ عن أنس ﵁ أن النبي ﷺ كان عند أبي طالب، فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة فأذن له، وبعث بعده جارية يقال لها﴿نبعة﴾ فقال لها: انظري ما تقول له خديجة، قالت نبعة: فرأيت عجبًا، ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت إلى الباب فأخذت بيده فضمتها إلى صدرها ونحرها، ثم قالت: بأبي وأمي والله ما أفعل لشيء ولكني أرجو أن تكون أنت النبي الذي ستبعث [٢].

وهذه قصة امرأة الحطاب التي تُعد نموذجًا في حسن معاشرة المرأة لزوجها، ويتضح ذلك من خلال كلامها وأسلوب تعاملها معه فهي تقول: إن زوجي إذا خرج يحتطب - يجمع الحطب من الجبل ليبيعه وينتفع بثمنه - أحس بالعناء الذي لقيه في سبيل رزقنا، وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي، فأعد له الماء البارد، حتى إذا ما قدم وجده وقد نسقت متاعي، وأعددت له طعامًا ثم وقفت أنتظره في أحسن ثيابي فإذا ما لوج الباب﴿أي دخل﴾ استقبلته كما تستقبل العروس زوجها الذي عشقته، مسلمة نفسي إليه، فإن أراد الراحة أعنته عليها، وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبوها [٣]. أ.هـ.

وذكر ابن الجوزي في﴿صفة الصفوة﴾ عن ابن أعبد قال: قال علي ﵁: يا ابن أعبد، ألا أخبرك عني وعن فاطمة ؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي فجرَّت بالرحى حتى أثرت الرحى بيدها واستقت بالقربة حتى أغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها وأصابها من ذلك ضرر.

---

(١) صفة الصفوة، لابن الجوزي (٤٤/٤).
(٢) أخبار مكة، ج٥، (ص٢٠٦)، باب ذكر خديجة قبل زواجها من النبي ﷺ.
(٣) أورد هذه القصة الأستاذ /عبد المتعال الجبري في كتابه «المرأة في التصور الإسلامي» (ص٥١)، وذكرها مرفوعة إلى رسول الله ﷺ، لكن لم أعثر لها على سند.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: إن كانت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ لتعجن، وإن قصتها﴿مقدم شعرها﴾ لتضرب الأرض والجفنة.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مالك ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته، وأسوسه وأدق النوى لناضحه، وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه﴿أي أملأ دلوه﴾، وأعجن، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلث فرسخ.

فإذا كانت السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق ﵄، لم تمنع إحداهما مكانتها من أبيها ولا شرفها في قومها أن تقوم بخدمة زوجها خدمة شاملة، وإن صح التعبير: خدمة شاقة لقلة﴿الإمكانات المتاحة﴾، أفلا يحمل ذلك المسلمة اليوم، وقد توفرت لديها كل الأسباب الميسرة فلم تعد في حاجة إلى أن تعجن، أو تعلف فرسًا، أو تدير رحى بيدها، أفلا يحملها ذلك على أن تقر عين زوجها بخدمتها في بيته، إذا كانت بالفعل تبغي مرضات ربها من خلال رضا زوجها عنها ؟

وحتى نرى صورة متكاملة لحسن تأدية المرأة المسلمة تأدية امرأة لحق زوجها من أول يوم تزوج بها وطيلة حياتها معه، ننظر إلى﴿زينب بنت حُدير﴾، زوجة شريح القاضي رحمهما الله تعالى، وقصة هذا الزواج المبارك، وكيف عاشت معه، وما يحكيه هو عن ذلك.

عن الشعبي قال: لقيني شريح القاضي فقال لي: يا شعبي، عليك بنساء تميم فإني رأيت لهن عقولاً، فقلت: وما رأيت من عقولهن ؟ قال: تزوجت امرأة منهن فلما صارت في حبالى ندمتُ وقلت: أي شيء صنعت بنساء بني تميم وذكرت غلظة قلوبهن ؟ فقلت: أطلقها، ثم قلت: ولكن أدخل بها فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذلك، فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علي، فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على

زوجها يقوم ويصلي ركعتين، ويسأل الله ﷻ من خيرها ويتعوذ من شرها، فتوضأت فإذا هي تتوضأ بوضوئي، وصليت فإذا هي تصلي بصلاتي، فلما قضيت صلاتي ودنوت منها فمدت يدي إلى ناصيتها فقالت: على رسلك يا أبا أمية، الحمد لله، أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله، أما بعد: فإني امرأةٌ غريبةٌ، لا علم لي بأخلاقك فبِّين لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأجتنبه، فإنه قد كان لك منكح في قومك، ولي في قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله ﷻ به إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين.

قال: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، أما بعد: فإنك قلت كلامًا إن ثبت عليه يكن ذلك حظًا لي، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا، وأكره كذا، وما رأيت من حسنة فأظهريها، وما رأيت من سيئة فاستريها، فقالت: كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري، قالت: فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له، ومن تكرهه أكرهه، قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء، قال: فبت معها يا شعبي بأنعم ليلة، ومكثت معي حولاً لا أرى منها إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، وإذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى، قلت: من هذه ؟ قالوا: فلانة أم حليلتك، قلت: مرحبًا وأهلاً وسهلاً، فلما جلست أُبلت العجوز فقالت: السلام عليك يا أبا أمية، فقلت: وعليك السلام ومرحبًا بك وأهلاً، قالت: كيف رأيت زوجتك ؟ قلت: خير زوجة، وأوفق قرينة، لقد أدبت فأحسنت الأدب، وريضت فأحسنت الرياضة، فجزاك الله خيرًا، فقالت: يا أبا أمية، إن المرأة لا يرى أسوأ حالاً منها في حالتين، قلت: وما هما ؟ قالت: إن ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فإن رابك مريب فعليك بالسوط، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة،

فقلت: والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، وريضت فأحسنت الرياضة، قالت: كيف تحب أن يزورك أصهارك ؟ قلت: ما شاؤوا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية، فمكثت معي يا شعبي عشرين سنة، لم أعب عليها شيئًا ما - وكان لي جار من كندة - يفزع امرأته ويضربها، فقلت في ذلك:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم — فشلت يميني يوم تُضرب زينبُ

أأضربها من غير ذنب أتت به — فما العدل مني ضرب من ليس يذنبُ

فزينب شمس والنساء كواكب — إذا طلعت لم يبد منهن كوكب (١)

لقد كانت المرأة في صدر الإسلام ربة بيت من طراز رفيع، وما منعها ذلك أن تكون في قمة الثقافة والاستقامة الاجتماعية والنهوض بأمتها والانتصار لدينها.

ولا بأس أن نسوق هذه القصة من مآثر العرب في جاهليتهم ليعلم القارئ أننا لم نجنح إلى المبالغة والخيال:

قال الحارث بن عوف المري، لخارجة بن سنان في إبان الحرب بين عبس وذبيان:﴿أتراني أخطب إلى أحد فيردني ؟ قال: نعم، أوس بن حارثة لأم الطائي﴾، فقال الحارث لغلامه:﴿هيئ لي مركبًا﴾، ثم ركب هو وغلامه ومعهما خارجة حتى أتوا أوسًا فوجده في داره فلما رأى الحارث رحب به وسأله عن مجيئه فقال:﴿جئت خاطبًا﴾، فقال أوس:﴿لست هناك﴾، فانصرف ولم يكلمه ثم دخل أوس على امرأته مغضبًا وكانت من عبس، فقالت: من رجل وقف عليك فلم تطل مع الكلام ؟

فقال: ذاك سيد من سادات العرب﴿الحارث بن عوف﴾.

قالت: فما لك لم تستنزله ؟ قال: إنه استحمق جاءني خاطبًا.

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، (ص٤٦١، ٤٦٢)، أعلام النساء، (٦٤/٢)، رضا كحالة.

قالت: أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال: نعم.

قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال: قد كان ذلك.

قالت: فتدارك ما كان منك فالحقه وقل له: إنك لقيتني مغضبًا بأمر لم يتقدم فيه قول: فلم يكن عندي جواب إلا ما سمعت، فانصرف معي ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفعل.

فعمل أوس برأي زوجته ورد حارثة ومن معه فلما وصلوا إلى بيت أوس وجلسوا في مكان الضيافة دخل أوس على زوجه وقال لها: ادعي لي فلانة، أكبر بناته سنًا فلما أتته قال: يا بنية هذا الحارث بن عوف - سيد سادات العرب - قد جاءني خاطبًا، وقد أردت أن أزوجك منه، فقالت: لا تفعل؛ لأني فتاة في وجهي ردة وفي خُلُقي بعض العهدة، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون ذلك ما فيه، قال: قومي بارك الله فيك، ثم دعا الوسطى فأجابته بمثل جوابها وقالت: إني خرقاء ولست بيدي صنعة ولا آمن أن يرى ما يكره، فيطلقني فيكون عليَّ في ذلك ما تعلم.

ثم دعا الثالثة، وهي صغراهن، فلما عرض عليها قالت: أنت وذلك، فأخبرها بإباء أختيها.

فقالت: لكني والله الجميلة وجهًا، الصنَّاع يدًا، الرفيعة خلقًا، الحسيبة أبًا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير، فزوجها الحارث، ولما وصل ديار قومه قالت: أتلزم المنزل والعرب يقتل بعضها بعضًا، اخرج إلى هؤلاء القوم، وحمل الديات، وكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنوات.

والمرء يعجب لعظمة هذا البيت العربي، زوجة ترشد رجلها إلى الصراط بعدما كاد يزيغ عنه.

وبنات يعرفن بدقة أوصافهن البدنية، وطبائع بيئتهن فيقدمن من دون أثرة صغراهن لتكون زوجة الخاطب المقبل.

وعروس تأبى أن تسعد بزوجها حتى تضع الحرب أوزارها، وتقر السلام حولها، أين هذه الخلال الزكية من فتيات عصرنا المبهورات بفتنة الغرب، المتمردات على جو البيت المخدوعات بأضواء الليل، الجانيات الشوك آخر المطاف من ترك وظيفتهن العتيدة.

٣- تواسيه بمالها:

جعل الله ﷻ مال المرأة حقًا خالصًا لها يمكنها أن تتصرف فيه كيفما شاءت، وشدد على ذلك في القرآن الكريم حتى لا يستغل أحد - زوجًا كان أو غيره - ضعف المرأة لكي يستولي على أموالها، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:٧].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [النساء:٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء:٤].

ومع ذلك فقد نظرت المرأة الصالحة إلى زوجها نظرة أعلى من نظرتها لمالها فبذلت مالها في سبيل إسعاد زوجها، مقتدية في ذلك بأمنا خديجة رضي الله عنها التي كانت ملاذًا آمنًا لرسول الله ﷺ، قامت قبل الدعوة وتبليغ الوحي بمساعدة النبي ﷺ على التعبد بغار حراء، بما كانت تزوده به مما يحتاج إليه، وحين جاء الملك وجاء يرجف فؤاده قائلاً لها:﴿**لقد خشيت على نفسي**﴾، قالت له كلمتها المشهورة: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأخذت بيده ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وحكى له ما حدث فبشره بأن هذا هو الناموس﴿الوحي﴾ الذي كان يأتي موسى، وبشره بأنه سيكون نبي هذه الأمة، وبادرت السيدة خديجة رضي الله عنها قبل غيرها إلى الإيمان فكانت أول من آمن من الرجال والنساء على السواء، وبذلت

السيدة خديجة من مالها ونفسها في صالح الدعوة الكثير والكثير، وحدث رسولنا ﷺ عن ذلك فقال: ﴿وواستني بمالها إذ حرمني الناس﴾ (١).

ومن هؤلاء رابعة بنت إسماعيل زوجة أحمد بن أبي الحواري، وكانت موسرة فأنفقت جميع ما تملك على أحمد وأصحابه.

وقد أورد الإمام الغزالي في الإحياء قصة زواجها بأحمد فقال: خطبت رابعة بنت إسماعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها: والله مالي همة في النساء لشغلي بحالي، فقالت: إني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت مالاً جزيلاً من زوجي فأردت أن تنفقه على إخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقًا إلى الله ﷻ، فقال: حتى استأذن أستاذي، فرجع إلى أبي سليمان الداراني، فقال: تزوج بها فإنها ولية الله هذا كلام الصديقين قال: فتزوجتها، فكان في منزلنا كِنّ من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلاً عمن غسل بالأشنان(٢).

قال أحمد: وكانت تقول: كنت أدعو الله ﷻ أن يأكل مالي مثلك ومثل أصحابك (٣).

قال أحمد: وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها عليَّ، فكانت إذا طبخت قدرًا قالت: كُلها يا سيدي، فما نضجت إلا بالتسبيح، وقالت لي: لست أستحل أن أمنعك نفسي وغيري اذهب فتزوج، قال: فتزوجت ثلاثًا، وكانت تطعمني اللحم وتقول: اذهب بقوتك ونشاطك إلى أهلك (٤).

(١) أحمد (٨- ٢٤٩)، والطبراني في الكبير (١٨٩٧٧)، وقال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن.
(٢) إحياء علوم الدين (٥٣/٢، ٥٤).
(٣) ذكر النسوة المتعبدات، لأبي عبد الرحمن السلمي (ص٥٩).
(٤) صفة الصفوة (٣٠٢/٤).

وهذه﴿زينب زوجة عبد الله بن مسعود ﴾ﷺ، كانت تجلس الساعات بعد الفجر تذكر الله ﷻ، ولما سمعت رسول الله ﷺ يقول:﴿**يا معشر النساء، تصدقن ولو من حُليكن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**﴾، قالت: فرجعت إلى عبد الله﴿زوجها﴾، وقالت له: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فآته فإن كان ذلك يجزئ عني﴿أي من حُليها﴾ وإلا صرفتها إلى غيرك.

فقال لي عبد الله بن مسعود: بل ائته أنت.

قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها.

قالت: وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيت عليه المهابة، قالت: فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما إلى أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما ولا تخبره من نحن [(١)].

فدخل بلال على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ:﴿**من هما ؟**﴾، فقال: امرأة من الأنصار وزينب ؟ فقال رسول الله ﷺ:﴿**أي الزيانب ؟**﴾، فقال: امرأة عبد الله بن مسعود، فقال رسول الله ﷺ:﴿**لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة**﴾. متفق عليه.

ولعل بعض النساء لا تملك مالاً تنفقه على زوجها أو تواسيه به لكنها تملك حسن التدبير لمعيشتها معه، فتعوض هذا بذاك، كما فعلت هذه الفتاة المسلمة مع زوجها في بداية مشوار حياتها ونقل قصتها الأستاذ /عبد المتعال الجبري قائلاً:﴿اضطر فتى إلى اقتراض ثلاثين جنيهًا في احتفال زواجه - كان هذا في السبعينيات - وأهمه الأمر حتى رأت عروسه ذلك في وجهه عقب زفافها إليه، ولما كشفت الأمر خلعت سواريها وقالت:

---

(١) إخلاصًا لله تعالى وإخفاء للعمل.

بعهما واجعل دينك عندي بدلاً من الآخرين، واستجاب لرغبتها وأعطاها من مرتبة ثلثيه وجعل لنفسه الثلث وأخذت الزوجة توفر من مصروف المنزل وهو يوفر من مصروفه حتى اكتمل معه ثمن سوارين أخذها إلى الصائغ فاشترى لها سوارين أعجباها فقالت: هيا إلى الساعاتي لنرى ساعة جميلة وهناك فوجئ بأنها تدفع ثمن لساعة رائعة وتأخذها وتقلده إياها قائلة: مبارك، كل يدبر من أجل لحظة يسعد فيها الآخر﴾ (١).

تحفظه في نفسها وماله عند غيبته:

من صفات المرأة الصالحة التي أخبر عنها النبي ﷺ في أحاديثه المتعددة أنها تحفظ غيبة زوجها:﴿**وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله**﴾، وهذه الصفة أشار إليها القرآن الكريم حين قال: ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٣٤]، ولا أجد من قصص الصالحات ما يدل على ذلك أبلغ من قصة﴿أم الإمام ربيعة بن عبد الرحمن - والإمام مالك بن أنس وأمه﴾ رضي الله عنهم.

- أم الإمام ربيعة الرأي عبد الرحمن:

كان فروخ أبو ربيعة الرأي - خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية وربيعة حَمَل في بطن أمه وخلّف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسًا وفي يده رمح فنزل ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة وقال: يا عدو الله، أتهجم على منزلي ؟ فقال فروخ: يا عدو الله، أنت دخلت على حرمي فتواثبا حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس فأتوا يعينون ربيعة وكثر الضجيج وكل منهما يقول: لا فارقتك فلما بصروا بمالك سكتوا فقال مالك: أيها الشيخ، لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفه،

(١) المرأة في التصور الإسلامي (ص١٠٠)، للأستاذ عبد المتعال الجبري.

وأنا حامل به فاعتنقا جميعًا، وبكيا ودخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني ؟ قالت: نعم، قال: أخرجي المال الذي عندك، قالت: تُعرض، قد دفنته وأنا أخرجه، ثم خرج ربيعة إلى المسجد النبوي وجلس في حلقته، فأتاه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به فقالت أمه لزوجها فروخ: اخرج فصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فنكس ربيعة رأسه يوهنه أنه لم يره وعليه قلنسوة طويلة فشك أبوه فيه، فقال: من هذا الرجال ؟ فقيل: هذا ربيعة ابن أبي عبد الرحمن، فقال: لقد رفع الله ابني فرجع إلى منزله، وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيهما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه ؟ فقال: لا والله، بل هذا، فقالت: أنفقت المال كله [1].

- **وهذه أم الإمام مالك بن أنس رحمها الله:**

الإمام مالك بن أنس لما تزوج بأمة ولم يكن رآها من قبل أن يدخل بها، ولما دخل بها ونظر إليها وجدها سمراء اللون، وكان يريدها بيضاء شقراء، فاتخذ جانبًا من الحجرة بعيدًا عنها، ونظرت إليه العروس نظرة الأمل وهو يبعد عنها، ولما رأت أن الزمان قد امتد بها في هذه الليلة ولم يقربها أنس ابن أبي عامر قالت له: يا أنس، لا تحزن إن كنت سمراء فإن الخير قد يكون كامنًا في الشر: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]، ودخل بها وعاش معها أيامًا ثم فارقها إلى بلاد الشام، وأقام هناك وهي صابرة على قضاء الله، لا تشكو ورزقها الله منه الإمام مالكًا، وجلس مالك في مسجد الرسول ﷺ يلقي دروس العلم وهو ما يزال شابًا حديث السن، وأقام أبوه بعد ذلك وأراد أن يستطلع الأخبار فجاء من بلاد الشام، ودخل مسجد النبي ﷺ ووجد شابًا يجلس ويدرس

(١) ذكر القصة ابن خلكان في «وفيات الأعيان» نقلاً من منهج التربية النبوية للطفل (٧٦/١، ٧٧).

العلم للناس، وسأل عنه أبوه ما اسم هذا الشيخ ؟ فقالوا له: اسمه مالك بن أنس، وإذا بأبيه يقول له: يا غلام، إذا دخلت على أمك فقل لها: إن بالباب رجل يقول لك: قد يكون الخير كامنًا في الشر، ودخل الإمام مالك إلى أمه وأخبرها الخبر فقالت له: يا مالك افتح له الباب، وأدخله، فإنه أبوك يا مالك، إنه وفاء النساء المؤمنات.

فلا يجوز شرعًا من ترك زوجته هذه المدة الطويلة خاصة بعد أن ضرب لنا سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ مدة ستة أشهر للجندي في ميدان الجهاد يبتعدون فيها عن زوجاتهم لا يزيدون على ذلك.

روى الإمام مالك ﷺ عن عبد الله بن دينار قال: خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول:

فـوالله لـولا الله أني أراقبه ... لحرك من هـذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته السيدة﴿حفصة﴾ﷺ، كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستة أشهر، أو أربعة أشهر، فقال عمر: لا أحبس أحدًا من الجيش أكثر من ذلك [(١)].

ومع ذلك فقد صبرت الزوجة ولم ترفع أمرها للقضاء وتمسكت بدينها وتفرغت لتربية ولدها حتى عاد زوجها.

لا تفشي سره:

من الآداب التي ربى الإسلام عليها أتباعه حفظ السر فالكلمة إذا خرجت من فم المسلم لا تتجاوز أذن أخيه إلى غيره مهما كانت صغيرة، فقد أصبحت أمانة عنده، يقول النبي ﷺ:﴿**إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة**﴾ [(٢)].

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، باب الغازي يطيل الغيبة عن أهله (٢/٢١٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧/١٠٣).
(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب.

وخاصة فيما يكون بين الزوجين من الأمور الخاصة والعلاقات الزوجية يقول رسول الله ﷺ:﴿**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشرها**﴾ أي سرها [1].

ولقد وعت المسلمة الصالحة هذه التوجيهات النبوية والتزمت بها في حياتها العامة مع الناس، وحياتها الخاصة مع زوجها، فحفظت لسانها من الثرثرة، وصانت بيتها من أن تلوكه ألسنة الناس، وإليك مثال نادر على ذلك من حياة المسلمة التقية:

ذكر الإمام ابن الجوزي في﴿صفة الصفوة﴾ أنه كان ببغداد رجل بزاز﴿يبيع الثياب﴾ فبينما هو في حانوته﴿دكانه﴾ أقبلت عليه صبية فالتمست شيئًا تشتريه، فبينا هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك فتحير وقال: قد والله تحيرت مما رأيت، فقالت: ما جئت لأشتري شيئًا إنما لي أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه، وقد وقعت أنت بقلبي ولي مال، فهل لك في التزويج بي ؟ فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي وقد عاهدتها ألا أغيرها ولي منها ولد، فقالت: قد رضيت أن تجيء إليَّ في الأسبوع نوبتين، فرضي وقام معها فعقد العقد ومضى إلى منزلها فدخل بها.

ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده، ومضى فبات عندها وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها.

فبقي على هذا ثمانية أشهر فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي ؟ فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان - فلما جاءت الظهر قام وتبعته الجارية - وهو لا يدري بها، إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم عن هذه الدار، فقالوا:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة.

لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزاز.

فعادت إلى سيدتها فأخبرتها فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد ولم تظهر لزوجها شيئًا.

فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار فأفردتها وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة، وأعلميها أن الرجل مات وقد خلف ثمانمائة آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف حقه، وبقيت ألف فقسمتها بيني وبينك، وهذا حقك وسلميه إياها.

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت وأخبرتها خبر الرجل، وحدثتها بموته، وأعلمتها الحال، فبكت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك وسلمي عليها عني، وأعلميها أن الرجل طلقني وكتب لي براءة وردي عليها هذا المال فإني لا أستحق في تركته شيئًا.

فرجعت الجارية فأخبرتها بهذا الحديث.

فهذه الزوجة الصالحة التقية قد وقفت من زوجها موقفًا مليئًا بالدروس والعبر، فقد تزوج عليها - وفي هذا لدى المرأة ما فيه - ولكنها تصرفت بحكمة، فحافظت على سر زوجها لدرجة أنها لم تحدثه في ذلك فضلاً عن أن تُشهر به، أو تعلن عليه حربًا شعواء - كما يحدث الآن من الكثيرات - ثم قامت بعد وفاة زوجها بأداء حق الزوجة الأخرى في الميراث، ولم تظلمها أو تنقسم منها، وفي هذا عدل أيما عدل وقد قابلت المرأة الأخرى هذه المعاملة بأفضل ما يكون منها، فرفضت أن تأخذ ما ليس حقًا لها، وأعلمتها بطلاقها منه قبل وفاته فرحمهما الله رحمة واسعة من امرأتين صالحتين.

دور الرجل في الأسرة﴿حق الزوجة على زوجها﴾:

الأسرة مسألة كبيرة وخطيرة؛ لأن الإنسان لم يخلق عبثًا بل كلفه الله ﷻ بالعديد من التكاليف التي يسأل عنها يوم القيامة، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقوله جل وعلا: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢، ٩٣]، ويحدد الرسول ﷺ منازل المسؤولية فيقول فيما رواه الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه :﴿**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**﴾.

فيجب على الرجل أن يعرف مسؤولياته، وكيف تؤدى ؟ وإلا قصر في أدائها ويترتب على ذلك مشكلات وسيئات تمحق البركة من الأرزاق، وينحرف الأولاد عن الطريق المستقيم، وهذا هو واقع الحال الذي نراه رأي العين، لقد فرضت الشريعة الإسلامية للزوجة حقوقًا تجاه زوجها وتعتبر من التكاليف والمسؤوليات التي بدونها لا تستقيم الحياة الزوجية من أهمها ما يلي:

أولاً: إعانة الزوجة على طاعة الله والتفقه في الدين:

من أهم المسؤوليات الملقاة على الزوج إعانة زوجته على عبادة الله سبحانه وتعالى، والتفقه في الدين من خلال حضور مجالس العلم والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وهذا ما أشار الله سبحانه وتعالى إليه في العديد من الآيات منها قوله ﷻ: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء:٣٤].

ولقد سمح رسول الله ﷺ للنساء بالصلاة في المساجد وحضور مجالس العلم بها، ودليل ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كن نساء المؤمنات

يشهدن مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلب إلى بيوتهن يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس. رواه البخاري ومسلم.

وقال رسول الله ﷺ:﴿**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**﴾.

والمرأة الصالحة تعين زوجها أيضًا على عبادة الله ﷻ بجانب تمتعه في الدنيا.

ثانيًا: حسن المعاشرة:

يجب على الزوج حسن معاشرة زوجته بالمعروف ودليل ذلك من الكتاب قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ويؤكد الرسول ﷺ على حسن المعاشرة بقوله ﷺ:﴿**أكمل المؤمنين إيمانًا آحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لأهله**﴾ (١).

وكان آخر ما وصى به رسول الله ﷺ: ثلاث كان يتكلم بهم حتى تلجلج لسانه وخفض كلامه، وجعل يقول:﴿**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، لا تكلفوهن ما لا يطيقون، الله الله في النساء فإنهن عندكم عوان في أيديكم -** يعني أسراء - **أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**﴾ (٢).

واعلم أن حسن المعاشرة معها ليس كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداءً برسول الله ﷺ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يومًا إلى الليل. متفق عليه.

وكان رسول الله ﷺ يقول لعائشة ﵂:﴿**إني لأعرف غضبك من رضاك**﴾ .

قالت: وكيف تعرفه ؟

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه النسائي في الكبرى، وابن ماجه في سننه، وانظر الصحيحة رقم (٨٦٨).

قال:﴿إذا رضيت قلت: لا وإله محمد، وإذا غضبت قلت: لا وإله إبراهيم﴾.

قالت: صدقت إنما أهجر اسمك. متفق عليه.

ولن تتحقق السكينة والمودة والرحمة بين الرجل وزوجته إلا من خلال المعروف، وقد قيل عن أحد الصالحين أنه قال: بقدر ما تسعد زوجتك تسعدك، وبقدر ما تزرع طيبًا تحصد طيبًا.

ولقد وصفت أعرابية زوجها فقالت: والله لقد كان ضحوكًا إذا ولج، سكيتًا إذا خرج، آكلاً ما وجد، غير مسائل عما فقد.

ثالثًا: الاعتدال في النفقة:

لقد أوجبت الشريعة الإسلامية النفقة على الزوج لزوجته، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾ [البقرة:٢٣٣]، ويقرر الرسول ﷺ فيما رواه الإمام البخاري:﴿**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:﴿**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**﴾ [(١)].

وقيل: كان لعلي بن أبي طالب أربع نسوة، فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحمًا بدرهم.

وقال سفيان الثوري رحمه الله:

بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة.

وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق: أن يطعمها من الحلال الطيب ولا يدخل مداخل السوء من أجلها فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها.

(١) رواه الإمام مسلم، كتاب الزكاة، (٢/٦٩٢).

ومن ضوابط الإنفاق الاعتدال والوسطية بدون إسراف أو تبذير وفي حدود الاستطاعة، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف:٣١].

رابعًا: تحصينها بالمداعبة والجماع:

الإنجاب من مقاصد الشريعة الإسلامية فلا يجوز لأحد الزوجين أن يحرك الآخر من حقه في المباشرة، وهذا الحق أوجبه الشرع الحنيف، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧].

ومن وصايا الرسول ﷺ: **﴿تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم﴾**. رواه أحمد.

فيجب القيام بحق الأهل انطلاقًا من قول الرسول ﷺ فيما رواه الإمام أحمد في مسنده: **﴿إن لربك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه﴾**.

زار سليمان الفارسي أبا الدرداء، وكانت هناك أحداث قبل نزول آية الحجاب؛ لأن الحجاب لم يُفرض إلا في مرحلة معينة في العهد المدني، رأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس في حاجة إلى الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كُل، فقال: إني صائم، قال سلمان وهو الضيف - لأبي الدرداء صاحب المنزل: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل - فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم قال: نم، سلمان يقول لأبي الدرداء، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ أبو الدرداء وذكر للنبي ﷺ ما دار بينه وبين سلمان، فقال له النبي ﷺ: **﴿صدق سلمان﴾**.

المرأة في ثياب رثة لأنها لا ترى اهتمامًا من الزوج بالفراش إطلاقًا وذلك الزوج عابد زاهد ففرط في حق الزوجة من زيادة العبادة فأعادته نصيحة أخيه إلى الوسطية المطلوبة.

خامسًا: حفظ الكرامة والمشاعر:

من مسؤولية الرجل تجاه زوجته أن يحافظ عليها من كل ما يمس شرفها أو فيه اعتداء على عرضها أو يقلل من عزتها كإنسانة، أو يسيء إلى سمعتها أو مشاعرها، أو الغدر بالميثاق الغليظ بينهما، فقد سئل رسول الله ﷺ ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال:﴿**تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**﴾. رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي.

سادسًا: الترويح والمزاح عن الزوجة:

لقد أوجبت الشريعة الإسلامية على الرجل أن يروح عن زوجته ويداعبها ويمزح معها وفي سنة رسول الله ﷺ العديد من النماذج العملية، كما لهن حق المشاركة في الاحتفالات مثل: الاحتفال بالعروس، والأعياد، والأنشطة الاجتماعية.

عن عائشة ﵂ أنها زفت الفارعة بنت أسعد إلى نبيط بن جابر الأنصاري، فقال لها رسول الله ﷺ:﴿**يا عائشة، ما كان معكم من لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو، فهل بعثتم جارية تضرب بالدف وتغني ؟**﴾، قلت: تقول ماذا ؟ قال:﴿**تقول: أتيناكم أتيناكم، فحيونا نحييكم، ولولا الذهب الأحمر، لم نحلل بواديكم، ولولا الحنطة السوداء، ما سمنت عذاريكم**﴾.
رواه الطبراني.

فقد ورد عن أم عطية ﵂ قالت: كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها وتخرج الحُيض فيكن خلف الناس فيكبرن تكبيرهن، ويدعون بدعائهم. رواه البخاري ومسلم.

وقالت أمنا عائشة ﵂: سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم يلعبون في يوم عاشوراء، فقال لي رسول الله ﷺ:﴿**أتحبين أن تري لعبهم؟**﴾، قالت: قلت: نعم، فأرسل إليهم فجاؤوا وقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون، وأنظر وجعل رسول الله ﷺ يقول:﴿**حسبك**﴾، قلت: لا تعجل، مرتين، ثم قال:﴿**يا عائشة، حسبك**﴾، فقلت: نعم فأشار إليهم فانصرفوا.

رواه النسائي في الكبرى بنحوه، وهو في الصحيحين مع اختلاف.

ومن وصايا الصالحين: الزوجة قارورة فاملأ قارورتك بما تحب أن تشرب.

ومنهم من قال: المرأة تحتاج إلى فضل مداراة ولطيفة من الحكمة وطرف من المواساة وباب من الملاحظة. والكلمة الطيبة صدقة.

سابعًا: للزوج معاونة الزوجة في مسؤوليات البيت:

أوجب الإسلام على الزوج أن يعاون زوجته في مسؤوليات البيت عندما تكون هناك ضرورة لذلك، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٢].

ولقد سئلت السيدة عائشة ﵂: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ فقالت: كان في مهنة أهله﴿أي خدمة أهله﴾، رواه الإمام البخاري.

وعن عائشة ﵂ تقول عن رسول الله ﷺ: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، رواه الإمام أحمد.

وقيام الزوج بهذه المسؤولية يقوي الرابطة والمودة والعطف والرحمة والحب بينهما كما يثاب على ذلك من الله ﷻ.

ثامنًا: الاعتدال في الغيرة:

وهو ألا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله ﷺ أن تتطلب

عثرات النساء. رواه الطبراني في الأوسط.

وفي صحيح الإمام مسلم: نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً أو يطلب عثراتهم.

ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره قال قبل دخول المدينة:﴿**أمهلوا ولا تطرقوا النساء ليلاً**﴾. رواه أحمد في مسنده بإسناد جيد.

لأن أهل البيت لهم حصانة ولا يجوز لك الدخول فجأة وذلك لثلاثة أمور:

الأمر الأول: كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا في غزاة مع النبي ﷺ فلما رجعنا تعجلت على بعير لي، فلحقني رسول الله ﷺ فقال:﴿**مالك يا جابر؟**﴾، فقلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بعرس﴿أي عريس جديد﴾، والمعركة انتهت فأريد أن أرجع إلى أهلي وزوجتي، فقال المصطفى ﷺ:﴿**تزوجت بكرًا أم ثيبًا؟**﴾، فقلت: ثيبًا، فقال:﴿**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟ بارك الله لك وعليك**﴾، يقول جابر: فنسخ رسول الله ﷺ بعيري فانطلق ما أنت راءٍ فبدأ يسرع فقال:﴿**يا جابر إذا قدمت المدينة فالكيس الكيس**﴾، يقول عُلمائنا الكرام، فاتصل بأهلك على الحالة التي ينشدها لإتيان الولد الذي يعبد الله ويوحده، يقول جابر: ثم نادى رسول الله ﷺ وقال:﴿**أمهلوا النساء حتى أصبحنا**﴾، يقول جابر: ثم نادى رسول الله ﷺ وقال:﴿**أمهلوا النساء ولا تطرقوا النساء طروقًا حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة، انتظروا حتى ندخل عشاءً**﴾، أي: بين المغرب والعشاء.

الأمر الثاني: لعل أهل البيت في أمر لا يحبه الله ﷻ والله أمرنا بالستر وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة:١٨٩].

أما أن تأتي في وسط الليل وأن تتخونهم وتتطلب عثراتهم فهذا لا يجوز وهذا شرع الله، ثابت عن نبينا الأمين ﷺ، ففي صحيح مسلم ومسند

الإمام أحمد ومستدرك الحاكم، عن عبد الله بن عمرو ابن عباس ﷺ قالا: نهى رسول الله ﷺ الرجل أن يطرق أهله طروقًا، أي: لا يتخونهم ويتطلب عثراتهم.

وقد خالف هذا الحديث صحابيان كما ثبت ذلك في سنن النسائي ومسند الإمام أحمد عن جابر والحاكم عن عبد الله بن رواحة: قالا: نهى رسول الله ﷺ أن تُطرق المرأة ليلاً، فطرق رجلان كلاهما وجد من امرأته ما يكره.

وقد بوب عليه الإمام الدارمي﴿باب تعجيل عقوبة من بلغه حديث رسول الله ﷺ فلم يعظمه﴾.

الأمر الثالث: لا يجوز لك أن تطرق بيتك طروقًا بعد العشاء الآخرة على أهلك إلا أن تعلمهم خشية أن تقع عينيك على أهلك في محظور والأهل ليس في محظور يخالف الشريعة المطهرة وهذا الأمر حصل لعبد الله بن رواحة، وقد ذكر هذا الأثر في كتاب﴿مسند أبي عوانة﴾.

والحديث ذكره الإمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك، أن عبد الله ابن رواحة جاء من سفر، وطرق الباب على أهله طروقًا فوجد مع أهله من يمشط لها شعرها، فهوى إليها بالرمح ليضربها فقالت: إليك عنها إنها جارتي، وظنها عبد الله بن رواحة أنها رجل غريب مع زوجته، قالت: إنها معي هذه الليلة أستأنس بها فهي تمشط لي شعري وتضع لي الحنة وأنا أفعل لها مثل هذا ما الذي حدث في ذلك ؟ فذهب عبد الله بن رواحة وذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله طروقًا، والطرق يكون بعد العشاء.

* * *

وصايا غالية للمرأة المسلمة

لقد حفظ التاريخ وصايا جمة، ولم يذع منها إلا القليل ولقد حرصت على جمعها ليكون نبراسًا للأخت المسلمة ودافعًا لها لتملأ بيتها سعادة وبهجة وأسوق إليك ابنتي الغالية هذه الوصايا:

الوصية الأولى:﴿وصية خارجة الفزاري﴾:

وهي وصية لرجل قام مقام الأم مع ابنته بعد وفاة أمها وهو﴿خارجة الفزاري﴾ الذي كتب إلى ابنته﴿هند﴾ حين أراد الحجاج بن يوسف أن يتزوجها قال: يا بنية، إن الأمهات يؤدبن أولادهن البنات وإن أمك هلكت فعليك بأطيب الطيب وهو الماء، وأحسن الحسن وهو الكحل، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها قطيعة للود، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وكوني لزوجك أمة يكن لك عبدًا، واعلمي أني أنا القائل لأمك:

خذ العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرة الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب ... ويأباك قلبي والقلوب تتقلب

فإني وجدت الحب في الصدر ... إذا اجتمعنا لم يلبث الحب يذهب

ما أجملها من وصية لأب قام مقام الأم، فأحسن التربية، وأحسن نصح ابنته، ينصحها بالمحافظة على جمالها والتفنن في إظهارها لزوجها، لأن ذلك سر من أسرار دوام الحياة واستمرارها، فتفريط الأخت المسلمة في ذلك مردود على حياتها وعلى سعادة بيتها.

الوصية الثانية:

وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس عند زفافها إلى ملك كندة، فقالت:

أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها وشدة حاجتها إليهما، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال.

أي بنية، إنك فارقتي الجو الذي منه خرجتي، وخلفت العُش الذي فيه درجتي إلى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا فكوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا.

أي بنية، احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرًا وذكرًا:

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء والصابون أطيب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالعناية ببيته وماله، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سرًا، ولا تعصي له أمرًا، إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيتي أمره أوغرت صدره.

ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحًا، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا يكن أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما يكون لك موافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت

وكرهت والله يخير لك.

فحُملت إلى زوجها - وهو أمير كندة - فعظمت في عينيه وكانت أثيرة﴿يؤثرها على غيرها﴾، لديه وولدت له سبعة من الذكور كانوا ملوكًا بعده.

الوصية الثالثة:

وصية أب لابنته من سيرة سلفك الصالح لتكون لك ضياء على الطريق:

نصح أحد الآباء ابنته فقال:

١- احذري الكذب على زوجك فالكذب يخلق في نفس الرجل الشك والارتياب وهما سم الحياة الزوجية.

٢- احذري شدة الانفعالات العصبية فهي تجعل البيت شبه جحيم.

٣- احذري الإسراف في التجمل متى كان زوجك غيورًا لأن ذلك يغضب الغيور ويثيره، ويلقي في روعه أن زوجته تتجمل لسواه، حتى لو لم تكن في الواقع كذلك.

٤- لا تمتدحي أي غريب أمام زوجك، فالزوج يكره ذلك بل لا يحب أن يسمع تفضيل مخلوق عليه.

٥- احذري البطنة فإنها تفسد الجمال، وتنحدر بالمرأة إلى مصاف الحيوان.

الوصية الرابعة:

وصية أم لابنتها فقالت: أي بنية: لا تغفلي عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضيء وجهك، وتحبب فيك زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوي جسمك على العمل، فالمرأة التفلة تمجها الطباع، وتنبو عنها العيون والأسماع، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مسرورة، مستبشرة فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه.

الوصية الخامسة:

أوصت أم ابنتها ليلة زفافها قائلة:

١- لا يبرح من ذهنك أنك تزوجت بإنسان لا بكائن فوق البشر فلا تأخذك دهشة مما ترينه فيه من النقص والعيب.

٢- قد يكون زوجك بلا قلب ولكن له على كل حال معدة يجب إرضاؤها بتهيئة ما تشتهيه من الأطعمة.

٣- اتركي له من آن إلى آخر الكلمة الأخيرة والقول الفصل، ففي هذا ما يسره ولا يضرك.

٤- كوني معه على أدب تام دائمً، وتذكري أنه هو خطيبك الذي كنت تنظرين إليه كمن هو أرقى الكائنات، وأنه لا مسوغ لتغيير وجهة النظر بعد الزواج.

٥- دعيه يعتقد من آنٍ لآخر أنه أكثر منك علمًا وأغزر معرفة فإن في هذا الاعتقاد ما يسره ويرضي عواطفه، باعتبار كونه رجلاً.

٦- احترمي آله وخصوصًا والدته أحبها قبل أن يحبك.

خير النساء وأفضلهن:

أختنا الغالية، إن خير النساء وأفضلهن المطيعة لربها، المرضية لزوجها، المتحببة إليه، المتقربة منه، الشاكرة للفضل، الذاكرة للنعمة، الساترة للسيئة، الصابرة وقت الشدة، المشاركة لزوجها في السراء والضراء.

وإليك - أختي المسلمة - بعض صفات لخير النساء كما رآها سلفنا الصالح:

قيل لعائشة رضي الله عنها: أي النساء أفضل ؟ فقالت: التي لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدي لمكر الرجال، فارغة القلب، إلا من الزينة لبعلها والإبقاء في الصيانة على أهلها.

وقال الإمام علي ﷺ: خير النساء العفيفة في فرجها، الطيعة لزوجها.

وقال خالد بن صفوان: إنما الدنيا متاع، وليس من متاعها أفضل من امرأة صالحة.

وكان محمد بن علي يدعو ويقول: اللهم ارزقني امرأة تسرني إذا نظرت، وتطيعني إذا أمرت، وتحفظني إذا غبت.

وقالوا: يستحب في المرأة عفاف أربعة:

أن تكون عفيفة الطرف. أن تكون عفيفة البطن.

أن تكون عفيفة اللسان. أن تكون عفيفة اليد.

النساء ثلاث:

من كتاب الأمالي لأبي علي القالي:

كان يقال: النساء ثلاث: هينة لينة، عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها.

وأخرى: وعاء للولد.

وأخرى: غُلٌّ قملُ يضعه الله في عنق من يشاء.

فكوني أختي المسلمة الأولى لتفوزي بخيري الدنيا والآخرة.

سئل أعرابي عن النساء وكان ذا تجربة وعلم بهن فقال: أفضل النساء، وأصدقهن إذا قالت، والتي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئًا جودت، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الولود، وكل أمرها محمود.

عليك بحسن الخلق:

وعلامة حسن الخلق عشرة أشياء: قلة الخلاف، وحسن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة،

واحتمال الأذى، والرجوع، والملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب غيره، وطلاقة الوجه للكبير والصغير، ولطف الكلام لمن هو دونه وفوقه.

* * *

الحب القلبي والتفاهم العقلي والتناغم الجسدي﴿للنساء فقط﴾

أختـي في الله:

أكتب إليك هذه النصائح من قلب وعقل يفيض أملاً أن يجد البسمة والراحة والطمأنينة والسعادة تغمر حياتك في الدنيا والآخرة، راغبًا في كسر حواجز الجليد بين أخت مسلمة عفيفة وزوجها العفيف راجيًا أن تؤخذ هذه النصائح بكل جدية وذلك ما يلي:

١- أنت السكن لزوجك ولم يسعد آدم ﷺ حتى خلق الله له حواء، فالنساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال، ولابد أن نسعى بكل همة للسكينة والمودة والرحمة.

٢- أنك أول من تجني ثمار مجاهدتك لنفسك لتحقيق السعادة، وستصلين إن شاء الله إلى الأمان والحب والسعادة والاستمتاع والإشباع.

٣- زوجك هو جنتك ونارك هو كنفك القوي وحلمك الندي، وقلبك الذكي، فضلاً عن كونه أبًا لفلذات أكبادك، وحبات فؤادك.

٤- لو أحصيت كل ما لديك من ذهب وملابس وسيارات وبيوت ورصيد بنكي لا يساوي كله لحظة حب صادق متدفق وأمان كامل في أحضان زوج يفيض حبًا لك وشوقًا إليك.

٥- أنت برقتك باحثة عن الحب قبل كل شيء فانثريه تجدينه مثل الحبة التي تلقى في أرض خصبة، ثم راعي هذه النبتة حتى تكون شجرة مثمرة مورقة يانعة وأنت إذا أحببت ضحيت بكل غالٍ ورخيص، فابذلي ابتغاء وجه الله وستجدين بره في الدنيا والآخرة، فإن لم يكن ثمر في الدنيا فإن هناك أجرًا فياضًا في الآخرة، ولا تنسي أن الله تعالى يجزي على

مثقال الذرة من الخير والشر.

٦- نحن نعيش في مناخ الفتن فإذا لم تبذلي قصار جهدك لاحتواء زوجك حبًا وتفاهمًا وتناغمًا فإن مخالب الفتن تنتظره خارج المنزل بل داخله في الانترنت والتلفاز وغيره من الفتن هنا تطرق الأبواب وكثيرًا ما يصبر الزوج لكنه سرعان ما ينهار أمام الفتن.

أولا: مفاتيح الحب القلبي للزوج:

١- أصلحي ما بينك وما بين الله تعالى؛ لأن قلب زوجك ليس بيده ولا بيدك، بل بين أصابع الرحمن، فالجأي إليه في السراء والضراء، وتضرعي إليه في الليل والنهار، واجعلي في كل سجدة هذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤].

٢- أمسكي ورقة وقلمًا واكتبي حسنات زوجك فقط وقولي: الحمد لله الذي رزقني مثله، لا تقارني بينه وبين أحد فهو نصيبك بل ربما كان قدرك إما غفرانًا لذنب قديم أو رفعًا لدرجات في الجنة وكلاهما خير إن شاء الله.

٤- اجعلي أول طريق إلى قلب زوجك هو بسمة تغمر كل وجهك ثم كلمة رقيقة تخرج من أعماق قلبك، وانثري كلمات الحب والشوق والتقدير والإعجاب في كل وقت.

٤- أطيلي النظر في سويداء عينيه وأشعريه برقائق حبك في عينيك﴿الصبُ تفضحه عيونه﴾، كما تقول العرب.

٥- قدمي الحب قبل الرأي حتى لا يراك متسلطة بل حريصة شفوقة، وفي المثل:﴿حبيبك يبلع لك الزلط وعدوك يتمنى لك الغلط﴾، والشاعر يقول:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

٦- أقلي اللوم والعتاب فإن أي رجل يكرهه، ولا تبدأي بنقد قبل ذكر فضله؛ لأن هذا يسحب من رصيد الحب، إن وجد، ويوسع الفجوة القلبية.

٧- إذا لم يبال الزوج بمشاعرك ولم يقدر قلقك على تأخره، وحرصك على معاشه، فاصبري واستمري في بذل الحب ابتغاء رضوان الله، وسيعوضك الله معه في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

٨- في مناسبة الزواج أعدي شيئًا خاصًا لزوجك واجعلي منها مناسبة لسؤاله عما يريد منك ولم يجده.

٩- إذا غضبت وأخطأت فأسرعي بالاستغفار ثم طلب المسامحة منه.

١٠- قبلة الرأس واليدين والمسح على شعره فيها ما فيها من المودة القلبية والاعتراف بفضله.

١١- أكثري من ذكر أن زوجك هو الرجل الوحيد في حياتك هو أحب رجل إلى قلبك، هو أملك أن يكون رفيقك في جنة النعيم.

ثانيًا: مفاتيح التناغم الجسدي للزوج:

١- كوني زهرة يانعة ناضرة وليست ذابلة شاحبة، سواء بكثرة الوضوء والاهتمام بالاغتسال يوميًا والتمشط والتطيب.

٢- لا تتوقفي - إذا انفردت مع زوجك - عن البسمة الأنيقة والقبلة العميقة واللمسة الرقيقة والهمسة الشفيقة والضحكة الساحرة، واقتربي من عينيه وأمعني النظر طويلاً فستجدين سبيلاً من الرغبة لديكما يجعل للمعاشرة مذاقًا خاصًا، وأجمل امرأة لو عبست في وجه زوجها فهي أتعس امرأة شكلاً وموضوعًا.

٣- تكلمي مع أخت مسلمة عن فنون إرضاء الزوج في جلسة خاصة، وخذي نصائحها بجدية؛ لأن بعض الأزواج للأسف رأى أفلامًا ويرغب

من داخله أن يجد في الحلال ما رآه في الحرام وهو قد يشق عليك، لكن البديل خطير جدًا هو فتور الزوج نحوك، وتحوله إلى غيرك ساعتها ندم لا ينفع.

٤- العبي رياضة أمام زوجك واجعلي كل ذرة من جسمك تهتز في نغم مثير فجميع الأزواج يرون في الطرقات نساء يتربصن سواء رغمًا عنه، أو بتجاوز منه، وفي الحديث أن:﴿**من رأى من امرأة شيئًا أعجبه فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه**﴾ [1]، فإن لم يجد في زوجته الحلال مثل ما مع المرأة في الحرام أنف الحلال وجاهد نفسه - بلا داع - أو زلت به القدم بعد ثبوتها.

٥- تعمدي إثارة كل شيء في زوجك بالحركات الجسمية وإظهار مفاتنك واللمسات لجسمه وتدليك ظهره وتفنني في القبلات المتنوعة في أماكن متعددة حتى لا يبقى وتر في زوجك حسي أو معنوي إلا وقد استمتع وشبع تمامًا فيخرج وقد امتلأ قلبه حبًا وجسده راحة فلا يرجع إلا إليك.

٦- تذكري أن الأصل في الأشياء الإباحة، إلا ما ورد الدليل بحرمته، والمحرم هو الوطء في الدبر، وفي الحيض، والإحرام، والصيام الواجب، أما عدا ذلك فهو حلال زلال، فابتكري وكوني بارعة في التجديد والابتكار لتستمتعي وتشبعي أنت ثم يصدر زوجك عنك وهو لا يفكر في امرأة جديدة لأنك دائمة عروسة جديدة.

٧- يحب الرجل بعد المعاشرة أن يجد قبلة الرضا، وعناق الشكر، وأدركيه بأكلة في الصباح أو بعده فإن الجماع يجيع الرجل كما ذكر الإمام الشافعي.

---

(١) مسلم (١٤٣).

٨- أرجوك بالله ألا يسول لك الشيطان - كما حدث للبعض - أن تتعرفي على فنون المعاشرة من الانترنت والتلفاز فإن هذا حرام لرؤية العورات، ثم هو مفسد لك وله معًا؛ لأن المقارنات هي أول أبواب الفساد لكما، وإذا كنت تتخيلين حجم عزوف الأزواج عن زوجاتهم بعد مشاهدة هذه المناظر الهابطة فلن تفعليها أبدًا إن شاء الله تعالى.

٩- إذا كان الزوج ضعيفًا في تلبية حاجاتك فأنصح هذه الأخت بما يلي:

- كثرة الصوم فإنه وجاء وتحتسبي وتكثري من الدعاء وتنتظري من الله الأمل والرجاء.

- تذكري أن هناك أخوات تزوجن منذ ثلاثين عامًا لم يعاشرها زوجها إلا مرات معدودة على أصابع اليد الواحدة وتصبر عليه وتربي له أولاده.

- انصحي الزوج بأن يعالج أو يذهب لطبيب ولا يحرج من وضع العلاج له ضمن علاجه العام.

- عدم النوم على الظهر لأنه يذكر بالرغبة وقلة التفكير في العلاقة الخاصة قدر الوسع.

- لا تقفي متجردة أمام المرآة وغضّ البصر عن أعضائك الخاصة لأن نظرك إليها يجلب الرغبة.

- التخفيف من أكل اللحوم الحمراء والبيض والأطعمة المثيرة والبهارات المثيرة للرغبة.

- إذا كان الخيار بين فراق زوجك أو أزمات دائمة وأن تستمني بيدك حتى تفرغي بعض رغبتك فيجوز للضرورة خاصة إذا خافت الأخت الفتنة على نفسها، لكن يفضل أن يكون بعد استشارة - دون ذكر الاسم - لأحد من الأمناء من العلماء العاملين.

- إذا لم ينفع كل ذلك فمن حقك شرعًا فراق زوجك بعد طلب ذلك بأدب وأصالة دون تشهير به، ولا حرج من ذكر سبب آخر ثانوي على أنه الأصل لكن هذا من باب الضرورة إذا كانت الأخت على حافة الحرام والانزلاق في مستنقع الرذيلة.

١٠- تذكري أن الاحتساب في أية رغبة فاتت ستعوض في الجنة إن شاء الله إن صبرت صبرًا جميلاً عفيفًا لقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

والدنيا كلها لا تساوي في الآخرة ساعة من نهار فاصبري حتى يقضي الله بالفرج في الدنيا أو النعيم المقيم في الجنة إن شاء الله رب العالمين.

وأسأل الله العلي العظيم أن يسدد خطاك على طريقه المستقيم.

* * *

مفاتيح الحب القلب والتفاهم العقلي والتناغم الجسدي﴿للرجال فقط﴾

أخي الزوج:

أكتب إليك والله يعلم قدر حبي لك، وحرصي عليك، وأملي أن تذوق سعادة الدنيا بالحياة الزوجية الرائعة والسعادة الأخروية مع زوجك وولدك في الفردوس الأعلى من الجنة، ولذا أرجو أن تؤخذ هذه النصائح العملية بجدية وذلك لما يلي:

١- زوجتك هي حبة قلبك وشريكة حياتك، وقد نص القرآن على أنها جزء من نفسك: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء:١]، فإكرامك إياها دليل نبل خلقك، وسمو منزلتك،﴿**خيركم خيركم لأهله**﴾ [1].

٢- السعادة الزوجية لابد من إقدام كل على الآخر فهي علاقة ذات طرفين يلتقيان فيصيران قلبًا وعقلاً وجسدًا واحدًا: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧]، وإذا كانت القوامة لك فإن المبادرة يجب أن تبدأ منك وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

٣- أول من يجني ثمار بذور الخير هو أنت وأولادك في جلب الهدوء والراحة والاطمئنان إلى جنبات البيت وتكون الجنة إن شاء الله في انتظارك عندما تُدخل البسمة والفرحة على زوجك وولدك وعائلتك، واعلم أن الحياة بكل زينتها وزخرفها لا تساوي لحظة حب صادق وتوافق كامل في العقل والروح والجسد وهي نعمة الله تعالى قال عنها: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

(١) الترمذي (٣٨٩٥)، وقال الألباني: صحيح.

٤- هناك مفاتيح للسعادة الزوجية، مفتاح الحب القلبي، ثم مفتاح التناغم الجسدي.

أولا: مفاتيح الحب القلبي للزوجة:

١- أصلح ما بينك وبين الله تعالى فإن القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وهو وحده الذي يؤلف بين القلوب فعلى قدر قُربك من الله يتسع الحب بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

[الأنبياء:٩٠]

٢- العدل في الرضا والغضب، ثم الفضل بعد العدل، ففي كل إنسان جوانب من الخير وأخرى من السلبيات فلو تدبرت حسنات زوجتك بإنصاف فستجد الكثير مما تبني عليه المودة القلبية.

٣- ابتسم من قلبك، وتكلم بحب وإخلاص، ورقة، ولين، فالابتسامة صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وتكفي وصية الحبيب ﷺ بنسائنا قبل موته.

٤- تكلم من عملك مرات كل يوم(على الأقل مرتين) تسأل عنها هي لا عن الطعام، أو الفواتير، أو الأولاد، بل عنها هي حتى تشعر أنها دائمًا في عقلك وقلبك ووجدانك.

٥- أشعرها بقوة عند تأخرك أو سفرها بشدة افتقادك لها.

٦- من الأهمية بمكان أن تفشي السلام على زوجتك عند اليقظة والخروج والدخول، مع الابتسامة والعناق خاصة قبلة الرأس، والجبين، واليدين، اعترافًا بفضلها وإكرامًا لمنزلتها وها هي عائشة ﵂ تعاتب أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر عندما دخل على زوجته دون أن يعانقها فقال: إني صائم، فقالت: إن رسول الله ﷺ يفعله، كما روى في موطأ الإمام

مالك، أن عائشة ابنة طلحة كانت عند عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هنالك وهو عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي بكر،فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنوا من أهلك تقبلها وتلاعبها ؟ قال: أقبلها وأنا صائم ؟ قالت: نعم [1].

٧- اكتب لزوجتك بطاقة صغيرة أو رسالة طويلة خاصة إذا طرأ سفر لأحدكما واسترسل في مشاعرك فإنها تزكو بالحوار والكتابة والفكر.

٨- كن عطوفًا عليها خاصة عند مرضها أو فترة حيضها مع مروءة مساعدتها والوقوف بجانبها عند المرض، أو وفاة أحد أقاربها، أو أي حدث يجعلها تشعر بالأمان في السراء والضراء، وتبني لك رصيدًا كبيرًا من الحب.

٩- الهدية ولو رمزية﴿شيكولاتة﴾، أو وردة هي رسالة رمزية موحية جدًا﴿**تهادوا تحابوا**﴾ [2].

١٠- كن سمحًا مع الأخطاء، سريع الفيء إذا غضبت ولا تطل الهجران فإنه يعصف بالحب مهما كان.

١١- الاهتمام بالإعداد لحفلة مناسبة الزواج تقدم فيها هدية مع ذكريات طيبة وأحمد الله على أن جمعكما تحت سقف واحد.

ثانيًا: مفاتيح التناغم الجسدي للزوجة:

١- يلزم امتداح الزوجة في رقتها وعينها، ولبسها وصورتها وليس فقط في غرفة النوم بل في كل فرصة لا تفسد صومًا ولا حجًا ليلاً أو نهارًا همسًا أو جهرًا فيما بينكما.

٢- أعلن أن جمالها المعنوي والجسدي سر رغبتك الشديدة نحوها.

٣- احرص جيدًا على نظافة الفم وترجيل الشعر وتحسين ملابسك

(١) الموطأ (٦٤٤).
(٢) البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وقال الألباني: حسن.

ومس الطيب بعد الاغتسال.

٤- احرص على التجديد والابتكار سواء في كيفية المعاشرة أو مكانها أو زمانها أو التهيئ لها.

٥- أطل المقدمات مثل مقبلات الطعام قبل الوجبة الدسمة ولا تعجل فلست في سباق، بل احرص على أمرين دائمًا الاستحمام، الإشباع، واحرص أن تعطيها قبل نفسك تعطك الكثير ما لا تحلم به.

٦- تحدث مع زوجتك عن مدى استمتاعك وإشباعك منها دون حرج فقد أحل الله الرفث بين الزوجين إلا في إحرام أو صيام وكن راغبًا في السؤال عن كل ما يزيد متعتها ويكمل رغبتها.

٧- إذا خانتك رغبتك قبل أن تشبع زوجتك فتهيأ في مرة قريبة قبل فوات الأوان للرغبة حتى تعطيها الفرصة للاستمتاع والإشباع لتشعر بك سخيًا كريمًا في الفراش ولست أنانيًا في كل وقت.

٨- تعفف خارج البيت وادخر كل طاقتك لأهلك ولا توزع رصيدك على الحرام فلا يبقى منه للحلال.

٩- إياك ومستنقع التقليد والمقارنات فلا تستوي العفيفات الطاهرات من زوجة تستحي أن تتكلم معك فيما أحله الله أن تكون مثل عاهرة ترتكب الزنى تحت ضوء الشمس وعدسات الكاميرات مع العشرات من الرجال وتأكد أن فطرتك النقية فيها الكثير من الإبداع والاستمتاع فلتكن صاحب براءة الاختراع وليس تقليدًا أعمى لهذا الخداع.

١٠- إعفافك لزوجتك لذة الدنيا وثواب الآخرة وراحة لقلبك من وساوس الشيطان.

وأسأل الله العظيم أن يجمع بينكما في خير ويخير لك ويختار إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *

الفصل الثالث

وظيفة الأسرة وأثرهــا البعيــد

وظيفة الأسرة وأثرها البعيد

للأسرة أثر بعيد في تنشئة الأولاد وإحكام سيرتهم ولا نغالي إذا قلنا: إن الأسرة هي الأصل الأول في وراثة اللغة والدين وقد أثبت العلماء الأخلاقيون أن الحاكم في التربية والسلوك هما:

الوراثة والبيئة مع اختلافهم في قوة أحدهما وما أجمل قول الشاعر العربي:

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

ونظلم الحقيقة والواقع إذا قلنا: إن الأب وحده هو الذي يبث هذه العادات في نفوس الأبناء فللأم أثرها الخطير في المواريث الجسيمة والمعنوية.

وعندما جاءت مريم عليها السلام بوليدها النبي العظيم عيسى ﵇ من غير أب قيل لها: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم:٢٨].

إن أثر الأبوين معًا يرتقب في ذريتهما ويلتمس في الأبناء بل في الأحفاد كذلك، ومن ثم فنحن نعد البيت مسؤولاً عن نتاجه ونطلب من الأب والأم معًا العناية التامة بحاضر الأبناء ومستقبلهم ويستحيل بناء مجتمع صالح على بيوت خربة، إن فقدان التربية نذير بالأمة لا مستقبل لها.

ولذلك اهتم الإسلام بالأبناء فهم ثمرة الزوجية وأمل الأمة، فوجه الآباء إلى إحسان تربيتهم والعناية بهم، وحضهم على ذلك فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا

تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾

[لقمان:١٣- ١٩]

فهذه الوصية الجامعة المخلصة من أب لابنه تحمل ما يلي:

١- فيها في المقام الأول بيان صحة العقيدة.

٢- ثم بين الله تعالى في قوله جل شأنه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [العنكبوت: ٨]، مقدار ما يتحمله الأبوين في سبيل أبنائهما وخص الأم وبين مقدار ما تعانيه في سبيل أبنائها.

٣- الطاعة الكاملة بلا تردد أو تذمر، إلا إذا كان في الأمر معصية لله تعالى﴿فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق﴾.

٤- التوجيه إلى مراقبة الله وخشيته والخوف منه.

٥- التوجيه إلى القيام بالعبادات وفي مقدمتها الصلاة.

٦- الإرشاد إلى فعل الخير وإسداء النصح للغير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يلاقيه في سبيل ذلك الخير.

٧- الإرشاد إلى الخلق الحسن في معاملة الناس وعدم التكبر على أحد.

٨- عدم رفع الصوت والتصرف السليم في كل الأمور.

وقد قال رسول الله ﷺ:﴿**ما نحل والد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن**﴾ [١]، والنحلة: هي العطية أو الهدية.

ولما كان الأولاد هم في الآخرة شفعاء لآبائهم وأمهاتهم إن ماتوا صغارًا، وحسناتهم يوضع مثلها في ميزان الآباء والأمهات إن كبروا صالحين وعاشوا مؤمنين، ولهم شفاعتهم إن ماتوا شهداء مقربين إلى رب العالمين.

فقد قرر الإسلام الحنيف لهم حقوقًا منها الواجب ومنها المستحب وهي: النفقة، والتسوية بينهم في المعاملة، والتربية والتعليم.

الحق الأول: النفقة:

نفقة الأولاد ذكورًا وإناثًا واجبة على الوالد حتى يشتد عود الذكر ويستطيع الكسب ليعول نفسه، وحتى تتزوج الأنثى، والأب الذي يقصر في الإنفاق على أولاده آثم، لأنه يعرضهم إلى الضياع والتشرد لقول رسول الله ﷺ:﴿**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**﴾ [٢]، وقوله ﷺ:﴿**إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**﴾ [٣].

وهذه الأحاديث يجمعها قوله ﷺ:﴿**كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته**﴾ [٤].

وقد جعل الإسلام نفقة الرجل على أسرته وأهل بيته مقدمة على أي نوع آخر من أنواع النفقة فقال ﷺ:﴿**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**﴾ [٥]، وحرصًا من الإسلام على المرأة وعفتها وحيائها ورقتها فقد جعل ثواب الآباء في النفقة على الإناث عظيمًا فقال ﷺ:﴿**من عال**

(١) الترمذي (١٩٥٢)، وقال الألباني: ضعيف.
(٢) الحاكم (٣١٧/٨) وقال الذهبي: صحيح على شرط البخاري ومسلم.
(٣) الترمذي (١٧٠٥) وقال الألباني: صحيح.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) البخاري (١٤٢٧)، (١٤٢٩).

جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو﴾ [١]، وضم أصابعه.

وفي أخرى قال:﴿**من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين﴾** [٢]، وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها. رواه الترمذي.

والمراد من الحديث أن من قام برعاية بنتين أو أختين فأنفق عليهما وأحسن أدبهما جعله الله يوم القيامة في منزلة الجار الملاصق للنبي ﷺ في الجنة.

الحق الثاني: التسوية في المعاملة:

إن إيثار بعض الأبناء على البعض الآخر يعود على الأولاد بأسوأ العواقب لما يولد في نفوسهم من روح الحقد والحسد والكراهية، وما ينزعه من عواطف الحب والمودة فيما بينهم وفيما بينهم وبين الآباء، هذا فوق ما تسببه التفرقة في المعاملة من الإصابة بالعقد والأمراض النفسية التي تعرضهم للانحراف، إن إيثار بعض الأبناء على البعض لاسيما إيثار البنين على البنات كما يحدث في مجتمعاتنا عادةً عندما حادت عن أخلاق الإسلام وهديه إلى أخلاق الجاهلية، من أقبح الفعال وأرذل الخصال التي حاربها الإسلام، فقال رسول الله ﷺ:﴿**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم﴾** [٣].

والأصل في هذا الأمر ما رواه النعمان بن بشير، قال: إن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله ﷺ:﴿**أكل ولدك نحلته مثل هذا؟﴾**، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ:﴿**فارجعه﴾** [٤].

---

(١) مسلم (٢٦٣١).
(٢) الترمذي (١٩١٤)، وقال الألباني: صحيح.
(٣) صحيح الجامع (١٠٤٦) .
(٤) مسلم (١٦٢٣).

وغلام: المراد به عبد مملوك نحله أبوه، أي: أعطاه إياه هبة وهدية دون إخوته.

وجاء في رواية أخرى، أن رسول الله ﷺ قال:﴿**أفعلت هذا بولدك كلهم؟**﴾، قال: لا، قال رسول الله ﷺ:﴿**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**﴾، قال: فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

وفي رواية قال:﴿**فلا تشهدني إذًا فإني لا أشهد على جور**﴾ [(١)].

وكثيرًا ما يحدث التمزق الأسري والتناحر والتقاتل بأن يقتل أحد الأخوة أخاه أو أخته أو أحد والديه بسبب وقوع الأبوين أو أحدهما في خطأ التفضيل، سواء التفضيل في العطف، أو التفضيل في العطاء المادي، وقصة إخوة يوسف مع أخيهم سيدنا يوسف عليه السلام مع أبيهم معلومة وهم الذين تربوا في بيت رسول الله من سلالة الأنبياء والمرسلين.

وفي واقع حياتنا اليوم من الوقائع ما يدعم ما سبق، وهذه الواقعة نشرتها الصحف القومية بعد التحقيق الرسمي للنيابة وهي كما وردت بنصها:

نشرت الأهرام في عددها الصادر بتاريخ الثلاثاء ٥ من مارس ١٩٩٦م
ما يلي:

اعترافات مثيرة لقاتل شقيقيه في طوخ.

الأب أصيب بالشلل بعد الحادث، والأم نقلت إلى المستشفى في غيبوبة.

أمر أشرف مرسي رئيس نيابة طوخ بحبس طالب الثانوي المتهم بقتل شقيقيه بعد اعترافه تفصيليًا بارتكاب الجريمة وقام بتمثيلها أمام محمد

(١) البخاري (٢٦٥٠)، مسلم (١٦٢٣).

الغمري، وسعد سرحان وكيلي النيابة داخل شقة والديه بمدينة قها، كما أمرت النيابة بإشراف المستشار نبيل عبد الحق المحامي العام لنيابات شمال بنها باستعجال تقرير الطبيب الشرعي لفحصه والتأكد من سلامة قواه العقلية، وما إذا كان يتعاطى المواد المخدرة من عدمه، ومن جانب آخر تركت المأساة آثارها على هذه الأسرة المنكوبة، حيث أصيب الأب بشلل كامل ليلة أمس الأول بينما أصيبت الأم بغيبوبة سكر وتم نقلها إلى المستشفى وأدلى المتهم باعترافات مثيرة عن حياته وطريقة تفكيره في الجريمة فقال:

اسمي: محمد عبد العزيز الشيخ، طالب بالصف الثاني الثانوي، عمري ١٦ عامًا، وبضعة شهور، وقال: أنا أحب أشقائي ووالدي، والظروف السيئة هي التي وضعتني في ذلك الموقف منذ طفولتي، كان أبي يعاقبني دائمًا، وكانت أمي تميز أختي﴿مي﴾؛ لأنها كانت تساعدها في أعمال المنزل وأنا ولد كما يقولون: فاشل، صايع، ودائمًا يقارنوني بشقيقتي﴿مي﴾، المرتبة الناجحة، حتى ونحن في السعودية فضلوا﴿مي﴾ عليَّ، كانت والدتي في إعارة ٤ سنوات، وسافرنا معها، وكان أبي مرافقًا لها بدون عمل، حتى تعب هناك، وطلب من والدتي مد مدة الإعارة حتى تتمكن أختي من الحصول على الثانوية العامة من السعودية والالتحاق بالجامعة في مصر، فوافقت، وعندما جاء دوري وأصبحت أنا في الثانوية العامة في العام الرابع من الإعارة رفض أبي وأمي أن يصبروا حتى أحصل أنا كذلك على الثانوية وأضاعا من عمري عامًا حيث حضرت إلى القاهرة، وأعدت سنة ثانية ثانوي وكانوا دائمًا يشيدون بنجاح﴿مي﴾ وثقتهما فيها كانت بلا حدود، وأي حاجة تطلبها تجاب ودون تردد حتى مفتاح الشقة كان معها، وعندما طلبت من والدي الحصول على مفتاح مثلها لأنني أحيانًا أرجع من المدرسة مبكرًا في غيابهم وأضطر للانتظار في الشارع بملابس المدرسة لحين حضورهم لفتح باب

الشقة، رفض وكان زملائي يشاهدونني وأنا منتظر على السلم أو في الشارع ويعايرونني بأني عيل وطفل صغير بدليل عدم إعطاء أسرتي المفتاح لي مثل شقيقتي.

وعن يوم الحادث قال:

يومها، ماما وبابا أيقظاني للذهاب إلى المدرسة ونبها عليَّ ألا أيقظ﴿مي﴾ لأنه لا يوجد لديها محاضرات، وستجلس مع أخي الصغير﴿عمر﴾ الذي اعتاد للذهاب إلى الحضانة، فغافلتها و﴿مي﴾ نائمة وسرقت مفتاح الشقة من حقيبة يدها، وذهبت إلى المدرسة، هناك أخرجت المفتاح مدعيًا أن والدي أعطاني مفتاحًا مثل أختي إلا أنهم لم يصدقوني وكذبوني وقالوا: إن هذا ليس مفتاح الشقة، فقلت لهم: أنا سوف أؤكد لكم أنه مفتاح الشقة، وذلك بذهابي لتغيير ملابسي بالرغم من أن الشقة لا يوجد بها أحد وبالفعل بعد طابور المدرسة هربت وتوجهت إلى الشقة وفتحت الباب بهدوء، فوجدت شقيقي عمر يجلس على كرسي السفرة يشاهد التلفزيون، وبمجرد أن رآني أسرع نحوي مهلـلاً فخشيت أن يوقظ﴿مي﴾، وتراني وتسألني عن حضوري مبكرًا من المدرسة وتعرف أنني سرقت المفتاح وتقول لبابا ويضربني، فوضعت يدي فوق فمه حتى لا تستيقظ﴿مي﴾، ولم يكن في نيتي ارتكاب أي جريمة فأنا أحب أخي عمر جدًا إلا أنني فوجئت بارتخاء جسده الصغير بين يدي وتوقعت وفاته وقبل أن تدمع عيني لما حدث فوجئت بخروج﴿مي﴾ من الحمام لتجد عمر على الأرض قاطع النفس، وقبل أن تنتهي من استفسارها أسرعت إلى المطبخ وعزمت على قتلها وأخذت سكينة وهددتها بها وطلبت منها دخول غرفتها دون كلام أو استغاثة، وحاولت انتزاع السكين فجرحتها عدة جروح في وجهها فخافت مني ودخلت الغرفة وجلست على السرير تستعطفني وتتوسل إليَّ فطلبت منها أن أقيدها بالحبل فوافقت وأخذت حبلاً كان موجودًا بغرفة نومها وأعطتني يدها لتوثيقها أملاً في تركها

موثقة، إلا أنني أسرعت إلى غرفة نوم أبي وأحضرت من الدولاب كوفية أبي وقمت بتكميمها حتى لا تصرخ ثم انهلت عليها طعنًا بالسكين في رقبتها حتى غرقت في الدماء التي كانت تندفع منها بشدة ولم أتركها إلا بعد أن تأكدت من وفاتها وخرجت أبكي على شقيقي الصغير الذي لا ذنب له إلا أنني أسرعت بذبحه بالسكين حتى يتصور الجميع أن شخصًا غريبًا هو مرتكب الحادث، وقبل الخروج من الشقة غسلت يدي وغيرت ملابسي ووضعت الملابس التي كنت أرتديها والتي كانت ملوثة بالدماء داخل حقيبة بلاستك ثم في حقيبة سفر بها ملابس الصيف وخرجت متسللاً دون أن يراني أحد، وعندما قابلني زملائي بالمدرسة وسألوني عن الجروح الموجودة في وجهي أخبرتهم أن أحد أصدقائي كان يمزح معي، ولم أحس بما ارتكبته إلا أثناء لعبي مع زملائي في الفسحة وبدأت أبكي بشدة وأخبرت زملائي بأن أعصابي تعبانة من السهر من أجل المذاكرة.

وعن هواياته قال الطالب:

أمتلك مجموعة قصص بوليسية لا حصر لها كانت أمي تشتريها لي دائمًا أملاً في أن أصبح ضابط شرطة كما أنني أعشق أفلام الرعب والأفلام البوليسية ولدي أفلام من الخارج لا يوجد مثلها في مصر أحضرتها معي من السعودية.

كان من العجب أن الصبي المتهم متماسك ويحكي باسترسال شديد كما لو كان قد أصابته حالة من اللامبالاة لما فعله من جريمة شنعاء في حق أشقائه ووالديه وحق نفسه.

وفي تحليل لجريمة الطالب، قال الدكتور يسري عبد المحسن أستاذ العلاج النفسي: إن هذا الصبي المتهم في أخطر مرحلة من عمره وهي مرحلة المراهقة وهو يعاني من تراكمات قديمة مترسبة في نفسه أدت إلى الإحساس البين بالظلم والتفرقة في المعاملة وقسوة الوالدين، وخاصة

الأب بصورة جعلته يفتقد حنان وحب الوالدين، وقد تبلورت شخصية هذا الصبي على الحرمان والعنف والخوف الذي ولد فيه الشعور بالانتقام وفقد الثقة في نفسه وفي من حوله وجعلت مشاعره وأحاسيسه في حالة تبلد شديد وفقد بذلك التواصل العاطفي مع أفراد أسرته وامتد ليصل إلى زملائه بالمدرسة الذين اعتادوا إهانته والتشكيك في رجولته واعتبر بذلك أن إخوته أعداء له خاصة شقيقته الكبرى التي تنافسه حب واحترام والدته ووالده، على حسابه، وأضاف الطبيب: إننا لا نستطيع أن نقول أنه مجرم بطبيعته وإنما ارتكب هذه الجريمة في غياب عقلي وعدم وعي وتميز وإدراك تحت ضغوط نفسية صادرة من والديه وأشقائه وزملائه بالمدرسة وأكمل الجريمة بصورة تلقائية حتى النهاية.

أما المستشار محمود خليل رئيس محكمة الجنايات فيقول: إن هذه الجريمة جريمة أب، وأم، قبل أن تكون جريمة ابن ونظرًا لأن الجاني لم يصل إلى سن ١٨ سنة فإنه يحول إلى محكمة الجنح ويطبق عليه قانون الأحداث بحيث يقضي مدة العقوبة وأقصاها ١٥ سنة يقضيها بأكملها داخل مؤسسة الأحداث.

وتحميل الأبوين دفع الابن ارتكاب هذه الجريمة البشعة نظرًا لما تقدم من سوء معاملتهم للجاني هو عين الحقيقة فقد انحرفا هما الآخران وسلكا مسلكًا شائنًا في تربية الأولاد وجناية الآباء، هذه أنتجت ضياع الأسرة بأكملها في الدنيا والآخرة، وفي غياب القيم والمثل الأعلى والقدوة الصالحة في الأسرة، كما علمنا هو النتيجة الحتمية للآثار السيئة على الأسرة والمجتمع، وبعد: فإذا تتبعنا مثل هذه الأحداث التي تنخر في جسم الأمة الإسلامية كالسوس في الخشب الهش لوجدنا الكثير ولكن نكتفي بما ذكرنا كمثل لما يكتنف الأسرة المسلمة من أخطار نتيجة ضياع القدوة الصالحة في الأسرة من الأب والأم.

ولا زلنا في أهمية العدل بين الأبناء:

إذا رجعنا إلى الأحاديث الواردة في الموضوع لأدركنا أن الرسول ﷺ قد لمس جانبًا خطيرًا في علاج المفاضلة بين الأولاد حيث أن الأب في حاجة إلى برهم جميعًا، وأن المفاضلة نوع من الجور، والظلم، الذي يسبب البغضاء بين الأولاد كما أنه يسبب قطيعة الرحم، وقد يسبب عقوق الأب، ومعلوم إن الإسلام حرص حرصًا كبيرًا على توفير أسباب الوئام في الأسرة الواحدة، فحض على صلة الرحم، وجعل القطيعة والعقوق يأخذ حكمهما لذلك لا يشك إنسان في أن تفضيل أحد الأولاد إذا كان سيؤدي إلى القطيعة أو العقوق، أو إليهما حرام وظلم وخروج عن أصول الواجب نحو الأسرة الواحدة، وكثيرًا ما يحدث التمزق في الأسرة والتناحر والتقاتل أحيانًا، كما بيّنا في القصة آنفة الذكر، بسبب وقوع الأبوين أو أحدهما في جريمة التفضيل، سواء التفضيل في العطف أو في العطاء المادي، وقصة إخوة يوسف مع سيدنا يوسف عليه السلام ومع أبيهم معلومة وهم الذين تربوا في بيت رسول من سلامة الأنبياء والمرسلين.

الحق الثالث: التربية والتعليم:

إن تربية الأولاد دون تعليمهم في مرحلة مبكرة تربية صحيحة صالحة من أهم واجبات الآباء، أو واجبات الأسرة عمومًا نحو الأولاد والمجتمع باعتبار أن البيت هو مدرسة الأطفال الأولى فإذا لم يقم بوظيفة فلا تعوضها أية مدرسة أو مؤسسة أخرى فليست المهارة في إنجاب الأطفال، بل المهارة كل المهارة في تربيتهم وتكوينهم رجالاً تنتظرهم أمتهم وإذا كانت كثرة النسل من المطالب الحيوية للأمة فإن صناعة الرجال من هذه الكثرة من أشد هذه المطالب إلحاحًا على أمة تريد استئناف رسالتها كخير أمة أخرجت للناس.

وإذا كان التربويون قد توافقوا على أن الطفل يتقبل من آبائه أكثر مما يتقبل من معلمه وأن ما تربى عليه واكتسبه من عادات في صغره من الصعب إزالتها عنه في كبره، يقول الشاعر العربي:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

ولذلك يجب الاعتناء به والحرص على تعليمه بحيث لا يلقن إلا العقائد والأفكار الصحيحة ولا يفعل والداه بمرأى منه ما يخالف الدين والأخلاق الكريمة وآداب المعاشرة السليمة، إذا كان التربويون قد توافقوا على ذلك فإن الإسلام الحنيف قد سبق وجعل من التربية السليمة حقًا للطفل على والديه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، وقال جل شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الطور:٢١]، والتربية الحسنة كما يعنيها الإسلام هي التربية المتفقة مع المنهج القرآني وأهدافه في صياغة الشخصية المسلمة، وهي أمانة في عنق الوالدين، إن قصرا فيها ووقع الأبناء في المعاصي وانحرفوا عن طريق الله فإنهم يعذبون على ذلك يوم القيامة.

فعلى الوالدين أن يعرفا أبناءهم بربهم وبنبيهم وبكتاب الله واليوم الآخر وما فيه وبرسل الله وكتبه ليؤمنوا بذلك وعليهم أن يغرسوا تقديس وتعظيم شعائر الله تعالى وكل ما جاء به الإسلام من عبادات وأخلاق ومعاملات، وعليهم أن يعلموهم التطهر من النجاسات والوضوء والصلاة ويأمروهم بها وهم أبناء سبع، ويضربوهم عليها وهم أبناء عشر، فقد قال رسول الله ﷺ:《**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع**》[(١)]، وعليهم أن يغرسوا في نفوسهم حب الله وحب رسول الله ﷺ وحب الصالحين، فعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ 《ربيب: ابن زوجة رسول الله أم سلمة

(١) أبو داود (٤٩٥).

ﷺ﴾، قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، يعني في كنفه وحمايته، وكانت يدي تطيش في الصفحة، يعني: لا يأكل من موضع واحد من إناء الطعام، فقال لي رسول الله ﷺ:﴿**يا غلام، سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك**﴾ [1]، فما زالت تلك طعمتي، أي: صفة أكلي وهيئته بعد ذلك.

وعلى الآباء أن يوجهوا أبناءهم إلى تخير أصدقائهم ولا يدعوهم يصاحبون الأشرار والفاسدين والعصاة، وقد ورد:﴿**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**﴾ [2]، وورد أيضًا:﴿**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحديد، فصاحب المسك إما أن تشتري منه، أو يحذيك، أو تجد منه ريحًا طيبًا، وصاحب الكير إما أن يحرق ثوبك، أو تجد منه ريحًا خبيثة**﴾ [3]، وقد قيل في الحِكَم:﴿الوقاية خير من العلاج﴾.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يشكوا إليه عقوق ابنه فأحضر عمر بن الخطاب ﷺ ابنه وأنبه على عقوقه لأبيه، فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال: أن ينتقي أمه، أي: يحسن اختيارها، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب﴿القرآن الكريم﴾، فقال الابن: يا أمير المؤمنين، إنه لم يفعل شيئًا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوس، وقد سماني جُعلاً﴿جعرانًا﴾، ولم يعلمني من كتاب الله حرفًا واحدًا، فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل وقال له: أجئت إليَّ تشكو لي عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك ؟

(١) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).
(٢) أبو داود (٤٨٣٣)، وقال الألباني: صحيح.
(٣) البخاري (٢١٠١)، (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

ومن بين ثنايا هذا النص المحكم نستطيع أن ننصح الشباب حين يريدون الزواج أن يفكروا كثيرًا ليحسنوا اختيار الزوجة فهي نصفه الثاني ورفيقة حياته وصانعة الرجال، لقوله ﷺ: **﴿تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك﴾** [(١)].

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ: **﴿من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرًا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه﴾** [(٢)].

وعن معقل بن يسار ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها ؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له: مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال له: **﴿تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم﴾** [(٣)].

وفي حديث عُويم بن ساعدة الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهًا وأنتق أرحامًا، وأعذب أفواهًا، وأرضى باليسير﴾**.

هذا بالإضافة إلى أن النسل حين يتعهده الآباء بالتربية الإسلامية الصحيحة يمكن أن يكون امتدادًا لعملهم إذا لحقوا بالرفيق الأعلى.

روى مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له﴾** [(٤)].

---

(١) البخاري (٥٠٩٠)، (٥١٠١)، ومسلم (١٤٠٨).
(٢) البخاري (٣٩٢١)، (٤٠٧٢)، ومسلم (١٤٠٠).
(٣) أبو داود (٢٠٥٠)، وقال الألباني: صحيح.
(٤) البخاري (١٤١)، (٣٢٧١)، ومسلم (١٤٣٤).

يقول أحد الحكماء لأبنائه:

وأول إحساني إليكم تخيري لماجدة الأعراق بادٍ عفافها

وحفظًا للأولاد من مشاركة الشيطان فيهم، يروي عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ قال: ﴿**لو أن أحدكم إذا أتى أهله، قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقُضي بينهم ولد لم يضره**﴾، ومعنى أتى أهله: أي: جامع زوجته.

الحق الرابع: أن يؤذن في أذنه بعد ولادته:

وذلك حتى تكون كلمة﴿الله أكبر﴾ أول ما تسمعها روح المولود، وشهادة الإسلام أول ما يقرع سمعه، والأمر بالصلاة أول ما يُسكب في أذنيه.

وفي سنن أبي داود والترمذي وغيرهما، عن أبي رافع ﵁ مولى رسول الله ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ أذن في أُذنُ الحسن بن علي حين ولدته فاطمة ﵂، حديث صحيح.

ويستحب أن يؤذن في أذنه اليمنى ويقيم الصلاة في أذنه اليسرى.

عن الحسين بن علي ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ:﴿**من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى، وأقام الصلاة في أذنه اليسرى، لم تضره أم الصبيان**﴾، وأم الصبيان [(١)] المراد بها القرينة من الجن والله أعلم.

عن أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: حملت بعبد الله بن الزبير بمكة فأتيت المدينة، فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فمه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له وبارك عليه.

(١) إرواء الغليل للألباني (٤/٤٣٨).

الحق الخامس: اختيار الاسم الحسن:

ففي الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ: ﴿**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم**﴾ (١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿**إن أحب أسماءكم إلى الله عز وجل: عبد الله وعبد الرحمن**﴾ (٢).

ونهى النبي ﷺ عن الوشم، روى سفيان بن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر، عن عبيدة بن رفاعة، أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين أفنسترقي لهم ؟ قال: ﴿**نعم فلو كان شيء سبق القضاء لسبقته العين**﴾ (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذهما وترك ما سواهما.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده.

وفي الحديث الصحيح، عن أبي سعيد أن جبريل عليه السلام رقى النبي ﷺ بالرقية الآتية: ﴿**بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك**﴾.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ كان يُعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بالتعويذة الآتية: ﴿أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة،

(١) أبو داود (٤٩٤٨).
(٢) مسلم (٢١٣٢).
(٣) الترمذي (٢٠٥٩)، وقال الألباني صحيح.

ومن كل عين لامة﴾، ثم يقول:﴿**هكذا كان إبراهيم عليه السلام يُعَوِّذ إسماعيل وإسحاق**﴾ [(١)].

وسمرة بن جندب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:﴿**كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى**﴾ [(٢)].

وقال ابن النحوي في التخريج الصغير لأحاديث الشرح الكبير حديث﴿سموا السقط﴾، ويستحب تهنئة المولود له، ويستحب بما جاء عن الحسين رضي الله عنه أنه علم إنسانًا فقال: قل:﴿بارك الله لك في الموهوب، وشكر الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ عق عن الحسن بشاة، وقال:﴿**يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضة على المسلمين**﴾ [(٣)].

الحق السادس: هو أن يختنه ذكرًا كان أو أنثى:

والختان من سنن الفطرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:﴿**الفطرة خمس: الاستحداد﴿حلق العانة﴾، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر**﴾ [(٤)].

وهو واجب كما ورد في الدين الخالص عن الشافعية وكثير من العلماء في حق الرجال والنساء، والختان واجب عند الإمام أحمد على الرجال، ومكرمة للنساء لحديث النبي ﷺ الذي رواه شداد بن أوس قال ﷺ:﴿**الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء**﴾ [(٥)].

ويخوف الابن من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان، قال شاعر حكيم:

---

(١) مسلم (٢١٨٦).
(٢) النسائي في السنن الكبرى (٧٧٢٦).
(٣) الترمذي (١٥١٩) وقال الألباني: حسن.
(٤) البخاري (٥٨٨٩)، (٥٨١١)، (٦٢٩٧) ومسلم (٢٥٧).
(٥) الطبراني في الكبير (٧١٢٨) وهو ضعيف.

خير ما ورث الرجال بينهم ... أدب صالح وحسن ورخاء

فهو خير من الدنانير والأوراق ... في يوم شدة ورخاء

الحق السابع: هو أن يعلمه القرآن الكريم:

فقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قال: **﴿حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب والسباحة، وألا يرزقه إلا طيبًا﴾** (1).

وعلى رأس تعليم الأبناء، تعليم القرآن الكريم ففيه علوم الدنيا والآخرة:

فلولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عُرف الحلال من الحرام

فبالعلم النجاة من المخازي ... وبالجهل المذلة والرَّغَام

أما القرآن الكريم فيقول فيه الشاعر:

هذا هو القرآن نبراس الهدى ... دستورك الأسمى المنير المشرق

آياته نبع العلوم جميعها ... من قال لا فهو الغبي الأخرق

علم الطبيعة والحياة وحكمة ... الإيجاد من بيانه تتدفق

وسياسة الدنيا بأقوم شرعية ... بين ذا الورى بسواه لا تتحقق

فيه القضاء لحل كل قضية ... عن حلها أهل السياسة أخفقوا

حسبي القرآن:

أنا أدرى مبدئي من ... أي شيء أنا آت

أنا أدرى أين تمضي ... رحلتي بعد الوفاة

أنا أدرى غايتي أعرف ... منها حياتي

حسبي القرآن أتلوه ... فيحيى لي مواتي

(١) البيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٠١، رقم ٨٦٦٥)، وذكره الحكيم (٢/٣٤٨).

شرحت لي أصل خلقي بعض آي ﴿المرسلات﴾
واستبانت غايتي من آية في ﴿الذاريات﴾ [(١)]

الآيات المقصودة: المرسلات من (٢٠- ٣٢)، والنازعات من (٣٥ - ٤١)، والذاريات الآية (٥٦).

وفي قوله تبارك وتعالى القول الفصل والحكم العدل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾. [الإسراء:٩]

وقد قال الدكتور﴿موريس الفرنس﴾، يصف القرآن الكريم: إنه بمثابة ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة للغويين، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه، وكتاب عروض لمحب الشعر، وتهذيب العواطف، ودائرة معارف للشرائع والقوانين، وكل كتاب سماوي جاء قبله لا يساوي أدنى سورة من سوره في حسن المعاني، وانسجام الألفاظ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية في الأمة الإسلامية يزدادون تمسكًا بهذا الكتاب، واقتباسًا لآياته، يدعمون بها كلامهم، ويبنون عليها آراءهم، كلما ازدادوا رفعة في القدر ونباهة في الفكر.

ويروى أن أحد اليهود قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد أنزلت عليكم آية لو نزلت علينا لاتخذنا يومها عيدًا، فقال عمر: أي آية ؟ فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة:٣]، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت في يوم الجمعة، ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيد.

هكذا يكون المسلم في علمه بكتاب الله وفي غيظه لأعداء الله.

الحق الثامن: أن يعلمه السباحة:

وفي الحديث الذي وقفنا عليه في الحق السابق قوله ﷺ:﴿**حق الولد على**

---

(١) من قصيدة «أنا بالله عزيز»، د/يوسف القرضاوي، ديوان المسلمون قادمون.

الوالد أن يعلمه الكتاب والسباحة، وألا يرزقه إلا طيبًا» (١).

والنبي ﷺ يريد منا نحن الآباء أن ندرب أبناءنا على الرياضة حتى يكونوا أقوياء وحتى يستطيعوا بقوتهم الجسمانية مواجهة أعدائهم والسير في مناكب الأرض طلبًا للرزق.

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر يومًا قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ثم قال:**«إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي»** (٢).

وقال ﷺ:**«كل شيء غير ذكر الله فهو لهو أو سهو، إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين«إصابة الهدف»، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السباحة»** (٣).

الحق التاسع: ألا يرزقه إلا طيبًا:

والمراد بالرزق الطيب، أي: الكسب الحلال، والمراد أن يتحرى الحلال في تجارته وصناعته وزراعته، وفي كل مهنة يؤديها حتى يبارك الله تعالى له في ماله وولده وصحته، وعافيته، وفي زوجته، وكل ما يملك، حسبه هذا الحديث الشريف الذي يقول فيه النبي ﷺ:**«من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء»** (٤).

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) مسلم (١٩١٧).
(٣) الطبراني في الأوسط (٤٢١٤) بنحوه، وقال الهيثمي في المجمع (٦٤/٨): وفيه رباح بن عمر، وثقه أبو حاتم، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.
(٤) الطبراني في الأوسط (٤٢١٤) بنحوه، وقال الهيثمي في المجمع (٦٤١٨): وفيه رباح بن عمر وثقه أبو حاتم وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وفي الخبر: أنه مكتوب في التوراة.

﴿من لم يبال من أين مطعمه، لم يبال الله من أي أبواب النار أدخله﴾.

وكانت الأمهات والأبناء في العصر الأول يقولون لأبيهم عندما كان يخرج للسعي على الرزق:﴿اتق الله فينا ولا ترزقنا إلا حلالاً، فإننا نصبر على الجوع أيامًا ولكننا لا نصبر على عذاب الله لحظة﴾.

الحق العاشر: الاستعانة بالله وحده لا شريك له:

حسبنا أن يزود الآباء أبنائهم بوصية رسول الله ﷺ الجامعة المانعة التي أوصى بها رسول الله ﷺ ابن عباس رضي الله عنه فيقول: كنت خلف النبي ﷺ فقال:﴿**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**﴾ (١).

الحق الحادي عشر: أن يعلمه آداب الاستئذان:

لأن الحق تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٩].

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: بعث رسول الله ﷺ غلامًا من الأنصار يقال له﴿مدلج﴾ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه، فوجده نائمًا، قد أغلق عليه الباب، فدق عليه الغلام الباب، فناداه ودخل فاستيقظ عمر، وجلس فانكشف منه شيء، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الساعات إلا بإذن الله، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد نزلت.

(١) الترمذي (٢٤٤٠)، أحمد (٢٥٣٧) .

الحق الثاني عشر: أن يعوله حتى يبلغ سن الرشد ويستطيع الكسب:

فعن أبي قلابة الجرمي عن أسماء، عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: **﴿أفضل دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله﴾** (١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت﴾** (٢).

* * *

وصايا غالية للمربين

قال عمرو بن عُتبة لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي لنفسك فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه، فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه، ورروهم الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني لك فقد اتكلتُ على كفاية منك.

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس دعة وأقلهم أدبًا، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة، واحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكوا عرضًا ويمصوا الماء مصًا، ولا يعبوه عبًا، وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في

(١) مسلم (٩٩٤) .
(٢) أحمد (٦٤٩٥)، أبو داود (١٦٩٢) .

ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليه، وعلمهم العوم وهذبهم بقلة النوم.

وقد أوصى العباس بن محمد معلم ولده فقال: قد كفيتك أعراقهم فاكفني آدابهم، لا أوتين فيهم منك فإنك لم تؤت فيهم مني، اغذهم بالحكمة فإنها ربيع القلوب، وعلمهم النسب والخبر فإنه علم الملوك وأيدهم بكتاب الله تعالى فإنه قد حصهم ذكره وعمهم رشده، وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل فضلاً عنه أخذ، وخذهم بالإعراب فإنه مدرجة البيان، وفقههم في الحلال والحرام فإنه حارس من أن يظلموا ومانع من أن يظلموا.

قال الحسن بن علي ﷺ لابنه: يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الصوت، ولا تقطع على أحد حديثًا وإن طال حتى يُمسك.

أوصى المنصور العباس ولده المهدي ولي عهده قائلاً: يا أبا عبد الله، الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من يظلم من هو دونه، فاستدم النعمة بالشكر، والمقدرة بالعفو، والطاعة بالتآلف والنصر بالتواضع، والرحمة للناس، ولا تبرمنَّ أمرًا حتى تفكر فيه فإن فكرة العاقل مرآته، تبين له قبيحه وحسنه.

وصية الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لولده في آخر لحظة من حياته:

أوصيكم بتقوى الله تعالى، والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، لا تأسفوا على شيء فاتكم، فإنكم عنها راحلون، افعلوا الخير، وكونوا للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا، كل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية، من نسي خطأه استعظم خطيئة غيره، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن جالس العلماء وقر، يا بني: الأدب ميزان الرجل، وحسن الخلق خير قرين، يا بني: العافية عشرة أجزاء، وتسعة منها في الصمت إلا عن ذكر الله، وواحد في

ترك مجالسة السفهاء، يا بني: زينة الفقر الصبر، وزينة الغنى الشكر، يا بني: لا شرف أعلى من الإسلام، ولا أكرم وأعز من التقوى، ولا شفيع أنجع من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية.

واجب الأبناء نحو الآباء:

قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

وقال جل شأنه: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

لقد جعل الله مرتبة الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده وعبادته ولم يقدم على الوالدين مخلوقًا.

ولذلك قال الإمام النيسابوري في تفسيره: وإنما جعل الإحسان إلى الوالدين تابعًا لعبادته تعالى لوجوه منها:

١- أنهم سبب وجود الولد، كما أنهما القائمان بالتربية فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من الوالدين.

٢- ومنها: أن إنعامهما يشبه إنعام الله عليهما من أنهما لا يطلبان بذلك ثناءً ولا ثوابًا.

٣- ومنها: أن الله تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وإن أتى بأعظم الجرائم وكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وإن كان غير بار بهما.

٤- ومنها: أنه لا كمال للولد إلا ويطلبه الولد لأجله ويريده عليه، كما

أنه تعالى لا يرضى بعباده إلا الخير ومن غايته شفقة الوالدين أنهما لا يحسدان ولدهما إذا كان خيرًا منهما بخلاف غيرهما فإنه لا يرضى أن يكون غيره خيرًا منه.

ولذلك حكم رسول الله ﷺ بأن الولد وماله ملك لأبيه، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مالاً وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فدعا أباه فهبط جبريل عليه السلام فقال:﴿**إن الشيخ قد قال في نفسه شيئًا لم تسمعه أذناه**﴾.

فلما قدم، فإذا هو شيخ يتوكأ على عصاه فسأله النبي ﷺ عما ادعى ولده.

فقال: سله يا رسول الله، هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو إحدى خالاته ؟

فقال رسول الله ﷺ:﴿**دعنا من هذا، وأخبرني عن شيء قلته في نفسك، ولم تسمعه أذناك**﴾.

قال الرجل: لا يزال الله يزيدنا بك بصيرة ويقينًا، نعم، قال ﷺ:﴿**هات**﴾، فأنشأ الرجل في خطاب ولده:

غذوتك مولدًا وعُلتك يافعًا	**تعل بما أحنو عليك وتنهل**
إذا ليلة نابتك بالسقم لم أبت	**لسقمك إلا ساهرًا أتململ**
تخاف الردى نفسي عليك وأنها	**لتعلم أن الموت حتم مؤجل**
كأني أنا المطرود دونك بالذي	**طُرقت به دوني فعيني تهمل**
فلما بلغت السن والغاية التي	**إليها مدى ما كنت فيك أؤمل**
جعلت جزائي غلظة وفظاظة	**كأنك أنت المنعم المتفضل**
فليتك إن لم ترع حق أبوتي	**فعلت كما الجار المجاور يفعل**
فأوليتني حق الجوار ولم تكن	**عليَّ بمال دون ذلك تبخل**

فبكى رسول الله ﷺ وقال:﴿**ما سمع حجر ولا مدر إلا بكى**﴾، وأخذ بتلابيب الولد أي: بمجامع ثيابه وقال:﴿**أنت ومالك لأبيك**﴾ [1].

قال الإمام القرطبي: بر الوالدين: موافقتهما على أغراضهما وعلى هذا إذا أمر أحدهما ولده بأمر وجب طاعته فيه، إذا لم يكن ذلك الأمر معصية فقد ورد:﴿**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**﴾.

وعن سعيد بن أبي بردة قال: سمعت أبي يحدث أنه شهد رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت، وقد حمل أمه وراء ظهره ويقول:

أنا لها بعيرها المذلل إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال لعبد الله بن عمر: أتراني جزيتها ؟ قال ابن عمر: لا، ولا بزفرة واحدة ساعة الوضع.

وروي أن أبا هريرة ؓ أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك ؟ فقال: أبي، فقال أبو هريرة: لا تُسمه باسمه، ولا تمشي أمامه، ولا تجلس قبله.

وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال: ألا تقوم إلى خدمتها وأنت كسلان وقيل: ألا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرًا﴿أي احتقارًا﴾، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر أو باطن، وأن تدعو لهما ما عاشا وتترحم عليهما إذا ماتا، فالله يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾.

[الإسراء:٢٤]

ومن البر الإنفاق عليهما إذا احتاجا إلى نفقة والتوسعة عليهما إن كانت حالتهما أقل من حال ابنهما أو بنتهما، وأن يرحم أباه وأمه من الأعمال الوضعية ويكفيهما النفقة.

(١) الطبراني في الأوسط (٦٧٢٨).

حق الأم في البر أكبر من حق الأب:

عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال:﴿**أمك**﴾، قال: ثم من ؟ قال:﴿**أمك**﴾، قال: ثم من ؟﴿**أمك**﴾، قال: ثم من ؟ قال:﴿**أبوك**﴾ (١).

قال الإمام القرطبي: فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب، وذلك أن صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع، والتربية تنفرد بها الأم دون الأب، فهذه ثلاث مشقات تختص بها الأم دون الأب.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال رسول الله ﷺ:﴿**أحيي والديك ؟**﴾، قال: نعم، قال:﴿**ففيهما فجاهد**﴾ (٢).

وهذا أبو هريرة ﷺ تناديه أمه وتقول: يا أبا هريرة، فيقول لها أبو هريرة بصوت عال: لبيك، لكن أبا هريرة شعر أن صوته أرفع من صوت أمه قليلاً فجلس يستغفر الله، ويقول: رفعت صوتي على أمي، وهو قال: لبيك فقط، لم ينطق بكلمة مثل كلماتنا اليوم.

وهذا عبد الله بن مسعود استسقته أمه ذات يوم ماءًا فذهب فأحضر لها الماء فلما جاء إلى فراشها إذا بها قد غلبها النوم، نامت، فوقف بالماء وكره أن يوقظها وكره أيضًا أن يضع الماء بجانبها خشية أن تستيقظ في جوف الليل وفي ظلمة الليل وهي لا تعلم أن الماء عندها فتبقى عطشى فوقف بالماء طوال الليل فإذا تعب جلس، وهكذا فلم يزل هذا حاله حتى استيقظت أمه عند الفجر، ثم دفع إليها الماء لتشرب.

(١) البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).
(٢) البخاري (٥٩٧٢).

وهذا عبد الله بن عون نادت عليه أمه ذات يوم فعلا صوته على صوتها فأعتق رقبتين.

وهذا أسامة بن زيد رضي الله عنه وقد بلغت النخلة ألفا دينار فعمد أسامة إلى نخلة فقطعها من أجل جمارها، فقيل له في ذلك، فقال: إن أمي اشتهت الجمار وليس شيء تطلبه أمي وأقدر عليه إلا فعلته.

وهذا طلق بن حبيب من العباد والعلماء العاملين، كان يقبل رأس أمه وكان لا يمشي فوق ظهر بيت هي تحته، إجلالاً لها.

وكان محمد بن المنكدر يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدي.

وهذا الفضل بن يحيى البرمكي كان أبر الناس بأبيه بلغ من بره إياه أنهما كانا في﴿السجن﴾، وكان يحيى لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فلما نام﴿يحيى﴾، قام الفضل إلى قمقمة وملأها ماء ثم أدناه من المصباح، ولم يزل قائمًا حتى أصبح [(١)].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال:﴿**دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت: من هذا ؟ فقيل: حارثة بن النعمان**﴾، فقال رسول الله ﷺ:﴿**كذلكم البر، كذلكم البر**﴾ [(٢)].

وهل أتاك نبأ أويس القرني ؟ ذاك رجل أنبأنا النبي ﷺ بظهوره، وكشف عن سناء منزلته عند الله ورسوله، وأخذ البررة الأخيار من آله وصحابته بالتماس دعوته، وابتغاء القربى إلى الله بها، وما كانت آيته إلا بره بأمه:

---

(١) بر الوالدين للطرطوشي، (ص٧٨).

(٢) النسائي في الكبرى (٦٥/٥، رقم ٨٢٣٣)، وأحمد (٣٦/٦، رقم ٢٤١٢٦) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

كان عمر ﷺ إذا أتى أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس بن عامر، فقال: أنت أويس بن عامر ؟ قال: نعم، قال: من مراد؟ قال: نعم، قال: كان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال: نعم، قال: لك والدة ؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:﴿**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن، من مراد، ثم من قَرن، كان به أثر برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بار بها، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**﴾، فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد ؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إليَّ (١).

وعن أبي عبد الرحمن الحنفي قال: رأى كهمش بن الحسن عقربًا في البيت فأراد أن يقتلها أو يأخذها فسبقته إلى جحرها فأدخل يده في الحجر يأخذها، وجعلت تضربه، فقيل له: ما أردت من هذا ؟ لم أدخلت يدك في جحرها تخرجها ؟ قال: إني أحمد ؟ خفت أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمي فتلدغها وكان يمينه الذي يحلف به: إني أحمد وأحمد (٢).

وعن الحسن بن نوح قال: كان كهمش يعمل في الجص كل يوم بدانقين، فإذا أمسى اشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمه (٣).

وهذا الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ وهو المسمى بزين العابدين، كان من سادات التابعين، وكان كثير البر بأمه حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأمك ولسنا نراك تأكل معها في صحفة واحدة، فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليها عينها فأكون قد عققتها (٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، انظر: شرح النووي (٥/٢٢٣).
(٢) حلية الأولياء (٦/٢١١).
(٣) حلية الأولياء (٦/٢١٢).
(٤) عيون الأخبار (٣/٩٧).

وكان حيوة بنُ شُريح وهو أحد أئمة المسلمين يقعد في حلقته يعلم الناس فتقول له أمه: قم يا حيوة، فألق الشعير للدجاج فيقوم ويترك التعليم [١].

عن هشام بن حسان قال: هشام: وكانت له لقحة - أي ناقة حلوب غزيرة اللبن - قال حفصة: كان يبعث إلى بحلية بالغداة فأقول: يا بني، إنك لتعلم أني لا أشربه أنا صائمة، فيقول: يا أم الهذيل، إن أطيب اللبن ما بات في ضروع الإبل أسقيه من شئت [٢].

ذكر الإمام الطرطوشي في كتابه﴿بر الوالدين﴾ ذكروا أنه كان في المدينة رجل يسمى﴿أمية بن أسكر الكناني﴾، وأمية هذا كان رجلاً صالحًا، وكان عنده ولد حريص على الخير، وهذا الولد﴿كلاب﴾ فكان﴿كلاب﴾ يتتبع أبواب الخير وفي يوم من الأيام كان كلاب هذا يمشي في طرقات المدينة فلقي طلحة بن عبيد الله الصحابي فقال: يا طلحة، أنت صحبت رسول الله ﷺ فقال: الحمد لله، فقال: أخبرني بأحب الأعمال إلى الله ؟ فقال طلحة: ما أعلم أعظم من الجهاد في سبيل الله، فذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال: يا أبا حفص أرسلني إلى الثغور، والثغور مناطق معروفة مثل حرس الحدود اليوم.

فقال عمر بن الخطاب له: أحي والداك ؟ قال: نعم.

فقال عمر: هل أذنا لك ؟ قال: ما سألتهما.

فقال عمر: اذهب فاستأذنهما.

فذهب كلاب وأبوه ما عنده أولاد غيره وأمه كذلك، فأقبل إلى أبيه يُقبل رأسه ويديه حتى أذن له أبوه بذلك، فأقبل﴿كلاب﴾ إلى عمر فأرسل به عمر إلى الثغور ووصل﴿كلاب﴾ إلى الثغور ورابط عليها.

(١) بر الوالدين للطرطوشي (ص٧٩).
(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢٥/٤، ٢٦).

وبدأ أميه بن أسكر الكناني والد هذا الشاب يقلق ويشتاق إلى ولده، فإذا ذهب إلى المسجد مثلاً ووجد الأبناء مع آبائهم وهو ولده غير موجود فبدأ يبكي ويشتد عليه البكاء وفي يوم من الأيام جلس﴿أمية بن أسكر﴾ تحت شجرة في بستانه فرأى حمامة تأتي إلى أفراخها فتذكر ولده﴿كلاب﴾ وهكذا المحب كلما رأى شيئًا تذكر محبوبه وهو ولده الوحيد فلما رأى﴿أمية﴾ هذه الحمامة قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابًا　　كتاب الله لو عقل الكتابا

تركت أباك مرعشة يداه　　وأمك ما تسيغ لها شرابًا

فإنك والتماس الأجر بعدي　　كباغي الماء يتبعُ السرابا

ثم اشتد عليه البكاء حتى أصابه ما أصاب يعقوب عليه السلام فابيضت عيناه من الحزن، وهو كظيم فعمي، فلما عمي اشتد عليه المصاب ومن شدة الهم والغم أراد أن يدعو على ولده فلم تطاوعه نفسه فبدأ يدعو على عمر بن الخطاب وينشد الأشعار ومن ضمن هذه الأشعار شعرًا قال فيه:

استعدي على الفاروق ربًا　　له حج الحجيج إلى سباق

إن الفاروق لم يردد كلابًا　　على شيخين هامُهُما بُواقِ

فكأنه يقول: أنا وأمه من شدة الكبر، الهامة صاحت على العينين وأخذ يبكي بالليل والنهار فرآه واحد من أقاربه فأقبل إليه وقال: يا أبا كلاب، ما بالك ؟ فقال: أبكي على ولدي.

فقال له: تعالى معي، فقال له أمية: إلى أين ؟

فقال: تعالى معي فأمسكه من يده وسار به حتى أدخله إلى المسجد وإذا بحلقة جالس فيها عمر بن الخطاب فأجلسه في الحلقة وهو أعمى، ما يدري ولا يرى فقال الرجل: يا أبا كلاب، أعطنا من أشعارك، فأول ما تبادر في ذهنه الشعر الذي قاله في ولده وبدأ يقول:

استعدي على الفاروق ربًّا   له حج الحجيج إلى يُساق

إن الفاروق لم يردد كلابًا   على شيخين هامُهُما بُواقٍ

فقالوا: هذا أبو كلاب، فقال عمر: عجبًا، ماذا فعلت ؟ قالوا: أرسلت ولده إلى الثغور، فقال عمر: ألم يأذن لولده ؟ قالوا: أذن له على كره منه، فمضى عمر الفاروق إلى ديوانه وأرسل إلى الثغور أن ابعثوا إلينا كلاب بن أمية بن أسكر الكناني، عاجلاً على دواب البريد وعلى الفور أرسلوا﴿كلابًا﴾ على دواب البريد ووصل بسرعة شديدة إلى عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا كلاب ما بلغ برُّك بأبيك ؟

فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم شيئًا يحبُهُ أبي إلا فعلته، ولا شيئًا يبغضه أبي إلا تركتُهُ، وإذا أردت أن أحلب من الناقة آتي إلى الإبل في الليل ثم أُقبلُ إلى أغرز ناقة ثم أنيخُها ثم أعقلها.

قال: ثم استيقظ قبل الفجر والجو بارد، فأقبل إلى البئر واستخرج منه الماء والوالد نائم، والناس لم يستيقظوا بعد في ظلمة الليل، ثم أقبلُ إلى الناقة وأحلُ عقالها وأبعثُها ثم أغسل الضرع بالماء مرارًا حتى يبرد اللبنُ، الذي بداخل الضرع.

فإذا صلى أبي صلاة الفجر حلبتُ له اللبن، ثم أعطيته اللبن ليشرب.

فقال عمر: عجبًا، كل هذا لأجل شربة لبن، فقال: نعم وما سواه أعظم.

فقال عمر: افعل ما كنت تفعل، فقام كلاب وفعل مثل ما كان يفعل وأعطى اللبن باردًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر: أدخلوه هذه الحجرة وأغلقوا عليه.

وأرسل عمر إلى أمية والد كلاب، وهو لا يعلم أن ابنه كلابًا قد وصل، وجاء من الثغور، فجاء تخطُ رجلاه فقد كبر سنه، واحد ودب ظهره ورق عظمه، فجاء ووقف بين يدي عمر فقال له عمر رضي الله عنه: يا أبا كلاب، ما بقي من لذاتك في الدنيا ؟ فقال: ما بقي لي من لذة، فقال له عمر: أقسمت

عليك أن تخبرني ماذا بقي من لذاتك في الدنيا، فقال الرجلُ: يا أمير المؤمنين، أتمنى لو أن ولدي كلاب بين يدي أضمه وأشمه شمة قبل أن أموت، فقال عمر: سيسُرك الله بولدك إن شاء الله.

ثم قال له عمر: خذ هذا اللبن وتقوى به، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال عمر: أقسمت عليك أن تشرب فأخذ أبو كلاب اللبن وهو الأعمى، وقربه إلى فيه فلما لامس الإناء فمه بكى وانتفض حتى كاد اللبن أن يقع من يده، وقال: والله إني لأشم في هذا اللبن رائحة ولدي كلاب، سبحان الله.

فبكى عمر وأمر بإخراج ولده إليه فأقبل الرجل يضُمُ ولده بشدة ولو أحضرت أعظم قوة في الدنيا ما استطاعت أن تفرق بينهما، فقال عمر لكلاب: إذا كنت تُريد الجنة فالزم قدمه وقدمها.

بر الوالدين بعد وفاتهما:

ولا يقتصر البر بالوالدين على حياتهما بل لهما هذا الحق على أولادهما بعد موتهما أيضًا، وذلك بالاستغفار لهما، والدعاء لهما بالرحمة والمغفرة ودخول الجنة والنجاة من النار ومن عذاب القبر.

وقد ورد في حديث رسول الله ﷺ:﴿**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**﴾ (١).

كذلك يصل الوالدين بعد الموت ثواب صدقة الأبناء عنهما، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله: إن أبي مات ولم يوص، أفينفعه أن أتصدق عنه ؟ قال:﴿**نعم**﴾، كما ينفعهما الصلاة لهما وقراءة القرآن والصيام وجميع الطاعات عند أهل السنة وقد ذهب إلى ذلك الإمام أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي كذلك البر بهما وجوب سداد ديونهما بعد موتهما.

(١) مسلم (١٦٣١).

ومن البر بالوالدين بعد موتهما صلة أقربائهما وأصدقائهما.

فعن أبي بردة ﷺ قال: قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر، فقال: أتدري لم أتيتك ؟ قال: قلت: لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده**﴾ [١].

وإنه كان بين أبي عمرو وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك.

وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿**إن أبر البر صلة الوالد أهل ود أبيه**﴾ [٢]، وعن أبي أسيد بن مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذا جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله ﷺ هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال ﷺ: ﴿**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**﴾ [٣].

والمراد بالصلاة عليهما: الدعاء لهما بالرحمة.

والاستغفار لهما: طلب المغفرة من الله لهما.

وإنفاذ عهدهما: العمل بوصيتهما.

صلة الرحم: مثل الأعمام والعمات والأخوال والخالات والأجداد والجدات وأولادهما.

التحذير من عقوق الوالدين والأم:

فمن العقوق إهمال حقوقهما والخروج عن طاعتهما، وفعل ما لا يرضيهما، وإيذائهما ولو بكلمة أو نظرة احتقار فمن فعل شيئًا من ذلك استحق سخط الله تعالى وغضبه وحرم تأييده وتوفيقه، وفعل به أبناؤه مثل ما فعل بأبويه بالإضافة إلى أنه ارتكب إثمًا من أكبر الكبائر.

(١) صحيح ابن حبان (٣/ ١٦٣).
(٢) مسلم (٨٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٤١).
(٣) البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٩).

عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ:﴿**ألا أخبركم بأكبر الكبائر ؟**﴾، قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ:﴿**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور، والزنى**﴾ (١).

وقال ﷺ:﴿**من الكبائر أن يسب الرجل والديه**﴾، قالوا: وهل يسب الرجل والديه ؟ فقال:﴿**نعم، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه**﴾ (٢).

ذكر العلماء أن رجلاً كان عنده والد كبير فتأفف من خدمته، ومن القيام بأمره، فأخذه وخرج إلى الصحراء ليذبحه، فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك فقال: يا بني ماذا تريد أن تفعل بي ؟ قال: أريد أن أذبحك، قال: يا بني هذا جزاء الإحسان ؟ قال الابن: لابد من ذبحك فقد أسأمتني وأمللتني، فقال الأب: يا بني إن أبيت إلا ذبحي فاذبحني عند الصخرة التالية، ولا تذبحني عند هذه الصخرة، فلقد ذبحت أبي هناك من قبل ولك يا بني مثلها.

ومن اللطائف: أن أبا طالب المكي جمع الكبائر فيما يلي فقال رحمه الله:

أربعة في القلب: وهي شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، واليمين الغموس، والسحر، اليمين الغموس: هي التي يحلف صاحبها كاذبًا متعمدًا.

وثلاثة في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وهو يعلم.

واثنتان في اليدين وهما: القتل والسرقة.

واثنتان في الفرج وهما: الزنا واللواط.

وواحدة في الرجل وهي: الفرار من الزحف.

وواحدة في جميع البدن: وهي عقوق الوالدين.

(١) البخاري (٢٦٥٤)، (٢٩٧٦)، ومسلم (٨٧)، (٨٨).
(٢) البخاري (٥٩٧٣)، مسلم (٩٠)، الترمذي (٢٣٠٢).

وفي الحديث الجامع: ﴿**إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**﴾ (١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ومدمن الخمر، والمنان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والمرأة المترجلة**﴾ (٢).

الديوث: هو الذي يقر أهله على الزنا مع علمه بهم، وهو الذي لا يبالي من دخل على أهله.

المرأة المترجلة: هي المتشبهة بالرجال في الملبس والهيئة والمعاملة.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿**ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلاً: عاق لوالديه، ومنان، ومكذب للقدر**﴾ (٣).

صرفًا: أي: نافلة، عدلاً: أي: فريضة.

وعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿**ثلاثة لا ينفع معهم عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف**﴾ (٤).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: كانت تحتي امرأة أحبها، وكان أبي يكرهها، فأمرني أن أطلقها، فأبيت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: ﴿**يا عبد الله بن عمر، طلق امرأتك**﴾ (٥).

روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسبًا إلا فتح الله له بابين - يعني إلى الجنة - وإن كان واحدًا فواحد، وإذا أغضب أحدهما لم يرض الله عنه

---

(١) البخاري (٢٤٠٨)، (٥٩٧٥)، مسلم (٥٩٣).
(٢) النسائي (٥/ ٢٥٦١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٧)، وأحمد في المسند (٢/ ١٣٢).
(٣) الطبراني في الكبير (٨/ ٧٥٤٧)، والسلسلة الصحيحة (١٧٥٨).
(٤) الطبراني في الأوسط (٣٣١٦).
(٥) الترمذي (٣/ ٢٠٦)، وصححه الألباني.

حتى يرضى عنه، قيل: وإن ظلماه ؟ قال: وإن ظلماه.

وعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه آتٍ فقال: شاب يجود بنفسه﴿أي: حضره الموت﴾، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: لا أستطيع، قال: لم ؟ قالوا: كان يعق والدته، فقال النبي ﷺ:﴿**أحية أمه؟**﴾، قالوا: نعم، قال رسول الله ﷺ:﴿**ادعوها**﴾، فادعوها فجاءت فقال لها رسول الله ﷺ:﴿**هذا ابنك**﴾، قالت: نعم، فقال لها رسول الله ﷺ:﴿**أرأيت، أخبريني لو أججت نارًا ضخمة فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له ؟**﴾، قالت: يا رسول الله، إذن أشفع، قال ﷺ:﴿**فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه**﴾، قالت: اللهم أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ولدي، فقال له رسول الله ﷺ:﴿**يا غلام، قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**﴾، فقال رسول الله ﷺ:﴿**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**﴾ [1]، وكان هذا الشاب - كما ورد في كتب الحديث - يؤذي أمه ويؤثر عليها زوجته.

ونختم بهذه القصة الشعرية الرمزية والتي يُظهر فيها الشاعر حقيقة قلب الأم وما يكنه من مشاعر، وعواطف ورأفة وحنان:

أغرى امرؤ يومًا غلامًا جاهلاً — بنقوده كيما ينال به الوطر

قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى — ولك الجواهرُ والدراهمُ والدرر

فمضى وأغرز خنجرًا في صدرها — والقلب أخرجهُ وعاد على الأثر

لكنه من فرط سرعته هوى — فتدحرج القلب المقطوعُ إذ عثر

ناداه قلبُ الأم وهو معفرٌ — ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر

فكأن هذا الصوت رغم حُنُوَّهِ — غضب السماء على الغلام قد انهمر

(١) النسائي في الكبرى (١٩٤١٦).

فـدرى فظيـع جنايـةٍ لم يجنهـا ... ولـد سـواه منـذ تـاريخ البشرـ

فارتـد نحـو القلـب يغسـلُه بـما ... فاضت به عيناه مـن سـيل العـبر

ويقـول يـا قلـب انـتقم منـي ولا ... تغفـر فـإن جريمتـي لا تُغتفـر

واسـتل خنجـره لـيطعن قلبـهُ ... طعنًـا فيبقـى عـبرةً لمـن اعتـبر

نـاداه قلـب الأم كُـفَّ يـدًا ولا ... تطعن فؤادي مرتين على الأثـر [١]

وقد امتدح الله تعالى بعض رسله لبرهم بآبائهم وأمهاتهم فقال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤].

وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٢].

وعـن إسـماعيل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢].

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا كله ومؤكدًا له حيث قال:**«بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفو تعف نساؤكم»** [٢].

وقد جاء في الأثر:

«البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت فكما تدين تدان».

* * *

مقومات أساسية لبناء الأسرة السعيدة

إن البيت المسلم الذي أُسس على تقوى من الله وأحسن فيه الطرفان الاختيار، فامتلأ حبًا ورحمة وسعادة وغمره الآباء بذكر الله تعالى، لابد وأن يصبغ بالمعازف والقينات، وموائد الشيطان من أفلام خليعة ومسلسلات مبتذلة صممّت لضرب الأسرة في مقتل ولقتل الأوقات التي

(١) نقلا من خطر التبرج والاختلاط، عبد الباقي رمضون، (ص١٣٤، ١٣٥).
(٢) الطبراني في الأوسط (٤٥١/١).

يمكن أن ينتفع بها في طاعة الله ﷻ، وتكون البداية بأن:

تُعمر البيوت بذكر الله تعالى:

هكذا كانت بيوت النبي ﷺ بيوت ذكر وحكمة، كما قال سبحانه لنساء النبي: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾.

[الأحزاب:٣٤]

فبيوت المؤمنين بيوت حية يذكر الله فيها كما قال رسولنا ﷺ: **﴿مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت﴾**[١].

وهي بيوت لا يقربها الشيطان ولا يجرؤ، يقول عليه الصلاة والسلام: **﴿لا تجعلوا بيوتكم قبورًا إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة﴾**[٢].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **﴿إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء﴾** [٣].

إن الأمر بيدك وعليك أن تختار، أن تطرد الشيطان مع دخولك وأن تفسح له مجالاً ليرتع فيه، ويفسد فيه، والأمر غاية في البساطة، ولا يأخذ من الوقت الكثير، لكنه يحتاج إلى استحضار النيات وتجديدها، فالبركة تصحب كل عمل يبدأ باسم الله، وكل مكان يُذكر فيه اسم الله تعالى.

---

(١) البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).
(٢) مسلم (٧٨٠)، وأحمد (٨٢٣٨، ٨٨٠٩، ٣٤٩٤).
(٣) مسلم (٢٠١٨)، وأبو داود (٣٧٦٥)، ابن ماجه (٣٨٨٧).

دعاء دخول البيت:

عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:﴿**إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله**﴾ (١).

وجميل هذا القول ما ورد في كتاب الله تعالى في سورة النور: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١].

يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى: وهو تعبير لطيف عن قوة الرابطة بين المذكورين في الآية، فالذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه، والتحية التي يلقيها عليه هي تحية من عند الله تحمل ذلك الروح، وتفوح بذلك العطر، وتربط بينهم بالعروة الوثقى لا انفصام لها، وهكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم في الصغيرة والكبيرة.

ولقد ورد في ذكر ما يحل من البركة نتيجة إلقاء السلام ما رواه الإمام الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:﴿**يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك**﴾ (٢).

ثم هو بيت صلاة وعبادة:

وما أحوجنا وقد اشتد بنا البلاء أن نحيي هذه السنة القرآنية في بيوتنا كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧].

---

(١) أبو داود (٥٠٩٦). وقال الألباني: ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، رقم (١٣١٩)، وأحمد في المسند رقم (٢٢٧٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم (١١٧١).

قال ابن كثير:﴿وكأن هذا - والله أعلم - لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم، أُمِروا بالصبر، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة:١٥٣]، وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى﴾ (١).

فهو بيت قيام وتهجد وقنوت آناء الليل:

وهذه البيوت هي التي فتحت الأرض مشارقها ومغاربها أول مرة لذا لما هُزمت جنود هرقل أمام المسلمين قال لهم: فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ عظيم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار.

وهي قبس من مشكاة النبوة وثمرة من غارسها لما قال عليه الصلاة والسلام:﴿**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى فأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**﴾ (٢).

قال الهيثم بن جماز: كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكانت إذا نعست ترش عليَّ الماء في أثقل ما أكون من النوم، وتنبهني برجلها وتقول: أما تستحي من الله ؟ إلى كم هذا الغطيط ؟ يقول: فوالله إني كنت لأستحي مما تصنع.

وهذا رياح بن عمرو القيسي، تابعي تزوج امرأة يقال لها:﴿ذؤابة﴾، لما جاء النهار أراد أن يختبرها فقامت تعجن عجينها فقال: أحضر لك جارية ؟ قالت: أنا تزوجت رياحًا العبد الفقير، وما تزوجت جبارًا عنيدًا، فلما جاء الليل تناوم لها رياح، فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم ؟ فلم يقم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم ؟ مضى الليل وعسكر المحنون وأنت نائم، ليت شعري من

---

(١) تفسير ابن كثير (٤١٤/٢).

(٢) أبو داود في الصلاة، رقم (١٣٠٨)، (١٤٥٠)، والنسائي في قيام الليل رقم (١٦١٠)، وابن ماجه رقم (١٣٣٦)، وأحمد في المسند (٧٣٦٢)، (٩٣٤٤).

غرَّني بك يا رياح ؟ فكانت إذا دخل الليل تجملت في أجمل هيئة فإذا كان له بها حاجة أصابها ثم تفرغ لعبادة الله ﷻ.

ولو سلكت نساؤنا هذا المسلك لم تبق واحدة إلا وقالت لزوجها: يا ليت شعري من غرنا بك يا فلان ؟

ولأن الثكلى ليست كالنائحة المستعارة، فلقد تركنا المجال لهم ليصلك عبير وأريج من كلا القانتين المتهجدين بين الراكعين والساجدين.

قالت امرأة حسان بن أبي سنان عنه: كان يجيء فيدخل في فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها فإذا علم أني نمت سلَّ نفسه فخرج، ثم يقوم فيصلي، فقالت له: يا أبا عبد الله، كم تعذب نفسك، ارفق بنفسك، فقال: اسكتي ويحك فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا.

وفي تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي: أن أبا سليمان التيمي، كان عنده زوجتان، وكانوا يقسمون الليل أثلاثًا.

يقول مالك بن دينار رحمه الله: سهوت ليلة عن وردي - يعني قيام الليل - ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة، أي: ورقة، فقالت لي: أتحسن أن تقرأ ؟ فقلت: نعم، فدفعت إليَّ الرقعة فإذا فيها:

أألهتك اللذائذ والأماني — عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلدًا لا موت فيها — وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيرًا — من النوم التهجد بالقرآن

يروى أن أزهر بن مغيث وكان من القوامين بالقرآن، أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت لها: من أنت ؟ قالت: حوراء، فقلت: زوجيني نفسك، فقالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني، فقالت: وما مهرك ؟ قالت: طول التهجد.

ثم هو بيت بر وصدقة وصوم:

يحرص أهله على البر والإحسان إلى الفقراء والمساكين ولو كان بهم خصاصة ويقتطعون جزءًا من أموالهم ولو يسيرًا مساهمة في الدعوة إلى الله، فلقد رسم الصحابة الكرام اقتداء برسولهم ﷺ صورًا مضيئةً من صور التنافس على الخيرات والصدقات منها:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ:«**ماذا أبقيت لأهلك؟**»، قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: قال:«**ما أبقيت لأهلك؟**»، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك لشيء أبدًا.

من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدًا وتجيء في الأول

وهذا أبو طلحة رضي الله عنه وكان أكثر الأنصار مالاً، وكان أحب ماله إليه بيرحاء، وهي بستان طيبة الماء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، اللهم إن أحب أموالي إليَّ البيرحاء وإنها صدقة لله، أرجو بها برها وأدخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ:«**بخ بخ، مال رابح، مال رابح**».

وجاء أبو الدحداح«طلحة» إلى زوجته وأولاده، وهم في البستان ونادى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي من الحائط فقد أقرضته ربي عز وجل فعمدت رضي الله عنها إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وما في أكمامهم، وقالت: ربح البيع، ربح البيع.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**كم من عزق رداح في الجنة لأبي الدحداح**» [(١)].

واعلم أنه لن يكون العبد يومًا أكرم من ربه ﷻ، فكلما أنفق شيئًا ولو يسيرًا رزقه الله تعالى خيرًا منه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

يروى أن رجلاً من بني إسرائيل قال لموسى عليه السلام: ادع الله أن يوسع عليَّ في رزقي، فأوحى الله إلى موسى: إني سأوسع عليه سنتين فأخبر موسى الرجل، فاستشار زوجته، وكانت صالحة، فقالت له: أرى أن تنفق مما يرزقنا الله في هاتين السنتين، حتى إذا مرت السنتان أرسل الله من ينفق علينا، فقال لها: نعم الرأي.

ثم فتحوا في دارهم أربعة أبواب وكتبوا عليها: هنا يطعم الجائع، وهنا يسقى العطشان، وهنا يكسى العريان، وهنا يداوى المريض، فمرت السنتان والخير في زيادة، حتى مرَّ نبي الله موسى عليه السلام بعد سبع سنوات فتعجب من كثرة الخير فسأل ربه فقال الله تعالى: يا موسى لقد فتحت على عبدي بابًا ففتح أربعة أبواب، أفيكون العبد أكرم من سيده ؟

ثم هو بيت يغتنم أصحابه مواسم الرحمة والطاعة بالصيام وسائر وجوه الإحسان:

روي عن سليمان بن أبي سليمان مولى هاشم، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: علمني رسول الله ﷺ ثلاث خصال لا أدعهن حتى أموت: ألا أنام إلا على وضوء، وأن أصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وألا أدع صلاة الضحى [(٢)].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ مرني بعمل، قال: «**عليك بالصوم فإنه لا عدل له**»، وفي رواية قلت: يا رسول الله؟

(١) البخاري (١٤٦٢)، (٢٧٥٨)، ومسلم (٩٩٨).
(٢) البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧).

مرني بعمل، قال:﴿عليك بالصوم فإنه لا مثيل له﴾ [(١)].

ويكفي الصائم لله تشريف الله وملائكته له بالصلاة عليه.

وقال رسول الله ﷺ:﴿إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين﴾ [(٢)].

والصوم جنة من النار، عن أبي هريرة ﷺ:﴿من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض﴾ [(٣)].

وروى الإمام البيهقي والطبراني، عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى الأشعري على سرية في البحر، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع، في ليلة مظلمة، إذ هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة: قفوا أخبركم بقضاءٍ قضاهُ الله على نفسه.

فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبرًا يا هذا.

قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاه الله يوم العطش الأكبر، فكان أبو موسى يتوخى اليوم الحر فيصومه.

قال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤].

قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين.

لقد عطر السلف الصالح صفحات التاريخ بعبيرهم وتقواهم، ونسيم تعبدهم وصيامهم لله ﷻ.

فهذا عثمان بن عفان ﷺ يموت صائمًا:

فعن الزبير بن العوام قال: كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله.

(١) النسائي في الكبير (٤/ ٧٠).
(٢) الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٨٧).
(٣)الطبراني في الأوسط (٤/ ٤٦).

وذكر الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: صلى عثمان الصبح ذات ليلة، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: إني رأيت أبا بكر وعمر أتياني الليلة، فقالا لي: صم يا عثمان، فإنك تفطر عندنا، وإني أشهدكم أني أصبحت صائمًا، وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالمًا مسلومًا منه، ثم دعا بالمصحف فأكب عليه، فدخلوا عليه فقتلوه وهو يقول:﴿وهل يشبع الحبيب من كلام حبيبه﴾،﴿والله لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا﴾.

وهذا الإمام مسروق﴿تاج العُباد﴾:

قال عنه الإمام الشعبي: غُشي على مسروق في يوم صائف وهو صائم، وكانت عائشة قد تبنته فسمى بنته عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئًا قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه افطر واشرب، فقال: ما أردت بي يا بُنية ؟ قالت: الرفق يا أبتي.

قال: يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

ثم هو بيت قائم على منهاج النبوة:

أولاً: نظافة البيت وترتيبه:

يقول النبي ﷺ:﴿**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحبُ النظافة، كريم يُحبُ الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا اليهود**﴾ (١).

كما تتراكم ذرات الأتربة العالقة في الهواء على الأثاث فتمحوا بريقه، تتراكم كذلك آثار الذنوب على القلب ولو كانت مثل الذرات فتطفئ نوره، يقول الله ﷻ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

بيتك هو موطن السكن والمودة والرحمة والربانية وهو محل لقاء الزوج وصحبته، وهو الذي ينمو فيه الأولاد ويكبرون، وهو حافظة

(١) الترمذي (٥/ ٦٢).

الذكريات الجميلة للحياة الزوجية، فكم يحتاج البيت منك من تنظيف وترتيب وتجميل، وكم يحتاج إلى هندسة النحلة ونشاطها، وحركتها الدائبة حتى يكون واحة للأبدان والوجدان.

أنت مثل النحلة فمنزلك هو حديقة أزهارك التي تبهج النظر وتشرح الصدر وتثمر الخير يرتاده الصالحون من الأهل والأضياف فيجدون فيه متعة النفوس، فلا تقع أبصارهم إلا على ما يسر الناظرين، ولا تشم أنوفهم إلا الروائح الطيبة والرياحين كل ما فيه مرتب كأشجار الحدائق والبساتين.

سلوكيات

ففي المطبخ مثلاً: احرصي على غسل الأطباق والأواني أولاً بأول، ووضعها في المكان المناسب لها ولا تتركيها تتراكم فيبدو المطبخ دائمًا نظيفًا مرتبًا.

احرصي على ترتيب حجرة نومك بمجرد الاستيقاظ وقبل مغادرتها حتى يألف الأولاد هذا العمل ويعتادوه وحتى لا تألف النفوس الفوضى وعدم النظام.

بيتك المرتب الجميل، دعوة إلى الإسلام وقيمه ونظامه.

اعرضي على جارتك المريضة تنظيف بيتها وترتيبه.

ثانيًا: إعداد الطعام:

أنت مسؤولة عن البيت وغذاء من فيه فهي رسالة ومسؤولية، يقول المصطفى ﷺ: **﴿كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهلهً راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته﴾** [١].

(١) سبق تخريجه.

انتوي عمل طعام طيب لإعانة عباد الله الصالحين، الزوج والأولاد وكل من يأكل من هذا الطعام حتى تشاركيهم أجور أعمالهم عند الله ﷻ حيث كنت العون لهم عليها.

تدبري وتفكري في النعم التي بين يديك فكلها أرزاق مُقسمة وصلت إليك بهذا اليسر بعد أن قام خلق كثيرون بالعمل فيها فهذا الصنف من الخضار - مثلاً - هناك من زرعه ومن جمعه ومن حمله ومن باعه وغيرهم كثير جعلهم الله ﷻ في خدمتك وخدمة بيتك، ثم إن الذي زرعه في الحقيقة هو الله ﷻ: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة:٦٣، ٦٤].

إننا نلقي بحبات صغيرة في التراب فتخرج لنا جنات وحبًا نحصده ونأكله فمن خلق التراب ؟ ومن أنزل الماء ؟ ومن أنبت الزرع ؟ ومن أثمر الثمرات؟ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق:٧- ١١].

سلوكيات

- احرصي على نظافة كل المواد التي تدخل الطهي، وكذلك نظافة يديك وملابسك ونظافة كل الأدوات والأواني، لأن الله يحب النظافة ولأنها أمانة أنت مؤتمنة عليها ولأنك حريصة كمؤمنة وكأم وزوجة على صحتك وصحة الجميع؛ ولأن النظافة من الإيمان؛ ولأن المؤمنة تتصف بصفة النظافة وتحرص عليها وتعلمها لأولادها ولأنها قدوة لهم في كل شيء.

- اجعلي كل شيء في موضعه ويؤخذ منه بنظام وبالقدر المطلوب ويعاد الباقي إلى موضعه.

بقليل من التدبير وحسن التفكير يمكن توفير مبالغ كبيرة.

- تعودي ذكر الفقراء والمحتاجين واليتامى من أهل الحي أو القرية أو من بلاد المسلمين واجعلي لهم نصيبًا من طعامك.

ما أيسر وما أنفع وما أجمل أن تبعثي طفلك بوعاء يحمل نوعًا من الطعام المحبب إلى منزل الجيران مع كلمة رقيقة تصل للقلب.

قائمة أطعمة الدعوات والمناسبات الإسلامية

الإملاك: عند عقد الزواج.

الوليمة: عند الزفاف.

الوكيرة: عند الفراغ من بناء البيت.

الخُرس: عند القيام من الولادة.

العقيقة: عند ولادة المولود يوم السابع وحلق شعره.

الغديرة: عند الختان.

الحذيقة: عندما يحفظ أحد أفراد الأسرة القرآن كاملاً أو يحصل على إجازة علمية أو شهادة دراسية.

المأدبة: ما يصنع للمدعوين.

التُحفة: طعام للزائرين.

النقيعة: عند القدوم من سفر.

الأضحية: في عيد الأضحى.

الإفطار: للصائمين.

الوضيمة: عند المصائب﴿موت - كوارث﴾.

ثالثًا: غسل الملابس وكيها:

هذه الملابس نعمة عظيمة من الله ﷻ حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ

ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٦].

إنها تستر عوراتنا ونتجمل بها، ونتقي بها من الحر والبرد، فكم من أناس قاموا بصنعها وحملها وبيعها وغير ذلك حتى وصلت إلينا فحافظي على هذه النعمة، وتفكري فيها، واحمدي الله عليها، واطلبي من الله ﷻ أن يحفظها عليكم ويزيدكم منها فكم أناس لا يجدون مثل هذه الملابس والمفروشات وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

- تذكري أن كي الملابس عمل تجميلي وتكميلي لمظهر الإنسان مع خالقه، ثم مع الناس هي من صفات المؤمن، وهي من الإحساس الذي يحض عليه الدين ويمدحه رب العالمين.

سلوكيات

- غسل الملابس يذكرك بالذنوب وكثرتها وأثرها في القلب مثل الثوب يحتاج إلى الغسيل عندما يتسخ.

- عندما تحسين بحرارة المكواة تذكري نار جهنم واستعيذي بالله ﷻ منها.

- احرصي قبل الخروج إلى حيث منشر الغسيل - ولو ليلاً - على ستر عورتك وستر عورة البيت عند فتح الباب أو النافذة.

- احرصي على عصر الغسيل قبل نشره.

- عند الغسيل يراعى وضع الملابس الداخلية إلى الداخل وعدم إظهارها.

- تعودي على الغسيل أولاً بأول حتى لا يتراكم ولا تؤجلي كي الملابس فبمجرد جفافها تقومين بكي ما يحتاج إلى الكي منها.

- لو علمتي بمرض جارتك فاعرضي عليها أن تغسلي غسيلها أو تأخذيه منها وتنشريه وتجمعيه لها.

رابعًا: التجمُّل للزوج:

- التجمُّل والتزين للزوج مستحب ومطلوب - بل هو واجب على الزوجة وتثاب عليه والله جل وعلا يرضى عنها لرضا زوجها بذلك فتجملي وتزيني لزوجك حتى يرضى عنك ربك واقتربي بذلك من قلب زوجك ليقربك ربك منه.

كان رسول الله ﷺ يمشط شعره، ويتسوك ويتطيب، ويغتسل عند الاجتماع بالناس في الجُمع والأعياد والحج وغير ذلك، وكان ﷺ يقول:《**اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي**》 (١).

إنها اليقظة عند الاهتمام بتجميل البدن فلا نغفل عن الجمال الحقيقي للنفس والباطن.

اِحرصي كل الحرص على أن تظهري أمام زوجك في أبهى وأجمل صورة.

تجمُلك لزوجك يرفع إيمانه ويطمئن قلبه لعظمة هذا الدين.

كوني قدوة لقريباتك وزميلاتك وجاراتك في التجمل للزوج وحسن المظهر.

خامسًا: النوم:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

قال القرطبي: أي: ينيمكم فيقبض نفوسكم التي بها تميزون، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(١) البخاري في الأدب المفرد (١/ ٧١).

لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢].

فتوفي الأنفس في حال النوم يكون بإزالة الحس وخلق الغفلة في كل الإدراك.

فقبض الله ﷻ لنفس النائم والميت وإرساله سبحانه لنفس النائم وحبسه نفس الميت مما يجب التفكر فيه والوقوف على ما فيه من الآيات وليس آية واحدة.

قال رسول الله ﷺ: ﴿**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**﴾ [١].

إن الله ﷻ أمرنا أن نستعيذ به من إبليس وجنوده وهذا الحديث يخبرنا بأن شيطانًا يلازمنا عند النوم ولا ينام هو وأنه يجتهد في كيده عندما ننام وخاصة وها هو رسول الله ﷺ يعطينا أسباب الحفظ منه: الذكر، الوضوء، الصلاة، فيصبح الجسم نشيطًا معافى من كيد الشيطان وتصبح النفس طيبة لا يقربها الشيطان الخبيث وإلا إن غفل المؤمن عن هدي النبي ﷺ فإن الجسم يعتل ويكسل والنفس تنقبض وتخبث.

للنوم آداب بينها النبي ﷺ في سنته القولية والفعلية يجب أن تتعلميها وتربي أولادك عليها، وتتضح هذه السنن والآداب في الأحاديث التالية:

عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قل هو الله أحد﴾، ﴿وقل أعوذ برب الفلق﴾، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات، رواه أحمد والترمذي.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: ﴿**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل:**

(١) البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على فطرة الإسلام واجعلهن آخر ما تتكلم به﴾ (١).

وقال رسول الله ﷺ:﴿إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين﴾ (٢).

وكان ﷺ إذا استيقظ قال:﴿الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور﴾ (٣).

وأمر ﷺ المسلم إذا استيقظ أيضًا أن يقول:﴿الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد عليَّ روحي وأذن لي بذكره﴾ (٤).

هذا إلى جانب المحاسبة للنفس على التقصير والعزم على قيام الليل ثم صلاة الفجر وتطهير القلب من الضغائن والحسد وغير ذلك من مهمات الدين.

لا تنسي عند النوم القبور ووحشتها، وغربتها، وطول مدتها.

الوقت هو الحياة، والنوم الزائد عن الحد خسارة في الحياة.

مؤانسة الزوج والأولاد قبل النوم واجب دعوي.

النوم على فراش وفي بيت آمن نعم تذكرنا بإخواننا المحرومين من هذه النعم.

(١) البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).
(٢) البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤).
(٣) البخاري (٦٣١٢)، ومسلم (٢٧١١).
(٤) الترمذي (٢٩٨).

سادسًا: التعايش مع من بالبيت:

من نعم الله العظيمة نعمة الاختصاص ببيت وزوج وأولاد وأهل، فالإنسان مفطور على أن يأنس بالأهل وأن ينتمي إلى أسرة تخصه، ويحن إلى أن تكون له بيت وأسرة يتابع فيها مراحل عمره فقد كنت طفلة ودرجت في منزل أهلك حتى أصبح لك منزل، وأصبح لك زوج، ثم أصبحت أمًا وربما جدة يقول المولى سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

ويقول أيضًا: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾ [النحل:٧٢].

- جاهدي نفسك وعوديها الصبر عند رؤية التقصير من الأولاد وعند كثرة مطالبهم وعند حدوث ما يُغضب ويغيظ من مواقف معهم.

- عودي نفسك القناعة بما قسم الله لزوجك من الرزق ولا تدفعيه لأكل الحرام فتكوني ممن قال الله فيهن محذرًا الأزواج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [التغابن:١٤].

- وتذكري معه قول النبي ﷺ:《**إنه لا يربو لحم نبت من السحت إلا كانت النار أولى به**》[1].

- وذكريه دائمًا وهو خارج إلى عمله بقولك كنساء السلف الصالح:《اتق الله فينا ولا تطعمنا من حرام، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار يوم لقاء الله》.

- لا مانع أن تساعدي زوجك وتساهمي في نفقات البيت إن كان لك مال خاص، إن كان دخل زوجك محدودًا لا يفي بالمطالب وإياك أن تُمنّي

(١) الترمذي (٢/ ١٤٤).

عليه بفعلك هذا في يوم من الأيام ولا تستغلي هذا في فرض أشياء معينة على زوجك.

- داومي على صلة رحمك واغرسي هذا الخلق في أبنائك وأعلميهم أن صلة الرحم من الواجبات الشرعية التي سيحاسبون عليها.

- صلة الأرحام بالتزاور والتعارف والاستضافة بالتنسيق مع زوجك توسع دائرة المدعوين وهم أحق بذلك يقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

وفي المناسبات وغيرها تستطيعين بالتنسيق مع زوجك جمع أفراد العائلة وتعليمهم وترغيبهم في الدين وتوصيل الدعوة إليهم.

أسأل الله أن يهديكم الصراط المستقيم.

* * *

الفصل الرابع

التفكك الأسري...
الأسبـاب والآثـــار

التفكك الأسري... الأسباب والآثار

تعيش الأمة الإسلامية في وقتنا الحاضر مرحلة عصيبة وحرجة من تاريخها المديد، حيث تواجه عددًا كبيرًا من المشكلات - على المستويين الفردي والجماعي - تحتاج إلى تضافر جهود أبنائها لتجاوزها وتقديم الحلول المقترحة لها، من خلال مناظير قامت في غالبها على تصور إسلامي صحيح للمشكلة ومعالجة سليمة مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة وما فتح الله عليهم من شحذ العقول التي درست الواقع وفهمت ملابساته وتحدياته المتجددة.

واليوم نجد أن أهم المشكلات التي تواجه المجتمع المسلم المعاصر مشكلة﴿التفكك الأسري﴾ الذي نتج عنه قائمة طويلة من المشكلات في المجتمع من مثل: سلوكيات سوء التوافق المدرسي لدى الطلبة والطالبات، وتزايد انحراف المراهقين والمراهقات، ومشكلة تعاطي الخمور والمخدرات، وشيوع سلوك السرقة لدى صغار السن، وأولاد الشوارع، وتكاثر الأمراض النفسية الناتجة عن تهدم الأسرة في الآباء والأمهات والأبناء والبنات وغير ذلك كثير من المشكلات التي يصعب حصرها.

وفي الصفحات التالية سوف نحاول تناول هذه المشكلة من حيث أهم أسبابها وآثارها السيئة، وأخيرًا نطرح بعض الحلول المقترحة التي نقدمها في جانبين: وقائي، وعلاجي والتي قد تساعد على الحد من هذه المشكلة وتخفف من آثارها السيئة على المجتمع وأفراده بمختلف طبقاتهم.

وقبل الدخول في جوانب الموضوع نعرض تعريفًا للتفكك الأسري:

ففي اللغة: فك الشيء فكًا: فصل أجزاءه، ومن هنا يمكننا أن نعرف التفكك الأسري: أنه فشل واحد أو أكثر من أعضاء الأسرة في القيام بواجباته نحوها، مما يؤدي إلى ضعف العلاقات وحدوث التوترات بين أفرادها، وهذا يفضي إلى انفراط عقدها وانحلالها.

أولا: من أهم أسباب التفكك الأسري

من الصعوبة بمكان حصر الأسباب المؤدية لمشكلة التفكك الأسري.

أولاً: لكثرتها.

وثانيًا: لتداخل أكثر من سبب في نشأتها في كثير من الأحيان، ولها دورها وتأثيرها في حياة الأسرة.

وقد تتفاوت ظاهرة التفكك الأسري في المجتمعات المسلمة من حيث حدتها ودرجة خطورتها، ولكن الذي لا مراء فيه أن هذه الظاهرة لا يكاد يخلو منها مجتمع مسلم في الوقت الحاضر، وأما أسباب هذا التفكك فعديدة من أهمها ما يلي:

عدم الالتزام بالضوابط الشرعية في الزواج

لقد فرضت التقاليد والأعراف في بعض المجتمعات الإسلامية أنماطًا متنوعة في الزواج تخالف بعض ما دعا إليه الإسلام حتى يثمر الزواج بين الرجل والمرأة ثمرته في السكن والمودة والرحمة، ويكون تعبيرًا صادقًا عن الرغبة المشتركة في حياة زوجية سعيدة، من ذلك إجبار الفتى أو الفتاة على الاقتران بمن لا يأنس إليه ولا يرغب في العيش معه، وقد نهى الرسول ﷺ عن مثل هذا الزواج، وبين أن من حق المرأة أن تعترض على زواجها إذا زوجها أبوها أو وليها دون رضاها.

فقد أخرج أحمد والنسائي وابن ماجه بألفاظ متقاربة: أن بكرًا جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته فجعل الرسول ﷺ الأمر إليها إن شاءت أقرت الزواج وإن شاءت أبطلته، فقالت: فإني قد أجزت ما فعل أبي، ولكني أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء.

كذلك يدخل في باب عدم الالتزام بالضوابط الشرعية والخضوع للأعراف أن يتم الزواج دون الرؤية التي أمر بها الرسول ﷺ قبل العقد

وتفاجأ المرأة والرجل بعد العقد أو الدخول أنه بمن لا يسره أن ينظر إليه، أو يجد الراحة النفسية حين لقائه والحديث معه.

ومن صور الزواج الذي لا تلتزم بالآداب والضوابط الشرعية ألا يرغب الرجل في المرأة لذاتها وإنما يسعى إليها لغرض زائل ومتعة فانية كالحسب والمال والجمال ويؤكد الرسول ﷺ في بعض ما يروي عنه أن الاهتمام بأعراض الحياة الدنيا في الزواج مجلبة للشقاء والتعاسة فقد قال ﷺ: **﴿لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل﴾** [1].

ولا يعني دعوة الإسلام إلى أن يكون الدين والخلق قوام الحياة الزوجية أنه ينبذ المال والجمال وما إليهما وإنما يعني أن يكون الدين والخلق الشرط الأساسي لقيام علاقة مقدسة وميثاقًا غليظًا، المهم إسلاميًا أن يتمتع الرجل والمرأة بالدين والخلق.

إن مثل هذه الصور وسواها مما يدور في فلكها وتحكمها الأعراف والتقاليد، أو الحرص على المتاع الزائل أكثر من الحرص على القيم الثابتة لا تجعل الزواج علاقة طاهرة مقدسة يبني الأسرة على مبادئ الدين والخلق والاختيار المطلق والرضا الكامل والأسرة التي لا تؤسس على هذه المبادئ لا تعرف الاستقرار والاستمرار وتهب عليها غالبًا رياح الشقاء والتمزق والتفرق.

وهذه قصة من واقع الحياة:

هو: تزوجتها كما يحدث في الأفلام عندما يقوم البطل بدور المنقذ، كانت شقيقة صديقي، وكان صديقي هذا أحب الناس إليَّ غير أن أباه كان رجلاً جهولاً سيئ الخلق وكان صديقي هذا كثيرًا ما يحكي لي عن أخته

---

(١) ابن ماجه (١/ ٥٩٧، وقم ١٨٥٩).

الوحيدة الوديعة يتيمة الأم التي لا تسلم من بطش أبيها، ولذا رأيت أن من المروءة أن أتزوجها بعدما ابتعد عنها الخطاب بسبب أبيها، عائلتي ذات مركز كبير في إحدى قرى طنطا، وأبي هو عمدة هذه القرية، وعميد العائلة، وقد صدمته رغبتي في الزواج من هذه الفتاة غير أنه لما رأى تصميمي على الزواج منها تركني وشأني، فانطلقت مستشعرًا الانتصار حتى تم الزواج في بيت أبي، نسيت أن أقول: إنني لم أتحقق من ملامح العروس إلا يوم الزفاف مع العلم أنني خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وأعمل في وظيفة محترمة كما لم أسأل يوم قررت الزواج من هذه الفتاة عن مؤهلاتها أو مكانتها الفكرية والعقلية.

لقد وقع المحظور، وصدمني الواقع الأليم فالفتاة التي صارت زوجتي ليست مثل أخيها في شيء لم تكن تجيد القراءة والكتابة، وهي بالمناسبة حاصلة على دبلوم متوسط، ولم تكن تعرف كيف تصلي، بل بلغ من جهلها أنها كانت تصلي في أيام لا يصح لها أن تصلي فيها.

قلت في نفسي: إن واجبي نحوها ممزوج يُحتِّم عليَّ أن أعلمها وأفقهها في أمور دينها، وأن أعذرها لهذا الجهل مستشهدًا بقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:٩٤]، وبالفعل بدأت في وضع برنامج ثقافي يمكنني من خلاله النهوض بمستواها الفكري والعبادي.

وعندما حاولت البدء في تنفيذ هذا البرنامج وجدت منها نفورًا غريبًا وصل إلى حد السخرية مني، ومن أفكاري فقلت: لعله الخير إن شاء الله، غدًا تستقيم وتستوعب فما زالت سنها صغيرة وخبرتها في الحياة قليلة فلأصبرن عليها حتى تصير مثلما أريد، وقد ظللنا على هذه الحال عدة أسابيع حتى حدثت مشكلة بينها وبين زوجة أحد أشقائي فوجئت أثناءها بهذه الإنسانة الضعيفة المنكسرة، وكأنها مارد خرج من القمقم إنها تجيد فن«الردح»، ولديها قاموس فريد من الألفاظ«السوقية» قل أن تجده عند

غيرها، لقد كان هذا الموقف لطمة قوية على وجهي، جعلتني أتهم نفسي بالسذاجة والغباء، وتذكرتُ نصيحة أبي لي قبل الزواج وكيف لم أضعها في اعتباري.

المهم، انكفأت على جرحي هذه الليلة ونمت ولم تشرق شمس اليوم التالي حتى فوجئت بأبيها يطرق عليَّ باب بيتي طرقًا عنيفًا مهددًا بقطع رقبة من﴿يبص﴾ لابنته، كائنًا من كان، ولما حاولت تهدئته والاستفسار عما حدث، علا صوته وصار يصرخ كالمجنون، وأنا لا أعرف سبب كل هذا الصراخ، حتى تقاطر أهلي على بيتي واشتبكوا مع الرجل ولم يجدوا بدًا من توثيقه بالحبال لمنعه من الاعتداء عليَّ وعلى إخوتي، ثم فوجئت بزوجتي العزيزة وقد أتوا بها من خارج المنزل وهي تحمل الذهب والنقود حيث كانت في طريقها إلى قريتهم بعثت في طلب المأذون وطلقت زوجتي المصون، وحللت وثاق حماي، وخرج الجميع من بيتي وتركوني وحدي، فصرت أتمتم: حسبي الله ونعم الوكيل.... داود.

لقد حرص الشرع الحنيف على سلامة البيوت من الآفات فحصنها بتقوية الأساس، ووضع لها القواعد الاجتماعية التي تضمن بقاءها آمنة مستقرة فلا تهتز لعاصفة ولا تحركها عارضة من العوارض.

وحسن اختيار الزوج أو الزوجة من القواعد المهمة لبناء بيت سعيد وإقامة حياة زوجية خالية من التنافر والمشاحنات ففضّل الشرع الرجل ذا الدين على غيره، وفضّل المرأة ذات الدين على غيرها من ذوات الحسب والنسب، والجمال والمال، وأوجب الكفاءة بين الطرفين كي لا ينتقص طرفُ طرفًا أو يفخر عليه أو يعيره بفقره أو جهله، أو دمامته، وأمر المقدمين على الزواج بالتدقيق في الاختيار؛ لأن الأمر ليس متعلقًا بهم وحدهم وإنما يتعداهم إلى أولادهم معتبرًا حسن اختيار الأم حقًا للولد رغم أنه سابق على مجيئه يقول ﷺ:﴿**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**﴾ [(١)]،

---

(١) الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٤) وقال الذهبي: الحارث متهم وعكرمة ضعفوه.

مما يوحي بأن الأمر أكبر مما تعارف عليه عامة الناس عندما يقدمون على الزواج من اهتمامهم بالأمور الشكلية والحسابات المادية.

ولضمان عدم الوقوع في الاختيار السيئ لأحد الزوجين ينصح بالآتي:

١- يجب ألا يتسرع المقدم على الزواج رجلاً أو امرأة في الارتباط بالآخر قبل الاستيثاق من دينه وحسن أخلاقه وهذا يوجب الاجتهاد في الاختيار وألا يغتر أحدهما بجمال أو مال أو منصب.

٢- من حسن الاختيار أن يحدث توافق روحي مع الطرف الآخر من أجل أن تدوم الحياة بينهما مصداقًا لقول النبي ﷺ: ﴿**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**﴾ (١).

٣- لا يعتمد أحد الزوجين على قيام عامل الزمن - حسب ظن البعض - بإصلاح عيب يكون ظاهرًا في الطرف الآخر فإن هذا وهم، والعيوب قلما تنصلح، بل إن كثيرًا منها يزداد بمرور الزمن.

٤- يجب ألا يغفل الطرفان استشارة الأهل والأقارب وكذلك أصحاب الخبرة وأهل المشورة فإذا انتهت مرحلة الرؤية ثم مرحلة الاستشارة تبقى استخارة الله ﷻ وهي أهم المراحل، فإذا أقدم على الزواج أقدم ثابت الخطو، مطمئنًا متوكلاً على الله ﷻ.

الأمية الدينية في فهم الحياة الزوجية:

إن عقد الزواج ينشئ بين الرجل والمرأة علاقة خاصة متميزة لا تتحقق بين الرجل وأقرب الناس إليه رحمًا كما لا يمكن أن تكون بين المرأة وأقرب الناس إليها أيضًا.

وقد اقتضى هذا العقد الذي يقوم على التأبيد أن تكون هناك حقوق وواجبات متبادلة بين الزوجين وقوام كل هذه الحقوق والواجبات حسن

(١) البخاري (٣٣٨٣)، ومسلم (٢٥٢٦).

العشرة بمفهومها الشامل الذي يستوعب الحاجات المادية والنفسية على السواء والذي يتجاوز عن بعض الهنات ويتخذ المواقف العملية لكسب الود والاستعلاء فوق مشاعر الكراهية والنفور والإعراض والنشوز.

ولكن عدم فهم الزوجين لطبيعة الحياة الزوجية وإدراكها لما يجب عليها حفاظًا على هذه الحياة واستمرارها وعدم انتهائها إلا بوفاة أحد الزوجين أو كليهما، وأيضًا عدم فهم الزوجين لما يجب على كل منهما نحو الآخر من الحقوق والواجبات وأن كلاً منهما راع ومسؤول عن رعيته، إن عدم ذلك الفهم أو الأمية الدينية في فهم الحياة الزوجية يهدد الأسرة بالقلق الذي ينتهي بها إلى التفكك أو التفرق.

ونرى هنا عدم فهم أحد الطرفين لاحتياجات الطرف الآخر.

- هي: زوجي تتمناه أية امرأة فهو شخصية ناجحة جدًا شديد الذكاء يحبه كل من يتعامل معه، وهو في بيته زوج محافظ يقدر المسؤولية ولا يتأخر في تلبية طلباتي وطلبات أبنائي، لكنه لا يعرف لغة الحب ولا يسمع عن﴿الرومانسية﴾ رغم ثقافته العريضة وخبراته التي لا تُحصى.

هو جاد للغاية لا تراه إلا في شُغل، يكره الخروج والنزهة ولو حدث صدفة وخرجنا فإنه يظل طوال الوقت وكأنه في غربة لا يكلم أحدًا ولا يحب أن يكلمه أحد.

لقد مر على زواجي منه أكثر من ثلاثة عشر عامًا ولم يقل لي خلالها كلمة حب واحدة، ولم يثن خلالها على لبس جديد لبسته، أو تسريحة شعر فعلتها من أجله بل مرت مناسبات عيد زواجنا وعيد ميلادي وأعياد ميلاد الأولاد لم يكن يكلف﴿خاطره﴾ ويتطوع بتهنئتي أو بتهنئة الأولاد، لم يفعلها والله ولو مرة واحدة، رغم قيامي في كل مناسبة بتهيئة المنزل وإخباره بشكل صريح - بالمناسبة - فيكتفي بقوله: وما المطلوب مني إذًا ؟ هو لا يقصر في الدفع، لكنني في كل مرة أشعر بإيذاء نفسي فيصيبني الاكتئاب وأحاول الابتعاد عنه لكنني لا أستطيع وسرعان ما أعود إليه.

لقد أقدمت على خطوة لإصلاح هذا العيب في زوجي فصرت من يومها في موقف لا أحسد عليه، إذ شكوت إلى زوجة صديق له وهي صديقتي في الوقت ذاته، ولم يقصر هذا الصديق في نصحه وساق له دليلاً على ذلك هو حديث النبي ﷺ:﴿**وإن لبدنك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا**﴾ [(١)]، فكان ما حدث مني هو قاصمة الظهر، إذ اعتبر هذا إفشاءً لأسرار البيت وخيانة ليس بعدها خيانة، وقد حاولت الخروج من المأزق بادعاء أنني لم أقل لها شيئًا، وكما قلت: فإنه شديد الذكاء، فقد استطاع الربط بين ما قاله صديقه، وبين تصرفاتي معه، وما زال يلح عليَّ ويستنطقني حتى اعترفت بأنني شكوته لزوجة صديقه.

ومنذ هذا اليوم الذي مرَّ عليه سنة وشهران، وزوجي يتجنب الحديث معي وينادي على الأبناء لتلبية طلباته.

إنني أشعر بأنني أعمل مربية أطفال هذا الرجل، ولست زوجة وأمًا لأولاده، وقد زاد هذا الشعور بعد الموقف الأخير، وأنا لا أدري ماذا أفعل؟ إنني لا أحتاج أكثر من معاملتي كامرأة ذات مشاعر وأحاسيس، إنني أحبه كثيرًا، وأفعل كل شيء يحبه لكنه يحبطني فأتراجع عن هذا الحب، وأحاول الابتعاد عنه - كما قلت - فلا أستطيع، فأظل هكذا في صراع مرير.

هناك شكوى متكررة من أزواج يهملون زوجاتهم وزوجات يهملن أزواجهن، ومن المفيد للطرفين الاستماع لهذه الشكاوى منذ البداية وبحث حلولها وهذا حق الشاكي، أما إن أُهملت هذه الشكاوى فربما الأخطر أنها قد تؤدي إلى انحراف الطرف المتضرر بعد عدم إجابة حقوقه.

إن بعض الأزواج يخلطون بين الحياة الزوجية وحياة العزوبة ويضيقون بالمسؤوليات، وهناك أزواج آخرون يصيبهم الملل من قيود

(١) البخاري (١٩٦٨).

الزواج، وتبعاته وفي كلتا الحالتين هناك إهمال وهنا شح في العواطف وهناك رتابة وملل، وقد يستغل طرف من طرفي الزواج سكوت الطرف الآخر وعدم شكواه فيرتب﴿أوضاعه﴾ ويبحث عن حظوظه، وسعادة نفسه، وهو لا يدري أن مرجلاً يغلي في بيته، الزوج يقضي معظم وقته في الانشغال في حين تنمو التعاسة وتكبر على وجه وفي قلب الطرف الآخر.

لقد حرم الإسلام الرهبانية واعتبرها مجافية لفطرة الله التي خلق الناس عليها، ولقد عاب النبي ﷺ على رهط من شباب الصحابة نظروا إلى عبادة النبي ﷺ فكأنهم تقالوها، أي: اعتبروها قليلة، فكانوا يصومون ولا يفطرون، ويقومون لا ينامون، ويقاطعون الزواج، فلقنهم النبي ﷺ درسًا في وسطية الإسلام وعدله ورحمته قائلاً لهم:﴿**أما أنا، فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**﴾ [(١)].

فليس من السنة إذًا أن ننشغل عن بيوتنا مهما كانت الأسباب وعلى الزوج أو الزوجة أن يدركا أن مداعبة الآخر واللهو معه لا يدخلان في اللهو الباطل، إنما يؤجر أحدهما على ذلك ويثاب، قال رسول الله ﷺ:﴿**كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا رمية عن قوس، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق**﴾ [(٢)].

ولعلاج هذه المشكلة ينصح بالآتي:

١- يلفت من وقع عليه الضرر، الطرف الآخر إلى المشكلة التي يعانيها بشرط أن يكون ذلك برفق وحميمة وأن تُطرح المشكلة بطريقة لا يشعر معها المتسبب فيها بأنها أوامر للتنفيذ.

٢- تطرح الأمثلة الإيجابية والسلبية، أمام من تجاوز بغرض تحفيزه على إصلاح عيوبه وعدم التقصير في حقوق الطرف الآخر.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) الترمذي (٤/ ٩٣).

٣- على الزوجة - تحديدًا - عبء ملء الفراغ العاطفي في حياة الزوجية بتحويل أوقات الزوج بالمنزل إلى أوقات سعادة و﴿لمة﴾ للأسرة وهذا كاف لخلق الدفء الأسري والأمن العائلي.

٤- هناك من الأزواج من يعقدون جلسات دورية للمكاشفة والتقييم، يعلن خلالها كل طرف عن احتياجاته من الطلب الآخر، وهذه مرحلة متقدمة وجيدة، إذ تصير الحياة الزوجية معها مثالية فلا يكون ثمة عتاب أو شكوى.

٥- لا تصلح المداراة أو التلميح في علاج هذه المشكلة فقد يكون الطرف الآخر المخطئ مستريحًا للوضع القائم فلا يلجأ أبدًا إلى الحل، بل يراوغ ويهرب مستغلاً عدم الصراحة، فوق أن المداراة أو التلميح قد تُذهب بعقل الطرف المخطئ مذهب شيء من الشك أو الريبة.

وتتجلى الأمية الدينية في موضوع الحياة الزوجية في صور متعددة منها:

أ – إهمال الأم لرسالتها الأولى:

اقتضت حكمة الله في خلقه أن يقوم الاجتماع البشري على أساس من التقاء الزوجين الذكر والأنثى فلكل منهما خصائص ينفرد بها إلى جانب ما بينهما من الخصائص المشتركة وتلك الخصائص يكمل بها أحدهما الآخر وهو تكامل نفسي وبدني واجتماعي وبدونه لا تقوم الحياة وباستقلال أحد الزوجين بنفسه أو ترك اختصاصه إلى الآخر يحدث الفساد وتتعطل الحياة.

ولخصائص الفطرة التي انفردت بها المرأة كانت رسالتها الأولى في الحياة والتي خلقت لها هي أن تكون أمًا وربة بيت وهي لن تنهض بهذه الرسالة على أحسن وجه إلا إذا تفرغت لها ولم يشغلها عنها أمر آخر.

والخطأ الفادح هو أن تهجر المرأة بيتها وتهمل رسالتها السامية وتحرص على خارج البيت معتقدة أن هذا العمل ضرورة لمشاركتها الإيجابية في الحياة وذلك لأن عمل المرأة في البيت هو الأصل وهو عمل له خطورته وأهميته، أما عملها خارج البيت فهو استثناء من هذا الأصل، والإسلام لا يمنعها منه ما دام لا يطغي على عملها في البيت أو يكون على حسابه.

جاء في كتاب فتاة الشرق في حضارة الغرب للأستاذ محمد جميل:

وجدير بالذكر الإشارة إلى أنه حتى النساء اللواتي قضى عليهن الزمان بمغادرة المنزل وراء الكسب غلب عليهن الأسى والندامة لهذا المصير، وأكبر دليل على ذلك الاستفتاء الذي قام به معهد غالوب في أمريكا من مدة قريبة - وهو معهد مهمته الاستفتاءات العامة لتحديد اتجاهات الرأي العام - قام باستفتاء عام في جميع الأوساط في الولايات المتحدة بصدد تعيين رأي النساء الكاسبات في صدد العمل، وإذا هو ينشر الخلاصة الآتية:

إن المرأة متعبة الآن ويفضل ٦٥% من نساء أمريكا العودة إلى منازلهن، كانت المرأة تتوهم أنها بلغت أمنية العمل، أما اليوم وقد أدمت عثرات الطريق قدمها واستنزفت الجهود قواها، فإنها تود الرجوع إلى عشها والتفرغ لاحتضان فراخها [(١)].

وذكرت محررة باب " مع المرأة " في أهرام ١٩٦٠/١٢/٢١م، تحت عنوان: **الإحصائيات أثبتت أن المرأة تفضل النجاح في زواجها عن النجاح في عملها ما يلي:**

في ألمانيا أجريت إحصائيات ضخمة بين السيدات اللاتي يمتلكن المراكز الكبيرة في الشركات والمصالح، وسئلت كل واحدة: هل تفضل

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، د/مصطفى السباعي، (ص١٧٥).

نجاحها في العمل ؟ أم نجاحها في الحياة الزوجية ؟

من الغريب جدًا أن الإجابات كانت واحدة بدون استثناء فقد أجابت كل سيدة متزوجة بأنها تفضل النجاح في حياتها الزوجية على النجاح في عملها، وأنها مستعدة للتضحية بعملها ومركزها الكبير، ولا يمكن أن تضحي ببيتها وزوجها وأولادها وأجابت مجموعة كبيرة من السيدات المتزوجات: بأنهن كن يفضلن الزواج مع البقاء في مراكز صغيرة جدًا، وتقاضي مرتبات ضئيلة جدًا من الوصول إلى هذه المراكز المرموقة بدون زواج فقد تبين لهن أن النجاح في العمل يعطيهن الاستقرار والسعادة الحقيقية التي تتمناها كل واحدة لنفسها [1].

إن الأمية الدينية كادت أن تلغي من عقل المرأة أهمية عملها في بيتها ورعايتها لزوجها وأولادها، وأصبح نزولها إلى ميادين الأعمال العامة وميادين الإنتاج ينطوي على كثير من الأضرار البالغة من الناحيتين الخلقية والاجتماعية، فهو يؤدي إلى إهمالها لشؤون بيتها وأولادها، ويترتب على هذا الإهمال الاضطراب في حياة الأسرة، وتقويض لأهم مقوماتها ودعائمها وإضعاف لروح الترابط العائلي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك تخطيطًا دوليًا يبتغي أن تتخلى المرأة عن رسالتها الأولى بحجة حقها في مشاركة الرجل معترك الحياة، وأن تخرج من بيتها إلى عمل لا يتفق مع فطرتها وطبيعتها الأمر الذي نشأت عنه ظاهرة الحيرة، والتمزق التي تواجه الأسرة المسلمة الآن.

وما زالت المؤتمرات الدولية وبعض الندوات التي تعقد في العالم الإسلامي وقد تبنى القائمون عليها أهداف تلك المؤتمرات تنشر مفاهيمها وتروج لأفكارها، والمرأة لأميتها الدينية وعدم وعيها بأهمية وجودها في بيتها تستقبل هذه الأفكار والمفاهيم دون فقه لأبعادها أو معرفة بما تسعى

---

(١) نقلاً عن كتاب الإسلام والأسرة، (ص٤٣، ٤٤).

إليه وفي هذا خطر فادح على استقرار الأسرة وسلامة كيانها، فلهذه الأفكار الهدامة تأثيرها في العديد من النساء وبخاصة بعض المتعلمات اللاتي عشن مناخًا دون نقد أو تمحيص، من قضايا تحرير المرأة وتأكيد استقلالها وحقها في العمل حتى ولو لم يرغب زوجها أو وليها.

على أن إهمال الأم لرسالتها الأولى ليس مقصورًا على حرص المرأة على العمل خارج البيت، وإنما قد يكون هذا الإهمال بسبب بعض التقاليد الضارة كالإسراف في العلاقات الاجتماعية مثل: الزيارات التي تمتد فترة طويلة دون فائدة من ورائها، فهي لقاءات تضيع الوقت في ثرثرة فارغة وأحاديث تافهة.

ويترتب على هذه الزيارات أن تهمل المرأة في رعاية أبنائها، وتجعل من بيتها مجلسًا للزيارات وتنسى أنه مقر للراحة والسعادة للزوج والأولاد، كما تدع مهمة الرعاية والعناية بالبيت والزوج والأبناء إلى الخدم، وهؤلاء أصبح لهم في الأسرة حضور مستمر جعل منهم ركائز أساسية لهذه الأسرة وكانوا من ثم من عوامل ضعف العلاقات بين أفراد الأسرة.

فالخادمة هي التي تقوم بما يطلبه الأطفال من الأم وما يطلبه الأبناء من الأب أو ما يطلبه الأب من الزوجة من رعاية واهتمام.

ولوظيفة الخدم المهمة للأسرة كاد يختفي غالبًا الأسلوب المباشر بين أفرادها وهذا الأسلوب هو الذي يعزز الرابطة العائلية بين هؤلاء الأفراد، وإذا ظل للخدم ذلك الدور اهتزت العلاقة بين أفراد الأسرة وأصابها الوهن وتعرضت للقطيعة أو التنافر.

ب – تقصير الرجل في القيام بواجباته:

إن واجب الرجل نحو أسرته ليس مقصورًا على الإنفاق المادي ولكن القوامة التي منحها الله للرجل تعني المسؤولية بمفهومها الشامل لكي يقوم الرجل بهذه المسؤولية كما ينبغي أن تكون كان عليه أن يكون له حضور

بين أفراد أسرته وأن يشعر الجميع بقربه منهم وأنه معهم يشاركهم فيما يهتمون به ويتعرف على ما يرغبون فيه ويصحبهم أحيانًا خارج البيت في نزهات أو زيارات ولا تشغله أعماله مهما تكن عن الرعاية التي فرضت عليه لكل أفراد أسرته، وليكن قدوته في ذلك الأب والزوج الكريم النبي محمد بن عبد الله عليه أفضل وأتم التسليم.

والرجل إذا قام بمسؤوليته كاملة حمى أسرته من أسباب التفرق والتقاطع ونشأ الأبناء نشأة سوية في ظل أب يغدق الحنان والعطف إلى جانب الشدة والقسوة إذا اقتضى الأمر ذلك.

ولكن إذا قصر الرجل في القيام بواجباته المادية والمعنوية أو ظن أن مهمته لا تخرج عن توفير الحاجات الضرورية من طعام وشراب وما إليهما لأسرته، ثم يهمل بيته وشؤون أولاده لانشغاله بمجالسة أصدقائه وخروجه معهم في نزهات ورحلات متكررة أو يسرف أو يبذر في الحفلات التي لا مبرر لها، أو يغيب عن أسرته شهرًا أو عدة شهور بحجة عمله التجاري بحيث يصرف معظم الوقت في متابعة تجارته ليلاً ونهارًا، في لقاءات واجتماعات وسفريات وحفلات عامة، وخاصة، وبهذا لا يجد وقتًا لأسرته فتبدأ الزوجة بالتذمر والاستياء من هذا الغياب، وتشعر بأن الزوج الذي كانت تحلم بمشاركته لها أحداث الحياة اليومية، يتبخر يومًا بعد يوم خصوصًا إذا كانت الزوجة ليس لديها عمل خارج المنزل وقد توفر لها خدم يقومون بكل مهام ربة البيت من تنظيف وطبخ ورعاية لكل صغيرة وكبيرة داخل المنزل وما في محيطه من حديقة وغيرها.

ولذا سرعان ما تبدأ المشكلات في الظهور في هذا المنزل فتبدأ بنقل معاناتها لأهلها وصديقاتها وهؤلاء في الغالب يوفرون موقفًا داعمًا للزوجة ويؤكدون على حقوقها التي يجب ألا تتنازل عنها حفاظًا على شخصيتها ومكانتها في الأسرة فينشب الخلاف والنزاع الذي يحل محل

المودة والرحمة التي ربطت الزوج بزوجته في مفهوم الإسلام، وينتقل الأثر السيء إلى الأولاد الذين يدفعهم هذا الخلاف إلى ترك المنزل ومشكلاته ويندفعون إلى الشارع وما فيه من مخاطر وشرور فيقعون صيدًا سهلاً لأهل السوء الذين يأخذونهم إلى طريق الانحراف بشتى طرق مسالكه.

من واقع الحياة

هي: أنا زوجة وأم لأربعة أبناء، وزوجي يعمل في مهنة محترمة، لكنه قليل الرزق، ومع ذلك فإنني كنت راضية بما قسم الله لنا، ما شكوت يومًا من قلة المال أو ضيق الشقة، بل كنت كثيرًا ما أدعو بدعوة أمي رحمها الله: اللهم أدمها نعمة واحفظها من الزوال، وكيف لا أدعو بذلك وزوجي رجل صالح متدين وصاحب خلق ؟ فكنت لا أرى في الدنيا رجلاً سواه، فقد جمعتنا قرابة بإحدى قرى محافظة الشرقية كما أنني تزوجته صغيرة فهو الذي أكمل تربيتي الخلقية، دراستي الجامعية، وكل يوم كنت أزداد صداقة له والتصاقًا به.

وقد دمنا على هذا الحال حتى تخطى هو الأربعين من عمره فانتقل إلى عمل جديد، ومن يوم انتقاله إلى هذا العمل بدأ يشكو من ضيق الشقة وبُعدها، كنت أواسيه وأقول له: ضيق في الدنيا أو سعة في الآخرة، اصبر فإنما الضيق ضيق النفس، واحمد الله أن أعطاك صحة وأبناء بررة، وبيتًا مستقرًا، وأهلاً وأصحابًا يحبونك، فكان يقول: الحمد لله، ولكن أنا أعمل هذا من أجل الأولاد، فكنت أؤكد له أما الأولاد لهم ربهم، والذي أعطاك سوف يعطيهم وكنت أسوق له الآية الكريمة: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء:٩]، فكانت تطمئن نفسه لفترة ثم يعود للشكوى من جديد.

وفي أحد الأيام جاءني فرحًا مسرورًا وأظهر لي عقدًا وقعه مع إحدى المؤسسات الخليجية، حيث طلبته المؤسسة للعمل بها كمدير لأحد القطاعات الفنية بمقر الشركة هناك.

لم أبد له سعادتي بهذا العقد كما كان يتوقع، بل قلت له: ادرس الموقف جيدًا، ولا تفرح بالعقد وما بعده فنحن لا ينقصنا شيء والحمد لله، فأكد لي أنه لن يستمر هناك أكثر من سنة أو سنتين وسوف يزورنا في السنة الواحدة ثلاث مرات حسب العقد، وأضاف أنه بمجرد شراء شقة سوف يعود فورًا.

ومن يومها مرت سبع عشرة سنة، واشترى زوجي خلالها عمارة - يزيد ثمنها على المليوني جنيه، واشترى أرضًا وبنى فيلا في قريته... و....

وفي كل زيارة لنا أستحلفه بالله أن يكتفي ويعود إليَّ وإلى أولاده فكان يتحجج مرة بأن المؤسسة ترفض الاستغناء عنه، ومرة بأن هذه آخر سنة، حتى مرت هذه السنوات الطوال، أما كيف تحملت أنا كل هذه السنوات فأقول: تحملتها كما يتحمل أصحاب الأمراض المزمنة، وكما يتحملها المسجونون سجنًا مؤبدًا، إن تربية أربعة أبناء ليست أمرًا يسيرًا، وإن بُعد الزوج عن زوجته أمر شديد الصعوبة على الزوجة، لقد قاسيت أيامًا وليالي ولعنت﴿الفلوس﴾ والشقق والعمارات.

إن زوجي الحبيب صار بالنسبة لي بعد سنتين من سفره كالرجل الأجنبي وأقسم بالله أنه كان يأخذ حقوقه الشرعية مني غصبًا عندما يكون في إجازة من إجازاته ولقد شكا لإخوتي وهددني وهددهم بالزواج عليَّ، فأقسمت لهم أني لا أستطيع النوم أثناء وجوده معنا في البيت، وأنني عندما أراه في المنزل أقوم تلقائيًا بارتداء غطاء الرأس ظنًا مني أن رجلاً غريبًا دخل بيتي والآن قارب زوجي على الستين، وقد أصابه العديد من الأمراض التي أحنت ظهره وجعلته يدخل في نوبات إغماءة متكررة ؟

هذا ما جناه عليَّ سفر زوجي أما ما جناه عليَّ زوجي نفسه فأنا واثقة أنه أضعاف أضعاف ما حدث لي، نعم.

تعاني الأسرة أكثر مما تعاني بسبب غياب الزوج عن البيت بالانشغال في العمل وغيره أو بالسفر وكيف لا تعاني ورب الأسرة غير موجود ؟ وما الفرق بينه وبين الأب الذي فارق الحياة ؟ إن بعض من غاب عنهن أزواجهن يرين أن موته كان أفضل بالنسبة لرعاية الأبناء والإشراف على تربيتهم، فإن من مات أبوهم يتحدون الأيام يحملون المسؤولية على أكتافهم مبكرًا ولا يلهون كما يلهو أقرانهم، أما من غاب أبوه إجمالاً أو السفر أو لعمل فإنه عادة ما يتجه إلى الانحراف لغياب الرقيب ولوفرة المادة ولشعوره بإهمال الآخرين له وعلى رأسهم الأب، مما يدفعه إلى تجاوز المسموح والدخول في دائرة الممنوع، وهذه الأعباء الثقيلة تُلقى دفعة واحدة على الزوجة التي لا حول لها ولا قوة، فبدلاً من أن يرعاها زوجها ويحميها ويلبي حاجاتها، تجد نفسها تقوم بدوره الذي لم تُخلق له ناهيك عن حرمانها منه كزوج وما يستتبع ذلك من مخاطر اجتماعية.

وما من زوج سافر تاركًا بيته وأولاده إلا خسر أكثر مما جلبه من سفره، وهل تسعد الأسرة إلا باجتماعها، وتعاونها وتكافلها ؟ لقد ظهرت جرائم بشعة بسبب غياب الزوج عن بيته لفترات طويلة وتحولت الأسرة الكريمة المحافظة إلى مأوى للانحراف ومدمن المخدرات والفاشلين دراسيًا.

إن من أعظم الآثام أن يهمل الأب أسرته بسبب عمله أو سفره ولا يزال الأبناء معلقين في رقبة الأب حتى يشبوا عن الطوق ويبلغوا مبلغ التكليف فإذا انحرف أحدهم كان على الأب الوزر لأنه لا يمنع ولده من ذلك، ولم يقه الشرور والأوزار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

ولعلاج هذه المشكلة ينصح بالآتي:

١- من الخطأ أن يُترك الزوج كل هذه السنوات دون أن يكون للزوجة وقفة جادة معه وخصوصًا أنها هي التي تحمل كل المسؤوليات وتتعرض لكثير من التعب في تربية الأبناء، والوقفة الجادة تعني عدم السماح له بالسفر مهما كانت نتائج ذلك.

٢- إذا أصر الزوج على السفر، تصر الزوجة والأبناء على السفر معه، فإن ادعى أن ذلك يهدر جدوى السفر ويمنعه من♂جمع النقود— من أجلهم يقال له: إذًا لا تسافر وابق معنا طالما يتساوى السفر مع عدمه.

٣- قد يكون الزوج المسافر غائب الوعي عن المخاطر المحدقة بأسرته وأولاده، فعلى الزوجة إطلاعه على النتائج السيئة التي تتعرض لها أسر الأزواج الذين اعتادوا السفر ويؤتى له بأمثلة كي يلتفت إلى أبنائه ويقدر الأمور بقدرها.

والصورة الأخرى هي للزوج الذي ينشغل عن أسرته بأصدقائه وجلساته معهم، فهو ما أن يعود من عمله حتى يتناول وجبة الغداء ثم يرتاح قليلاً ويمضي المساء كاملاً مع الأصدقاء ويحرم الزوجة والأولاد من الجلوس معه أو الخروج معه خارج المنزل، ويوكل هذه المهمة إلى السائق، إن كان عنده سائق، أو يدفع الزوجة لاستخدام سيارة الأجرة لقضاء احتياجات المنزل والأسرة ويكون نتاج هذا السلوك حدوث الشقاق وخلافات بينهما مما قد يؤدي إلى الطلاق وتفكك الأسرة، وانفراط عقدها، وبهذا يحرم الأولاد من القدوة الصالحة في شخصية الأب الذي كان من الواجب أن يقدمها لأولاده من خلال سلوكه الإيجابي وقيامه بأدواره على أحسن حال، ومن هنا يبحث الأولاد عن القدوة لهم دون تمحيص، فيكون القدوة أحيانًا ممن ليسوا أهلاً للقدوة كالممثلين والممثلات والفنانين والفنانات واللاعبين واللاعبات في غالبهم، وهذه السلوكيات نتاج طبيعي لبعد المسلمين عن تطبيق تعاليم الإسلام بشكل صحيح، ولقد كان رسول

الله ﷺ ينشئ الفهم الصحيح لحقوق العلاقة الزوجية، ومراعاة حق الزوجة، حيث قال ﷺ: ﴿خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي﴾ [(١)].

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال: ﴿**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله**﴾ [(٢)]، وهكذا كان تطبيق الصحابة لهذا الفهم.

ومن النماذج المشهورة المؤكدة على ذلك قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه مع صاحبه أبي الدرداء رضي الله عنه، حيث جاء إلى بيته فوجد زوجته أم الدرداء بثياب غير حسنة، فسألها عن السبب، فقالت: إن أبا الدرداء ليس له حاجة إلينا - أي: أنه يقضي الليل في العبادة فلا يجد وقتًا لزوجته - فلما جاء أبو الدرداء ووجد سلمان فرح به، فلما تناولا العشاء وتسامرا ثم ذهب كل واحد لفراشه، نهض أبو الدرداء يريد أن يصلي، فأمره سلمان أن يأوي إلى أهله فيرتاح عندهم، فلما مضى نصف الليل، أيقظ سلمان أبا الدرداء فصليا ما شاء الله لهما، ثم ارتاحا، حتى الصباح، وقال سلمان لأبي الدرداء: إن لربك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حقٍ حقه، قال: صدقت.

إن مسؤولية الرجل في الأسرة كمسؤولية ربان السفينة، عليه أن يقودها نحو شاطئ الأمان والسلامة، ويجنبها الأخطار والأضرار، فإذا أهمل في مسؤوليته كان الغرق هو المصير المحتوم للسفينة، وكذلك الأسرة إذا لم يكن الرجل يقظًا، وعلى وعي بما يجب عليه نحو أسرته، فإنها تغرق في دوامة الخلل، ويكون مصيرها التفكك والغرق.

جـ - كثرة الطلاق لأوهى الأسباب:

وهذه ظاهرة خطيرة لها آثارها المدمرة للأبناء والأخلاق، واستقرار الحياة بوجه عام، وهي في الواقع تعكس عدم الوعي الديني بما أباحه الله من التفريق بين الزوجين، وبعد استنفاد كل وسائل الإصلاح، وذلك لأن

(١) سبق تخريجه.
(٢) الترمذي (٣/ ١٩٤).

الناس يسارعون إلى الطلاق لأوهى الأسباب، ولا يأخذون أنفسهم بما أمر الله به من المعاشرة بالمعروف وعدم الاستجابة لمشاعر الكراهية والنفور وتحري الوقت الصحيح لإيقاع الطلاق.

إن الأمية الدينية في أحكام الطلاق من أسباب كثرة وقوعه وبالتالي كانت من أسباب تفكك الأسرة وتمزقها.

على أن ظاهرة كثرة الطلاق مع هذا تُعد ثمرة طبيعية للزواج الذي لم يستوف شروطه المشروعة، وأيضًا للأمية الدينية في فهم العلاقة الزوجية وعدم وجود أهل الإصلاح للتوفيق بين الزوجين عند خوف الشقاق.

الفارق الكبير في السن:

من المسلم به أن الأصل في جواز النكاح وصحته مهما يكن الاختلاف في السن بين الزوجين إذا تحققت شروط صحة العقد وانتفت الموانع.

ومع هذا يخضع الفارق الكبير في السن إلى بعض القواعد الشرعية في أنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام، وأن درء المفاسد قدم على جلب المصالح، وقد بينت الدراسات الطبية والاجتماعية والنفسية أن الفارق الكبير في السن بين الزوجين يترتب عليه التباين الشديد في القدرة الجنسية.

ولا شك في أن الاهتمام بتربية الأولاد لن يكون كافيًا إذا كان الزوج هرمًا فضلاً عن أن الفارق الكبير بين الزوجين سينعكس سلبًا على معاملة الأبناء.

والفارق الكبير في السن يجعل بين الزوجين هوة عميقة نفسية واجتماعية وعقلية، مما يحول دون تفاهمهما وانسجامهما معًا في حياتهما الخاصة وفي تربية الأولاد مما يؤثر على علاقتهما الزوجية ويكون من عوامل الاضطراب والتفكك والحياة غير الطبيعية في الأسرة.

هـ - البث الإعلامي:

ويشمل كل وسائل الاتصال المعاصرة من: صحافة، وإذاعة، وأقمار صناعية، وفضائيات، وشبكة الإنترنت... إلخ.

وأخطر هذه الوسائل الغزو الفضائي الذي يمثله ذلك الكم الهائل من القنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت فهي وسيلة جديدة وسريعة لاختراق حدودنا، وهويتنا وضمائرنا، إنها تسعى لاقتلاع القيم الإسلامية الأصلية من جذورها، وإحلال القيم الغربية مكانها.

والقنوات الفضائية الغربية تملك من الإمكانات ووسائل الإبهار والجذب والمغريات ما يمكنها من الدخول إلى نفوس أكبر عدد من المشاهدين الذين يكونون عرضة لبث قيم وأفكار تشكل تهديدًا كاسحًا للهوية والثقافة الإسلامية، فالأطفال والشباب أيًا كانت أعمارهم يتعرضون عن طريق البث الفضائي الغربي لمؤثرات خطيرة تحدث هزة عنيفة في القيم والمفاهيم الإسلامية لديهم، وتعد شبكة الإنترنت من أخطر الوسائل التي تفتق عنها الفكر الغربي لنشر ثقافته وعاداته وتقديم المعلومات التي كثيرًا ما تفتقر إلى الصدق والموضوعية والأمانة العلمية، كما تنشر القيم والمفاهيم التي تؤثر على المسلم بصورة سلبية في ظل وجود منظمات إباحية تدعو إلى الانحلال والرذيلة.

ولأن القنوات الفضائية في الدول الإسلامية تجد نفسها في منافسة غير متكافئة مع القنوات الأجنبية، فإن هذه القنوات الأجنبية تبث سمومها دون أن نستطيع أن نغلق دونها النوافذ والأبواب، أو تقديم البديل الذي يحول دون تأثيرها.

وإذا عرفنا أن البث الإعلامي الغربي وبخاصة القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت، تهتم بالأسرة المسلمة وبخاصة الأم، لأن في إفسادها إفساد لكل أفراد الأسرة أدركنا أن هذه القنوات تعد خطرًا مدمرًا للأسرة المسلمة التي تعتبر من أواخر الحصون الإسلامية التي لم تسقط بعد على

المستوى الثقافي أو الاجتماعي أو القانوني.

لذلك لا يقدم البث الإعلامي الغربي إلا كل ما يؤدي إلى إغراق هذه الأسرة في الفلسفات والممارسات التي ترددت فيها الأسرة في الحضارة والثقافة الغربية حتى يتم إحكام السيطرة على هذا الحسن الأخير.

إن البث الإعلامي الغربي سلاح عصري مؤثر يقتحم البيت لتدمير القيم الإسلامية وتمزيق الروابط الأسرية ودفع الجيل الصاعد إلى سبل الضياع والحياة التي لا تعرف طموحًا نحو معالي الأمور وإنما ترضى بسفاسفها.

و – الظروف الاقتصادية:

كثيرًا ما يكون للوضع الاقتصادي للأسرة دور كبير في تصدعها في كِلا الطرفين الغني والفقير، وإن كان الثاني هو الأكثر، ففي حالة الغني نجد بعض الأغنياء ينشغلون بالمال عن أسرهم، بل إن بعضهم يستعمل المال في قضاء شهوته المحرمة ويترك ما أحل الله له فيكون سببًا في وقوع أهله في الحرام والعياذ بالله، وفي حالة الفقر الذي لا يستطيع معه الأب توفير احتياجات أسرته مع كبرها وقلة تعليمه، وإيمانه، مما يؤدي الطرف الأقوى في فرض سيطرته على الطرف الأقل من الناحية المادية.

إن المكانة الاقتصادية المتواضعة للزوج تجعل مكانته الاجتماعية والزوجية أقل في نظر زوجته.

وقد روي عن الإمام أبي حنيفة في اعتبار الكفارة المادية قوله: من كانت لها ولأبيها ثروة عظيمة لا يكافؤها إلا القادر على المهر والنفقة؛ لأن الناس يتفاخرون بالغنى ويتعيرون بالفقر.

وقد استشارت فاطمة بنت قيس النبي ﷺ في خطبة معاوية ؓ لها، فقال:﴿**أما معاوية فصعلوك لا مال له**﴾ [1].

(١) المستدرك (٧/ ٩٢).

إن كون الزوجة أغنى من الرجل قد يخل بممارسة الرجل لحق القوامة، وهذا قد يؤثر في بناء الأسرة واستقرارها، كما يؤثر على نظرة الأبناء لأبيهم وسلوكهم نحوه.

وإذا كان العامل الاقتصادي من أهم العوامل المؤثرة في بناء الأسرة أو في قدرتها على أداء وظائفها ومواجهة مشكلاتها، فإن قلة دخل الأسرة أو فقرها لا يتيح لها القدرة على إشباع الاحتياجات الأساسية لأفرادها، كما سيؤدي إلى انخفاض مستوى تعليم الأبناء وإلى انخفاض مكانة الأسرة ومكانة أبنائها.

ولعل خطورة الفقر لا تكمن في تأثيراته السيئة على الأسرة وعلى قدرتها في إشباع احتياجاتها الأساسية والضرورية فحسب، ولكن تأثيره السيئ يمتد إلى شعور الأبناء بالحرمان وإحساسهم بالدونية، وفقدهم للثقة في أنفسهم وبهذا يؤدي الفقر إلى العديد من المشكلات الاجتماعية والنفسية والأخلاقية للأسرة وفي مقدمة هذه المشكلة التفكك وعدم الاستقرار.

ز – صراع الأدوار:

ونقصد بصراع الأدوار: التنافس بين الزوج والزوجة لأخذ كل منهما مكان الآخر، وإن كان من الزوجة أظهر وأوضح، خصوصًا لدى كثير من الملتحقات بأعمال خارج المنزل حيث تسعى إلى أن تكون هي ربان سفينة الأسرة وهذا خلاف الفطرة التي قررها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء:٣٤]، ويترتب على هذا حصول النزاعات المتكررة على كل صغيرة وكبيرة في أمور الحياة الزوجية مما يمهد الطريق لحصول التفكك الأسري في هذه الأسرة.

وتؤكد الدراسات النفسية الأثر السلبي لصراع الأدوار على استقرار الأسرة وقيامها بواجباتها نحو أفرادها بشكل صحيح وسليم.

ضعف الإيمان:

وهذا العامل كان يفترض أن يأتي في مقدمة العوامل جميعًا لأهميته وعدم تنبه كثير من الباحثين الاجتماعيين والنفسيين له، فإذا كان الإيمان ضعيفًا لدى الزوجين أو أحدهما فالناتج الوقوع السهل المتكرر في الخطايا والآثام التي تسبب مشكلات لا حصر لها داخل الأسرة ويفقد ضعف الإيمان حاجزًا وقائيًا لا مثيل له في مواجهة مشكلات الحياة المعاصرة، حيث يقوم الإيمان القوي المبني على التوحيد الخاص لله ﷻ وملازمة الطاعات على هدي رسول الله ﷺ بحفظ العبد، حفظًا له من عند الله، وتسديد خطاه نحو الخير والصواب في أمور دنياه وآخرته، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٣].

ثانيًا: من أهم أسباب التفكك الأسري:

للتفكك الأسري آثار يصعب حصرها ولكننا سنحاول عرض أهمها فمن ذلك:

١ - آثار التفكك الأسري على الأفراد:

أول ضحايا التفكك الأسري هم أفراد تلك الأسرة المتفككة فالزوج والزوجة يواجهان مشكلات كثيرة تترتب على تفكك أسرتهما فيصابان بالإحباط وخيبة الأمل، وهبوط في عوامل التوافق والصحة النفسية، وقد ينتج عن ذلك الإصابة بأحد الأمراض النفسية، كالقلق المرضي، أو الاكتئاب، أو الهستريا، أو الوساوس، أو المخاوف المرضية، وقد ينتج عن ذلك عدم القدرة على تكوين أسرة مرة أخرى، فينعزل الزوج أو الزوجة عن الحياة الاجتماعية ويعيش حياة منطوية على الذات سلبية

التعامل، لا تشارك الآخرين نشاطات الحياة المختلفة، وهذه ولا شك نتائج تعطل أعضاء من أفراد المجتمع كان يتوقع منهم القيام بأدوار إيجابية في نهضة المجتمع ورعاية صغاره بصورة إيجابية بناءة.

والآثار الأكثر خطورة، هي تلك المترتبة على أولاد الأسرة المتفككة خصوصًا إن كانوا صغار السن فأول المشكلات التي تواجههم فقدان المأوى الذي كان يجمع شمل الأسرة، وهنا فإن الأبناء في ظل هذا التفكك الأسري قد تمتد إليهم أيدي المجرمين الذين يتخذون منهم وسيلة لنشر السموم، أو سرقة الآخرين، وتصبح الطفولة البريئة مبدءًا للانحراف وتشهد محاكم الأحداث صورًا من الجرائم التي يرتكبها الأطفال الذين لم يعيشوا في أسرة مترابطة، كما أن هؤلاء الأطفال الذين فقدوا حياة الأسرة الآمنة المطمئنة تستهويهم غالبًا حياة التمرد والإدمان ويتحول هؤلاء في المستقبل إلى طاقة معطلة أو مدمرة ويرتد هذا على المجتمع بخسارة فادحة تعوق نموه.

لقد أثبتت الدراسات أن ظواهر الإجرام والعنف وانحلال الأخلاق وتوتر العلاقات بين الدول، وظهور القيادات التي كانت سببًا في الحروب المدمرة وحدوث القلاقل والمجاعات المهلكة، مردها إلى أن الروابط النفسية في الأسرة ضائعة، وأن أجيالاً تربت وترعرعت بعيدًا عن مشاعر الحنان والمودة والرحمة، فانتكست فطرتها وانغمست في بؤر الفساد، واستحوذ عليها حب الانتقام، وإراقة الدماء، والاستهانة بكرامة الإنسان.

إن كل من ينشأ في أسرة لا تعرف غير العواطف النبيلة والمشاعر الطيبة والتوجيه الحكيم، والحنان الفطري، تكون نشأته سوية، تكسبه قوة في الجسم، والعقل، وتجعل منه في المستقبل طاقة مبدعة، ولهذا كان الأبناء الذين لا ينشؤون في أسر ولا يذوقون حنان الأبوين، ولا يتمتعون بما يتمتع به سواهم ممن شبوا في رعاية الوالدين مهما توفر لهم دور

الرعاية الاجتماعية، وملاجئ اللقطاء، أسباب الصحة الجسمية يشكلون خطرًا على المجتمعات.

ومن هنا يبدو واضحًا مدى خطورة تفكك الأسرة على الأبناء إذ لا تقتصر آثاره على تخلفهم الدراسي والخلقي، وعدم الإسهام في نهضة المجتمع، وقوته، وإنما تمتد لتؤكد مشكلة خطيرة تتطلب الوقوف عندها، وهي ما يسمى﴿بصراع الأجيال﴾، التي ساعد على تفاقمها - بالإضافة إلى التفكك الأسري - اتساع الهوة بين الآباء والأبناء في ظل التطور الحضاري المادي المذهل، كما أن لوسائل الاتصال المعاصرة دورها في هذه المشكلة وكذلك القنوات الفضائية، وشبكة الانترنت لما تقدمه من انفتاح كبير على عالم الغرب بسيئاته وحسناته، وهذه المشكلة تعاني منها معظم الأسر في جميع مجتمعات البشرية على تفاوت في درجتها وخطورتها بين مجتمع وآخر.

وإذا كان لكل زمان أعرافه ومفاهيمه، وإذا كان الأبناء قد خلقوا في عصر غير عصر الآباء فإن هذا لا يعني التنكر الكامل للثوابت والقيم التي لا تعرف عصرًا دون عصر ولا جيلاً دون جيل، ولكن مشكلة الصراع بين الأجيال - كما يطلق عليها - تمثل عدوانًا على القيم الثابتة، والعواطف الفطرية، كما تمثل تنكرًا لفضل الآباء، واتهامًا لهم بالتخلف الحضاري والفكري، وأنهم يهتمون بعواطف وتقاليد اجتماعية لم يعد لها مكان في عصر المادة والاستقلال الشخصي.

وإذا كان للتفكك تلك الآثار على الزوجين والأبناء فإن آثاره على المجتمع أخطر، فالأسرة قاعدة الحياة البشرية، وقوام المجتمع، فإذا تعرضت للاضطراب والتصدع والصراع، ولم تقم برسالتها في التربية والتوجيه، فإنها بدلاً من أن تكون قوة دفع في المجتمع للخير والإصلاح تتحول إلى قوة جذب للوراء، ولا يكون لها عطاء نافع فيخسر المجتمع

بذلك خسارة فادحة، خسارة أجيال تدمر ولا تعمر، أجيال تعوق مسيرة التنمية والنهضة.

٢- آثار التفكك على علاقات الزوجين بالآخرين:

ينتج عن التفكك الأسري اضطرابات وتحلل في علاقات الزوجين بالآخرين، خصوصًا الأقارب، فإذا كانت هناك علاقة قرابة بين أسرتي الزوجين، فإنه غالبًا وللأسف تتأثر سلبيًا بما يحدث للزوجين فتحدث القطيعة بين أفراد تلك الأسرتين، بل ويصبح هناك نوع من الشحناء والعداوة بين أفراد تلك الأسرتين بحيث لا يطيق فرد رؤية فرد آخر من الأسرة الأخرى في أي مناسبة، أو لقاء عام، وهذا سلوك خطير يفت في عضد الأمة المسلمة التي حث رسول الله ﷺ أفرادها على التعاضد والمحبة والتراحم، فقال:﴿**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا**﴾[(١)].

وقوله ﷺ:﴿**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**﴾ [(٢)].

وقوله ﷺ:﴿**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**﴾ [(٣)].

كما أن الأمر قد ينتقل لأسرة أخرى مستقرة، فإذا كانت هناك عائلتان بينهما علاقة زواج بين عدد من أفرادهما الذكور والإناث، فإنه عند حدوث تفكك لأسرة واحدة فقد يلجأ بعض الآباء أو الأمهات إلى نقل أثر هذا التفكك إلى أسرة أخرى من باب الانتقام أو للضغط على العائلة الأخرى بجميع أفرادها، وتحميلهم مشكلات فرد واحد منهم، وقد تكون النتيجة تفكك أسرة ثانية أو أكثر فيزداد الطين بلة.

وقد سجل لنا القرآن الكريم حادثة فيها الكثير من العبر والدروس وهي حادثة الإفك على أم المؤمنين عائشة ﵂، ويهمنا هنا من القصة موقف

---

(١) البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).
(٢) مسلم (٢٥٦٤).
(٣) مسلم (٥٤).

أبي بكر الصديق ﷺ عندما أراد أن يقطع المساعدة المالية عن قريبه الذي شارك في إشاعة حادثة الإفك، فعندما سمع الله تعالى يقول: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢]، قال: بلى، فتراجع ﷺ وأعاد المساعدة.

وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

وهذا تنبيه من الله تعالى إلى وجوب حرص المسلمين على الترابط والتحاب والبعد عما يجلب البغضاء والقطيعة بينهم.

٣- آثار التفكك على نشر الانحراف:

يؤدي التفكك الأسري في بعض الأحيان إلى تهيئة الظروف لانحراف أفراد الأسرة خصوصًا الأولاد من البنين والبنات فعندما تتفكك الأسرة ويشتت شملها، ينتج عن ذلك شعور لدى أفرادها بعدم الأمان الاجتماعي، وضعف القدرة لدى الفرد على مواجهة المشكلات وتحوله للبحث عن أيسر الطرق وأسرعها لتحقيق المراد دون النظر لشرعية الوسيلة المستخدمة في الوصول للهدف فيصبح المذهب الميكافلي هو الموجه لسلوك الفرد، وفي هذا تغييب للضمير والالتزام بالمعايير والنظم الاجتماعية السائدة التي توجه سلوك الأفراد نحو الطرق المقبولة، لتحقيق الأهداف بصورة مشروعة، والشاهد في ذلك هم الأحداث من الذكور والإناث في﴿دور الملاحظة﴾ الذين ينحرفون في سلوك إجرامي نتيجة التفكك الأسري.

٤ – آثار التفكك على قيم المجتمع وثقافته:

يسبب التفكك الأسري اختلالاً في كثير من القيم التي يسعى المجتمع لترسيخها في أذهان وسلوكيات أفراده مثل الترابط والتراحم والتعاون والمسامحة ومساعدة الآخرين والمحتاجين، والوقوف معهم في حالات

الشدة وغيرها من القيم الإيجابية المهمة في تماسك المجتمع واستمراره.

ويولد التفكك إحباطًا نفسيًا قوي التأثير في كل فرد من أفراد الأسرة المتفككة قد يجعل بعضهم يوجه اللوم على المجتمع الذي لم يساعد على تهيئة الظروف التي تقي التفكك الأسري فيحول اللوم لتلك القيم التي يدافع عنها المجتمع ويسعى الفرد للخروج عليها وعدم الالتزام بها كنوع من السلوك المعبر وعدم الرضى غير المعلن.

كما قد يظهر الفرد نوعًا من السلوك الثقافي المنافي لما هو متعارف عليه في مجتمعه كرد فعل لعدم الرضى عن المجتمع، وثقافته، فقد نجده يمجد الثقافة الوافدة على حساب ثقافة مجتمعه، وقد يصل به الأمر إلى عرض وتمجيد ثقافة عدوه﴿الإسرائيلي﴾، كما هو ملحوظ عند عدد من مثقفي عالمنا الإسلامي، وهنا يكون النتاج سيئًا بنشر ثقافة دخيلة على المجتمع وتغييب ثقافة المجتمع الحقيقية المرتبطة بدينه الإسلامي العظيم الذي جاء لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، كما قال الصحابي الجليل ربعي ابن عامر رضي الله عنه.

ثالثًا: وسائل للوقاية والعلاج:

لمحاولة طرح حلول لمشكلة التفكك الأسري، قد يكون من المناسب طرح الحلول في جانبين: جانب وقائي، وجانب علاجي:

أ – الوقاية:

قيل قديمًا: درهم وقاية خير من قنطار علاج، وقد تبنى هذا المثل بشكل واسع في كثير من البرامج الاجتماعية والصحية والاقتصادية والتربوية المعاصرة، وفي مشكلة التفكك الأسري لاشك أن العناية بما يقي من الوقوع في هذه المشكلة يجب أن يعطي الأهمية التي يستحقها من قبل الجميع ولعلنا نعرض بعضًا من طريق الوقاية فيما يلي:

- تقوية إيمان الفرد:

من أهم الأمور التي تقي الأفراد من الوقوع في مختلف المشكلات بناء إيمان قوي في نفوس الناشئة من الصغر ونقصد بذلك التربية الإيمانية التي عرفها أحد الباحثين بأنها: ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء، وقد قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

ما دان الفتى بحجي ولكن ... يعوده التدين أقربوه

فإذا نشأ الفتى على إيمانه إيمان قوي صحيح صادق، نتج عن ذلك شخصية سوية، مستقيمة، قادرة على مواجهة كافة المشكلات بروح المؤمن القوي، المتكل على الله، المتسلح بسلاح المعرفة الشرعية الصحيح، والمستفيدة من كل ما هو جديد مفيد لا يتعارض مع تعاليم دينه، فهيهات أن تفت تلك المشكلات عضد هذه الشخصية، أو توهن قواها، بل سرعان ما تنجلي عن طريقة منذ بدايتها في مهدها.

وقد قال رسول الله ﷺ:﴿**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**﴾ [(١)].

وهذا الحديث اشتمل على الأركان الثلاثة للسلوك:

الركن الداخلي، والركن الخارجي، والركن الخلقي.

فالركن الداخلي: هو الإيمان، والذي أساسه الإيمان الصادق بالله، بكل الدلالات التي تحويها كلمة الشهادة، ثم الركن الخارجي: وهو السلوك وضرب له مثلاً بإماطة الأذى عن الطريق، الذي يعكس تطبيقًا لعدد كبير من معايير المجتمع كالمسؤولية والمشاركة، ودفع الأذى، وخدمة

(١) البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

الآخرين، وصيانة المرافق العامة، وغير ذلك مما يدخل في هذا المفهوم.

وأخيرًا: الركن الخلقي، وضرب له مثلاً بالحياء واحترام الآخرين، والحديث يحمل في طياته الكثير من المعاني التي يصعب علينا حصرها.

وقد أكد الكثير من الباحثين الغربيين أهمية الإيمان في سلوك الأفراد فقد قال الطبيب النفسي الأمريكي﴿هنري لنك﴾: إن هؤلاء الآباء الذين كانوا يتساءلون كيف ينمون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لا حل لها، فلم يوجد بعد ذلك البديل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الإيمان بالخالق وبناموسه الخلقي الإلهي في قلوب الناس، كما يجب التنبيه إلى أن تقوية الإيمان لا تقف على صغار السن، بل يجب أن تمتد لتشمل الأفراد في جميع مراحلهم العمرية وهذه مسؤولية كافة المؤسسات في المجتمع: السياسية والدينية والثقافية والتربوية والإعلامية.

٢- بناء الأسرة على أسس صحيحة:

ويقصد بذلك قيام الأسرة من البداية على تعاليم الإسلام من مرحلة اختيار الزوج أو الزوجة امتثالاً لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:﴿**تُنكح المرأةُ لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**﴾ (١).

فهذه معايير الاختيار عند الناس، ولكن رسول الله ﷺ نبه إلى أهمها والذي إذا فقد لا قيمة للبقية من بعده، وهو الدين، فالزوج سواء كان ذكرًا أم أنثى، إذا كان ذا دين قوي قويم، أسس النجاح لهذه الأسرة الوليدة، وكان حريصًا على قيامها بما هو مطلوب منها على أفضل وجه، مبتعدًا عن ما يعكر صفوها، أو يحدث خللاً في علاقاتها وتماسكها، كما أن

---

(١) سبق تخريجه.

التقارب بين الزوجين في السن والمستوى التعليمي والاجتماعي والاقتصادي من عوامل الوقاية من الخلافات الأسرية التي قد تحدث عند التباين بين الزوجين للحقوق والواجبات التي شرعها الإسلام لكل منها.

٣- عدم التدخل في حياة الزوجين:

وهذا موجه بالدرجة الأولى لأهل الزوج، والزوجة، فعندما ينأى أهلها عن التدخل فيما يعرض لهما من مشكلات، ويطلبون منهما أن يعملا سويًا على حلها دون إقحام الأهل في تلك المشكلات فإن هذه وسيلة وقاية تحمي الأسرة ضمن دخول أطراف أخرى لا تقدر مسؤولية الحفاظ على كيان الأسرة، كما يحدث من بعض الأمهات مع بناتهن المتزوجات﴿غالبًا يحدث هذا عن حسن نية﴾، فتحول أي مشكلة وإن كانت صغيرة﴿عدم شراء الزوج لزوجته حليًا تطلبها﴾ إلى مشكلة كبيرة يتدخل فيها الآباء والأمهات والأقارب وأحيانًا الجهات الرسمية وقد يتطور الأمر إلى تفكك الأسرة.

هذه بعض الأمثلة على وسائل الوقاية:

ب - العلاج:

تتعدد الوسائل العلاجية التي يمكن استخدامها لعلاج مشكلة التفكك الأسري وسنحاول في الصفحات التالية حصرها:

١ - المؤسسات الدينية:

ويقصد بها كل المؤسسات الدينية في المجتمع كالمساجد والعلماء وهيئات الإفتاء، فالمساجد وهي المكان الذي يتردد عليه المسلم خمس مرات في اليوم والليلة، يمكن أن يقدم فيها بيان لحقوق الزوجين في الإسلام، وكيف عالج الإسلام نماذج من المشكلات الأسرية في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي حياة الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من صالحي الأمة، كما أن علماء الشريعة من خلال تفاعلهم مع مشكلات

الأسر التي تصلحهم عن طريق الإذاعة أو التلفاز أو الصحافة، وعرضهم لرأي الإسلام في تلك المشكلات وخصوصًا الجديد منها، يقدمون خدمة للناس هم بأمس الحاجة إليها كما أن لقاءاتهم المباشرة مع الأفراد أو عبر الهاتف لها أثر كبير في حل العديد من المشكلات الأسرية قبل تفاقمها وتسببها في تفكك تلك الأسرة المسلمة.

وهذا الدور يقوم به كثير من علماء المسلمين في العديد من البلدان الإسلامية، مثل ما هو حاصل من أعضاء هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية﴿أعلى هيئة دينية﴾، حيث يقومون بالتفاعل مع الناس عبر كل الوسائل سواء المباشرة من خلال اللقاء في مكان عملهم أو في مساجدهم، أو في مختلف مساجد المملكة، أو من خلال تلقي الاتصالات الهاتفية في منازلهم، أو من خلال أرقام هواتف معلنة وموزعة على نطاق واسع أو من خلال إذاعة القرآن الكريم والتلفاز عبر البرامج المباشرة والمسجلة أو من خلال الصحف والمجلات في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

٢- المؤسسات التربوية:

وهي مؤسسات التربية والتعليم في المجتمع حيث يقع عليها مسؤولية توفير برامج تلامس احتياجات الناس، ومن ذلك توفير المرشدين الطلابيين في مدارس التعليم العام الذين يعملون على تلمس مشكلات الطلاب والسعي لحلها بالاتصال بالوالدين ومناقشة المشكلة معهم﴿لأنهما أحيانًا سبب المشكلة﴾، فما يحدث في منزل الطالب من خلافات ونزاعات يؤثر عليه وعلى تحصيله العلمي كما أن الجامعات ومؤسسات التعليم العالي بما يتوفر لديها من كفاءات علمية عالية التأهيل يتوقع منها توفير برامج موجهة للأسر في مجتمعاتها لإيضاح السبل إلى حياة زوجية سعيدة، وكيفية مواجهة المشكلات الأسرية وتوفير عيادات إرشادية لأفراد

الأسر يقابلون فيها المختصين فيعرضون عليهم المشكلات ويتلقون منهم سبل العلاج المناسبة.

٣- المؤسسات الثقافية والإعلامية:

وهذه المؤسسات كما أنها قد تسهم في وقوع مشكلة التفكك الأسري من خلال برامجها وما يعرض فيها، يمكن أن تساهم في العلاج من خلال القائمين عليها بمسؤولياتهم نحو المجتمعات التي يوجهون إليها برامجهم، فيمكن تقديم برامج وندوات حول عدد من المواضيع مثل مقومات الأسرة المسلمة في العصر الحديث، حقوق الزوجين في الإسلام، السعادة الزوجية في المنظور الإسلامي، مشكلات أسرية معاصرة وحلولها من منظور إسلامي كما يمكن طرح مثل هذه الموضوعات من خلال الكتب والأبحاث وفي المجلات والصحف اليومية، وعلى مواقع في شبكة الإنترنت ويحرص على برامج اللقاءات المباشرة.

٤- المؤسسات الخيرية:

وهي المؤسسات التي يمكن أن تعين في حل مشكلات لها دور في التفكك الأسري، مثل: المساعدات المادية والعينية للأسر الفقيرة، فالوضع الاقتصادي المتردي يؤدي إلى تصدع الأسرة وتفككها، ونشاهد في عالمنا الإسلامي الدور الإيجابي الذي تقوم به تلك المؤسسات الخيرية في مجالات عدة، ومنها الاهتمام بالأسر من حيث السكن والغذاء واللباس والتعليم، وهذه عناصر رئيسية لحياة كل أسرة والنقص فيها يخلق مشكلات داخل الأسرة وبين أفرادها.

كما تستطيع تلك المؤسسات تبني مشاريع عديدة تساعد الأسر على مواجهة متطلبات الحياة المعاصرة المتزايدة مثل تكاليف الزواج والمساندة الاجتماعية للمتزوجين الجدد، ورعاية ضحايا الأسرة المتفككة، خصوصًا صغار السن منهم، عن طريق دور مهيأة بكل الوسائل المعينة لعيش حياة مستقرة هادئة وسعيدة.

٥- مؤسسات الإرشاد الزواجي:

وهي مؤسسات تهتم بكل ما يخص الأسرة في جميع مراحل دورة حياة الأسر، ففي التأسيس تقدم خدمات المشورة للراغبين في الزواج عن وصف للحياة الزوجية والحقوق والواجبات على الزوجين، وتوقع حدوث الخلافات نتيجة اختلاف الطبيعة بين الزوجين ونوعية التربية التي تلقاها كل منها، والظروف المحيطة بهما، كما تقدم خدمات معالجة المشكلات التي تطرأ بعد الزواج بين الزوجين وتقترح الحلول المعينة على تجاوز تلك المشكلات وتقدم برامج مخصصة لتنمية مهارات معينة لدى الزوجين لتجنب تفاقم المشكلات واستخدام الأساليب المناسبة لحلها بطريقة تحافظ على تماسك الأسرة وترابط أفرادها.

ويهدف الإرشاد الزواجي إلى:

١- تخفيف التوتر والقلق والعداوة بين الزوجين.

٢- وقف ردود أفعالها العدائية في التفاعل الزواجي.

٣- التعرف على أسباب الصراع وتبصير الزوجين به.

٤- تنمية الدافع عندهما لحل الصراع والتنافس الذي قد يحدث بينهما.

٥- مساعدتهما على توفيق آرائهما المختلفة والوصول إلى حلول وسط لتسوية الخلافات الناشئة بينهما.

٦- تشجيع كل منهما على التعبير عن همومه التي مصدرها البيت أو العمل والتعرف على هموم الطرف الآخر.

٧- مساعدتهما على تحسين ظروفهما الأسرية التي لها علاقة بالخلافات.

٨- مساعدة كل منهما على تعديل مفهوم الذات ومفهوم الزوج الآخر

عنده، مما يجعله يحسن الظن به، ويتفاعل معه تفاعلاً إيجابيًا حسنًا [(١)].

ومؤسسات الإرشاد الزواجي يكن أن تساعد أيضًا في المرحلة اللاحقة للإرشاد وهي مرحلة الحكمين التي حددها القرآن الكريم لحل النشوز الذي يطرأ على الحياة الزوجية ويهدد بتفككها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٥]، وحل الخلافات بما يعين على عودة المياه إلى مجاريها، وحفظ رابطة الزواج من التفكك والانسلاخ مع لزوم حسن النية وإرادة الخير من الحكمين والزوجين، كما في الآية: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾.

فخطاب المثنى موجه للحكمين، كما قال بعض المفسرين﴿الزمخشري﴾، كما أنه موجه للزوجين.

٦- صندوق العائلة الخيري:

وهي تجربة اجتماعية لدى عدد كثير من العائلات في المملكة العربية السعودية والمصرية، وتقوم على أساس تكوين صندوق خيري يساهم فيه رب كل أسرة ينتسب لتلك العائلة بمبلغ مالي سنوي، ويختار للصندوق مجلس إدارة من أفراد العائلة ويقوم المجلس بتنظيم العديد من الأنشطة من أهمها: عقد لقاء سنوي، أو نصف سنوي، أو ربع سنوي، حسب ما يتم الاتفاق عليه، ويحضر هذا اللقاء كل أفراد العائلة من مختلف مناطق المملكة وأحيانًا من دول الخليج المنتسبين لتلك العائلة حيث يتم التعارف بين أفراد العائلة.

كما أن من الأنشطة التي يضطلع بها الصندوق إصلاح ذات البين بين أفراد العائلة، والتوسط لحل الخلافات الزوجية وتقديم المساعدات المالية للمحتاجين أو الذين تواجههم ظروف ديون لا يستطيعون سدادها، كما يتم

(١) العلاقة الزوجية والصحة النفسية، كمال إبراهيم عيسى.

مساعدة شباب العائلة المقدمين على الزواج، ولا يستطيعون توفير كافة المبلغ المادي للزواج، وهذه كلها أنشطة إيجابية يرجى أن تنتشر في بقية دول العالم الإسلامي الشقيق لما لها من فوائد كثيرة على العائلة وعلى المجتمع الإسلامي ككل.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الإسلام الحنيف قد وضع مراحل متدرجة لعلاج التفكك الأسري، هي:

أ - **الوعظ**: ومعناه النصح أو العتاب أو التوجيه، سواء من الزوج للزوجة أو من الزوجة للزوج، أو ممن لهم تأثير قوي على الزوج أو الزوجة كالأب، أو الأم، أو الإخوة، ويجب أن يتضمن الوعظ الكلمات الطيبة وضرب الأمثلة من الأثر الصالح والسنة النبوية الشريفة، واختيار الأسلوب الملائم لذلك، وهذا من أطوار العلاج والوعظ، يقوم على إقناع وإمناع، وترهيب وترغيب، ويحتاج إلى حكمة اللبيب وإلى ذكاء الأريب، والواعظ إن أخطأ السبيل صار أمره في تضليل.

فإن لم يفلح الوعظ الرشيد ؟ انتقل العلاج إلى التأديب الرشيد، **فأول خطوات التأديب:**

- الهجر اللبيب: ونعني به فراش الزوجية وهذه الدرجة هدفها إشعار الطرف الآخر برفض المعاشرة كوسيلة للضغط من أجل التغيير، وقد حدد الشرع ألا تزيد مدة الهجر عن شهر إلى أربعة أشهر، والهجر لا يعني ترك المنزل، وإنما هو وسيلة لمحاولة الإصلاح داخل المنزل، وداخل الأسرة، وبدون تدخل الآخرين، قال تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء:٣٤].

وقد حذر رسول الله ﷺ من التعدي في الهجر، وقد سأل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ هذا السؤال فقال: يا رسول الله، ما حق امرأة أحدنا عليه، قال:﴿**أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتست، ولا**

تضرب الوجه، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت﴾ (١).

ولماذا يكون الهجر بهذه الصورة ؟

إذا لم يقع الهجر بهذه الصورة انتقلنا إلى أحد محظورين:

الأول: أن يترك الرجل المنزل وهذا هو الفرار، وإما أن يخرجها من المنزل وهذا محذور منهي عنه، وحتى لو وصل الشقاق إلى الطلاق فإنها تقضي عدتها في منزله، ولذلك تفصيل ليس في موضعه، ومما يؤسف له أن بعض الأزواج يسارع بإخراج الزوجة من منزله عند أي خلاف، فيقطع بهذا سبيل الإيلاف.

والهجر بهذه الصورة كريمُ وأليم؛ لأن الزوج لم يسلك سبيل اللعن والبذاء، وكريم لأن الزوج لم يترك البذل والعطاء، ولم يبتعد عن واجبات الآباء، وكريم لأنه يمارس التأديب في صمت عجيب فلا ضجيج ولا صخب، وأليم لأن الوجوه تتلاقى فيرتفع بينهما جدار من الصمت وقد كان من قبل لا يمل حديثها ولا تسأم حديثه، وأليم إذا سترهما الليل، فقدم لها صمت الجفاء وهي تنتظر منه أحاديث الوفاء فتتجرع مرارة الخصام، وقد تذوقت من قبل حلاوة الوئام، فهل لهذا الهجر أمد ؟

يهجرها في الفراش حتى ترجع عن نشوزها، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ هجر نساءه شهرًا وقد فرق بعض الأئمة بين هجر الفراش، وهجرها في الكلام فقالوا: يهجرها في الفراش حتى ترجع، ولا يهجرها في الكلام فوق ثلاثة أيام لقوله عليه الصلاة والسلام:﴿**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**﴾ (٢).

ب - الضرب غير المبرح:

إن لم ترتدع المرأة بالنصح والوعظ، ولم يضغط عليها هجر الفراش

---

(١) أبو داود (٢٢١٤٢)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) البخاري (٦٠٦٥)، (٦٠٧٣) ومسلم (٢٥٥٨).

لتغير من سلوكها، أباح الشارع الحكيم وسيلة الضرب كعقاب مادي هدفه الإيذاء المعنوي، وليس الإيذاء البدني، قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء:٣٤]، فالآية الكريمة قد بينت أن السبب المبيح للضرب هو النشوز وأن الهدف من التأديب هو الطاعة فليس للزوج أن يضرب زوجته لإظهاره سلطته ولاستعراض قوته، ولتذعن الزوجة لسطوته وتستكين لهيبته، فالزوج الذي يعامل زوجته بهذه البواعث الخبيثة مريض، علينا أن نعالج مرض قلبه وفساد عقله، وبعض الأزواج يستفتح حياته الزوجية بشراسة مع الهرة حتى تخاف الزوجة، وهذا خلق مرذول يتنافى مع الأصول التي وردت عن رسول الله ﷺ، ودين الله من الغلظة براء، والإجماع منعقد على أن ليس له أن يضربها بحديد يكسر العظم، ولا بخشب يسيل الدم، وقد وصى رسول الله ﷺ أمته في حجة الوداع بمعالي الأمور وعظيمات المسائل فكانت الوصية بالنساء من هذه المسائل، فقال:﴿**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هم عوان عندكم، تملكون منهن شيئًا غير ذلك**﴾ (١).

ولهذا تكلم الأئمة وفصلوا، وتوسعت كتب الفقه في المسألة حتى ذكرت الآلة التي تستعمل في الضرب فقيل: يضربها بعود كعود السواك، أو بمنديل ملفوف، وما ماثله ذلك، وعليه أن يتجنب الوجه والمحاسن وأن يتجنب الأعضاء التي إن ضربها عليها أدى ذلك إلى العاهة أو الموت، وهذا كله إن حدث أعني الإساءة في استعمال الحق فهو من خلق الأشرار وليس من خلق الأبرار.

جـ - التحكيم: وهنا يتم اختيار حَكَم من أهل الزوجة، وحَكَم من أهل الزوج ومن رأي الإمام القرطبي أن الحكمين لا يكونان إلا من أهل الزوج والزوجة، إذ هما أعرف بأحوال الزوجين ويشترط أن يكونا من أهل العدالة وحسن النظر، فإن لم يوجد من يصلح لذلك فمن غيرهما،

(١) الترمذي (١١٦٣) وقال الألباني: حسن.

وذلك إذا أشكل أمرهما ولم يدر ممن جاءت الإساءة فأما إذا عرف الظالم فإنه يؤخذ منه الحق ويجبر على إزالة الضرر.

توصيات ومقترحات الدراسة:

من واقع الدراسة النظرية للتفكك الأسري وما يصاحب ذلك من سلبيات يمكن رصد العديد من التوصيات والمقترحات لتكون عونًا لأصحاب القرار تساعدهم في وضع التصورات الملائمة والمعالجات الضرورية لخفض آثار التفكك الأسري وذلك للحفاظ على استقرار وتماسك الأسرة في المجتمع:

١- المحافظة على القيم والتقاليد الأصلية والانفتاح على المجتمعات الأخرى في ضوء ذلك.

٢- ضرورة زيادة عدد الأخصائيين الاجتماعيين في جميع المجالات بهدف الوصول به لمستقبل مجتمع منتج.

٣- إتاحة الفرصة لخريجي وخريجات قسمي الخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع في الجامعة للعمل في مؤسسات الرعاية والتنمية الاجتماعية بالدولة تدعيمًا للكوادر الوطنية في هذا الشأن كخطوة نحو توطين مهنة الخدمة الاجتماعية.

٤- تشجيع المبادرات الفردية ودور القطاع الأهلي﴿التطوعي﴾، والقطاع الخاص في التنمية والرعاية الاجتماعية، وتفعيل دور الحكومة في ذلك التوجيه والتدعيم والتشجيع.

٥- الاستمرار في التأكيد على أهمية العنصر البشري وضرورة استثمار الموارد البشرية عن طريق تقديم الخدمات المختلفة لها من تعليم وتدريب ورعاية اجتماعية.

٦- ضرورة تشكيل الجمعيات الأهلية﴿التطوعية﴾ والخاصة هيئة قومية واتحاد عام يقوم بمهمة التنسيق فيما بينها والإشراف والتوجيه لها في ضوء سياسة اجتماعية مكتوبة متفق عليها.

٧- الاهتمام بمسألة التوعية وإعداد برامج تخصصية حول الأسرة ومشكلاتها ومساهمة كافة وسائل ومؤسسات الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في تنفيذ تلك البرامج وإقامة الندوات والمحاضرات ونشر الكتب والمطبوعات والأفلام لتبصير المجتمع بخطورة قضية الطلاق وآثارها ونتائجها.

٨ - أهمية إدراك المجتمع للدور الهام الحيوي للأسرة في المجتمع باعتبارها تشكل محور العلاقات الاجتماعية، وأهمية إشاعة روح التفاهم العائلي والمودة وإدخال البهجة والسعادة بين أفراد العائلة، وتلبية متطلباتها وتعزيز التفاعل الإيجابي بين عناصر الكيان الأسري.

٩- إنشاء المراكز الاستشارية للمساهمة في علاج المشكلات الأسرية والتدخل المبكر لاحتوائها والسيطرة على مسببات مشكلات الطلاق منذ البداية وقبل تفاقمها ووصولها إلى مرحلة مستعصية على الحل.

١٠- تفعيل أدوار مؤسسات المجتمع المدني في مواجهة مشكلات المجتمع وخاصة المشكلات الأسرية.

١١- إنشاء صندوق تأمين اجتماعي لأطفال ونساء الأسر المفككة لتأمين حياتهم وحصر أولاد الأسرة المفككة ومتابعة تحصيلهم الدراسي، والاهتمام بتدريبهم مهنيًا لضمان حياة كريمة وعمل شريف بعيدًا عن التشرد والانحراف.

* * *

الفصل الخامس

صور مشرقة للأسرة المسلمـــة

الأسرة المسلمة القدوة

١ – نسيبة بنت كعب وزوجها وولديها:

كان جبل﴿أحد﴾ خارج المدينة المنورة، يشهد في ذلك اليوم التاريخي معركة ضارية بين المسلمين المنتصرين ببدر وبين المشركين الذين جاؤوا بجموعهم ليثأروا لهزيمتهم في موقعة بدر.

ودارت رحى القتال كما يدور القتال في كل معركة في ذلك الزمن بين مقاتلين راجلين وراكبين، حاملين السيوف أو الرماح أو النبال، وعلى الرغم من قلة عدد المسلمين المجاهدين بالنسبة لكثرة المشركين فقد انتصر المسلمون في المرحلة الأولى من المعركة، وولى المشركون الأدبار، وطلب الرسول ﷺ من عدد من أتباعه المقاتلين أن يقفوا بقمة الجبل مترصدين للأعداء، وكان ﷺ ببعد نظره وخبرته القتالية، وما يملأ قلبه من نور الإيمان يتوقع أن يكر المشركون بعد فرارهم إذا وجدوا الفرصة متاحة وقد حدث ما كان يتوقعه ﷺ وانتهز المشركون فرصة انصراف الحراس عن قمة الجبل للمشاركة في الغنائم وكر المشركون لمواصلة القتال والقضاء على المسلمين.

وصمد النبي ﷺ مع عدد قليل من الصحابة ﵃ أمام جحافل المشركين، وكان بين المجاهدين المسلمين امرأة مجاهدة تتخلل الصفوف وتحمل السقايات بالماء للظامئين منهم، وتضمد جراح المصابين، وتحمس المقاتلين على المزيد من القتال والبذل، وترد القول بين الحين والآخر:﴿ما أبالي ما أصابني من أمر بعد ذلك﴾، وكانت تقصد دعاء الرسول ﷺ لها قبيل المعركة.

فقد أسرعت﴿نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية﴾ تحث الناس على الجهاد حين علمت أن رسول الله ﷺ قرر ملاقاة المشركين في جبل أُحد، وقد قالت لزوجها يومذاك: الآن حق الجهاد لنصر دين الله، فرد عليها زوجها زيد بن عاصم: حق الجهاد يا نسيبة فهيئي لي سلاحي.

وقالت ولداها الفارسان حبيب وعبد الله: نعم أماه، لقد حق الجهاد فهيئي لنا السلاح، وقالت نُسيبة ﵂: لقد هيأت لكم ولنفسي، فإن الجهاد في سبيل الله فرض على كل مسلم ومسلمة.

وخرجت الأسرة بأكملها. نُسيبة وزوجها وولداها نافرين إلى الجهاد في سبيل الله حاملين السلاح والعتاد لا يبغون إلا نصرة الدين الذي اعتنقوه، قبل أن يروا الرسول ﷺ أو يسمعوا منه فقد آمنوا به وهم في المدينة قبل هجرته إليها وقد أشهروا إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ في بيعة العقبة الثانية، وبذلك كانت نسيبة في طليعة اللاتي سارعن إلى اعتناق الإسلام والإيمان برسالة النبي ﷺ، ولا عجب أن كانت أسعد الناس قلبًا وأعظمهم سرورًا بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة.

وبينما كانت الأسرة ماضية إلى ملاقاة المشركين في جبل أحد رآهم النبي ﷺ فابتسم وقال لهم:﴿**رحمكم الله أهل بيت، بارك الله فيكم أهل بيت**﴾، ورأت نُسيبة أن تنتهز الفرصة التي لا تتكرر فقالت للرسول ﷺ: ادع أن نرافقك في الجنة، فقال الرسول ﷺ:﴿**اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة**﴾.

وظل هذا الدعاء يتردد في قلب نُسيبة وهي تؤدي واجبها في المعركة في مرحلتها الأولى، ولما بدأت المرحلة الثانية التي اشتد فيها الأمر على المسلمين، وقد شتتت مفاجأة المشركين لهم شملهم اندفعت نُسيبة تقاتل وتناضل بين القلة القليلة التي صمدت في المعركة مع رسول الله ﷺ.

ورأت المجاهدة البطلة أن المشركين يركزون على قتل النبي ﷺ للقضاء على الإسلام، لأن أي نصر يحرزونه دون قتل النبي ﷺ لن يكون

نصرًا، وإنما هو فوز مؤقت لا يقدم ولا يؤخر، وأسرعت نُسيبة إلى الذين وقفوا يدافعون عن الرسول ﷺ الذي كان يقاتل بلا هوادة أو تراجع، ولما رأت الكفار قد شرعوا سيوفهم لقتل النبي ﷺ في محاولة أخيرة أطلقت صيحتها المشهورة التي رددتها الجبال والقفار: وا محمداه، وانقضَّت على جميع المشركين المحيطين بالنبي ﷺ يريدون منه مقتلاً فأعملت فيهم السيف مرة، وهي عن قريب، ثم تبتعد لتعمل فيهم القوس والسهام، ثم تقترب بالسيف مرة أخرى وتتراجع لتضرب بالنبال، كل هذا ببسالة وشجاعة أصبحت مضرب الأمثال.

وقد قالت نُسيبة، وهي تصف الحادث: خرجت أول النهار أنظر الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأدافع عنه بالسيف، وأرمي بالقوس، وظلت﴿أم عمارة﴾ تقاتل عن النبي ﷺ وتحميه بجسمها تتلقى عنه الطعنات، حتى قالوا: إن الرسول ﷺ كان ينظر أمامه فيراها، وينظر إلى يمينه فيراها، وينظر إلى شماله فيراها، فحيثما التفت رآها وفي يدها سيف تضرب به، أو رمح ترمي به، وليس من عجب أن يضيق المشركون بها، وببسالتها، وبراعتها، في استعمال السلاح، السيف والقوس بل في إصرارها على الشهادة حماية لرسول الله ﷺ، فشددوا عليها، وشرعوا يضيقون عليها الخناق ليقتلوها، ويخرجوها من المعركة، واستطاع أحدهم أن يصيبها بضربة سيف في كتفيها، فسقطت مضرجة في دمائها.

وتقول﴿أم عمارة﴾ عن إصابتها: لما ولي الناس عن رسول الله ﷺ أقبل ابن قمئة يقول: دلوني على محمد - فلا نجوت إن نجا - فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأنا ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني عدو الله هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربتان، ولكن اللعين كان عليه درعان، ولما رأى رسول الله ﷺ الدماء تسيل من﴿أم عمارة﴾ هتف بابنها

يوصيه:﴿**يا ابن أم عمارة، أمك، أمك، اعصب جرحها، بارك الله عليكم أهل بيت فمقام أمك خير من مقام فلان وفلان**﴾، وذكر أسماء بعض الصحابة.

وبعد أن توقفت رحى القتال، عاد المسلمون يتفقدون الشهداء والجرحى، وهم أشد ما يكونون ندمًا لعصيانهم تعليمات النبي ﷺ، وأشد ما يكون وعيًا للدرس الذي تعلموه في هذه المعركة، وفيما هم كذلك إذا بهم يعثرون على﴿أم عمارة﴾ صريعة الجراح، والدماء تنزف منها، ولكن بها رمق من الحياة، فهتف بها أحد المسلمين: نُسيبة، كيف أنت ؟ وما أصابك ؟

فقالت نُسيبة، وهي تلتقط أنفاسها ببطء شديد: حدثوني أولاً عن محمد نبي الله ﷺ، هل رد الله عنه كيد العدو فنجا ؟

قالوا وهم يحمدون الله ﷻ: نعم يا نُسيبة، لقد رد الله كيد العدو إلى نحره، ونجا الرسول الكريم ﷺ.

قالت وهي تحاول الجلوس: ساعدوني إذن لأذهب إليه وأراه بعيني.

فقال أحدهم وهو مدهوشًا: هلا سألت عن زوجك زيد، وولديك حبيب وعبد الله ؟

فردت نُسيبة بحزم وصدق: لا تحدثوني عن غير محمد رسول الله ﷺ.

وهكذا كانت نسيبة تقيم الدليل على كثرة الأدلة، على ما كان عليه المؤمنون الأوائل من تفان في حب رسول الله ﷺ ودعوته وإيمان بدين الله، واستعداد لتضحية بالنفس والزوج، والولد لإعلاء كلمة الله جل وعلا.

وظلت نسيبة على إيمانها وشجاعتها وتضحياتها وشهدت بيعة الرضوان مع رسول الله ﷺ.

فلما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقفت بجانب خليفته الصديق

أبي بكر ﷺ في حروبه مع المرتدين، ومانعي الزكاة، ولما ظهر بأرض اليمامة مدعي النبوة﴿مسيلمة الكذاب﴾ أرسل إليه أبو بكر الصديق ﷺ جيشًا لقتاله، وقبل أن يتحرك الجيش لقتال مسيلمة الكذاب، قالت أمة عمارة، كما قالت يوم أُحد: الآن حق الجهاد لنصر دين الله.

ولكن ولدها حبيب قال لها ضارعًا: أذهب وتبقين أنت يا أماه.

وانطلق حبيب مع جيش المسلمين مجاهدًا في سبيل الله للقضاء على عدو الله في اليمامة، ولكنه وقع أسيرًا في يد﴿مسيلمة الكذاب﴾ مدعي النبوة، وحاول الكذاب اللعين أن يثني حبيبًا عن الإسلام وأن يغريه بالكفر بالإسلام فقال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله ؟

فقال حبيب بإصرار وثبات وشجاعة: نعم أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويضيق صدر مسيلمة بذلك ويقول: أتشهد أني رسول الله ؟

فيقول حبيب: أشهد أنك عدو الله الكذاب ابن الكذاب.

وأمر مسيلمة الكذاب بتعذيب حبيب بن زيد حتى يصرفه عن الإسلام ولكن حبيبًا احتمل العذاب بصبر المؤمن الذي يجد في كل عذاب من أجل الإسلام متعة لا تعد لها متعة، أليس هذا العذاب هو الذي يقربه من الجنة ؟ حتى لقد قيل: إن المؤمن المعذب ليشم ريح الجنة فيحول عذابه إلى راحة ونعيم.

بلغ الغضب مداه من مسيلمة الكذاب بصبر حبيب وثباته، وشجاعته، فأمر اللعين بتقطيع أعضاء حبيب عضوًا عضوًا، ولكن حبيب ارتفع بإيمانه وثباته يصيح عند قطع كل عضو بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حتى استشهد مؤمنًا ثابتًا شجاعًا على كلمة الإسلام والحق.

ولما بلغ أمه نبأ استشهاده، لم تحزن ولم تذرف الدمع، وقالت: الآن لا

ينوب عني أحد في الجهاد لنصرة الإسلام.

وحملت نُسيبة سيفها مرة أخرى وخرجت للقتال ضد مسيلمة الكذاب ومعها ولدها الثاني عبد الله ونذرت نسيبة ألا يهنأ لها بال حتى يقتل مسيلمة الكذاب بيدها أو بيد أحد المسلمين فاندفعت تقاتل ببسالتها المعروفة وهي تشق طريقها إلى حيث يكمن الكذاب اللعين.

وعلى الرغم من أن ذراعها قد قطعت في المعركة إلا أنها لم تتراجع وإنما قالت لابنها عبد الله تزيده حماسًا: أنت الآن ذراعي، فاحمل على عدو الله حتى تقتله.

وحقق الله أملها فكان عبد الله أحد الذين تسابقوا إلى قتل﴿مسيلمة الكذاب﴾، وتقول﴿أم عمارة﴾ عن هذا الحادث: قطعت ذراعي يوم اليمامة، وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لي ناهية حتى أرى الخبيث صريعًا، وإذا عبد الله ابني يمسح سيفه بثوبه فقلت له: أقتلته ؟ فلما قال: نعم، سجدت لله شكرًا.

وهكذا بقيت أم عمارة إلى آخر يوم من حياتها تضرب المثل في الشجاعة والإقدام وعمق الإيمان والتضحية بالنفس والزوج والولد في سبيل إعلاء كلمة الله ونصر دينه ﷺ وعن زوجها وولديها:﴿**رحمكم الله أهل بيت، بارك الله فيكم أهل بيت**﴾، وصدق رسول الله ﷺ.

٢- ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر وزوجها الزبير بن العوام وابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم جميعًا.

هذه الأسرة ضربت المثل الأعلى في القدوة الحسنة.

فالزوج: الزبير بن العوام: حواري رسول الله ﷺ من قوله ﷺ عن الزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله:﴿**طلحة والزبير جاراي في الجنة**﴾[(١)].

(١) الترمذي (٣٧٤١)، وقال الألباني: ضعيف.

وهما من العشرة المبشرين بالجنة.

وكان إسلام الزبير مبكرًا فهو واحد من السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام ويلتقي الزبير مع رسول الله ﷺ من جهة أبيه في قصي بن كلاب وأمه صفية عمة رسول الله ﷺ، وحين أسلم كان عمره خمس عشرة سنة، وهكذا رزق الهدي والنور والخير صبيًا، ويذكر بعض المؤرخين أن أول سيف شهر في الإسلام كان سيف الزبير.

وقد حمل حظه من العذاب واضطهاد قريش.

وكان الذي يتولى تعذيبه عمه، كان يلفه في حصير ويُدخن عليه بالنار كي تزهق أنفاسه ويناديه وهو تحت العذاب: اكفر بمحمد أرفع عنك العذاب.

فيجيبه الزبير في تحد رهيب: لا والله لا أعود للكفر أبدًا، ويهاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية.

وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ لا تفتقده غزوة ولا معركة، ولقد كان حظه من حب رسول الله ﷺ وتقديره عظيمًا، وكان الرسول ﷺ يباهي به ويقول:﴿**إن لكل نبي حواريًا وحواريي الزبير بن العوام**﴾ [١].

ذلك أنه لم يكن ابن عمة رسول الله ﷺ فحسب، ولا زوج أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين فحسب، بل كان - فوق ذلك - الوفي والشجاع الأبي والجواد، السخي والبائع نفسه وماله لله رب العالمين.

لقد كان يدير تجارة ناجحة وكان ثراؤه عريضًا لكنه أنفقه في الإسلام حتى مات مدينًا.

ولما رأى الزبير الحق في نفض يديه من القتال يوم موقعة الجمل، تبعه نفر من الذين يريدون الفتنة دوام الاشتعال وطعنه القاتل الغادر وهو بين يدي ربه يصلي.

---

(١) البخاري (٢٨٤٦)، (٢٨٤٨).

وذهب القاتل إلى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ يظن أنه يحمل إليه البشرى حين يُسمعه نبأ قتله الزبير.

لكن عليًا كرم الله وجهه صاح حين علم أن بالباب قاتل الزبير يستأذن صاح آمرًا بطرده قائلاً: بشر قاتل ابن صفية بالنار، وحين أدخلوا على الإمام سيف الزبير قبله وأمعن في البكاء وهو يقول: سيف طالما والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله ﷺ.

سلام على الزبير في مماته بعد محياه.

سلام ثم سلام على حواري رسول الله ﷺ.

أما الزوجة فهي: أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ ذات النطاقين.

تقول أسماء: كان رسول الله ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشيًا.

وعن عائشة ﷺ قالت: فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها.

فقال أبو بكر:

فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل.

فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك.

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي.

قالت عائشة: وليس عند أبي بكر إلا أنا وأسماء.

قال رسول الله ﷺ: **﴿فإني قد أذن لي في الخروج﴾**.

قال أبو بكر: أو الصحبة، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: ﴿**نعم**﴾.

قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت يا رسول الله - إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: ﴿**بالثمن**﴾.

قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب.

فكانت أسماء تمسيها كل ليلة بالزاد والماء وبما عسى أن تكون قد سمعته أو رأته من حديث القوم وخبرهم.

ثلاثة أميال إلا قليلاً كانت تقطعها الصبية الناشئة في جوف الليل ووحشة الطريق بين أسنة الصخر، ومساحات الرمال ماشية متخفية حذرة مترقبة، حتى تصعد إلى هامة الجبل ثم تنحدر في جوفه فتوافي رسول الله ﷺ بما قصدت له.

وكان أخوها عبد الله له مهمة أخرى يبيت في مكة فيسمع ما يأتمر به المشركون وما يدور من أحداث تمس الدعوة، ثم يذهب إلى رسول الله ﷺ وأبي بكر في الغار قبل أن يستيقظ الناس صباحًا فيوافي المهاجرين الكريمين بما رأى وسمع.

ذلك مثل من الأمثلة لتلك النفوس التي استخلصها الله تبارك وتعالى لدينه واصطنعها لدعوته، فكانت مستقر الكمال ومجتمع أشتات الفضائل ولئن سلمت أسماء من عثرات الطريق فقد مُنحت بالشديد المؤلم من بلاء قريش وأذاهم، فلقد أحاط بها رجال القوم ذات صباح ليتعرفوا منها أمر أبيها، فأنكرت أمره وتجاهلت خبره، ثم أمعنوا في محنتها واشتدوا في أذاها حتى لقد لطمها اللعين أبو جهل بن هشام لطمة طار قرطها فلم يوهن ذلك شيئًا من عزيمتها، ولا عبث بمكنون سرها كذلك اقتحمت أسماء ذلك الطريق الرائع المخوف ثلاث ليال متواليات وفي الليلة الثالثة، وهي ليلة العزم على مفارقة الغار إلى عرين الأنصار بالمدينة، وافتهما أسماء بزاد السفر كله، فلما أذن رسول الله ﷺ بالرحيل نهضت لتعلق

سفرة الزاد فإذا ليس لها عصام فلم تجد ما تعصمها به إلا نطاقها فشقته نصفين فعصمت السفرة ووكأت السقاء بباقية فأبدلها الله بنطاقها ذلك نطاقين في الجنة، كذلك وعدها رسول الله ﷺ فسميت منذ ذلك اليوم: ذات النطاقين.

ومن حديث أسماء: لما خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم فانطلق بها فدخل عليها جدهم أبو قحافة، وقد ذهب بصره فقال: والله لأراه فجعكم بماله مع نفسه.

قالت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، قالت: فأخذت حجارة فوضعتها في كوة في البيت، كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذا ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم.

تقول أسماء: لا والله ما ترك لنا شيئًا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

زواجها رضي الله عنها:

قالت: تزوجني الزبير، ثم حملت بعبد الله، فخرجت كما قالت: وهي متم أي أتمت شهور الحمل، فأتت المدينة مهاجرة فنزلت بقباء فولدته بقباء، قالت: فأتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فمه فكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه، أي: دلك فمه من الداخل بالتمرة ثم دعا له وبارك عليه، وكان أول مولود في الإسلام بعد الهجرة.

شأنها مع ابنها عبد الله بن الزبير:

واحتشد المسلمون في المدينة وحملوا الوليد في مهده ثم طوفوا به في شوارع المدينة كلها مهللين مكبرين.

ذلك أن اليهود حين نزل الرسول ﷺ وأصحابه المدينة كبتوا واشتعلت

أحقادهم وبدؤوا حرب الأعصاب ضد المسلمين، فأشاعوا أن كهنتهم قد سحروا المسلمين وسلطوا عليهم العقم، فلن تشهد المدينة منهم وليدًا جديدًا.

ومضى عبد الله مع أيامه وقدره، لا تتغير خلائقه العظيمة إنما هو رجل يعرف طريقه ويقطعه بعزيمة جبارة وإيمان وثيق، وفي معركة أفريقية، وقف المسلمون في عشرين ألف جندي أمام عدو قوام جيشه مائة وعشرون ألفًا.

وألقى عبد الله بن الزبير نظرة على قوات العدو فعرف مصدر قوتهم وما كان هذا المصدر سوى ملك البربر وقائد الجيش يصيح في جنوده ويحرضهم بطريقة تدفعهم إلى الموت دفعًا، هنا لك نادى بعض إخوانه وقال لهم: احموا ظهري واهجموا معي.

وشق الصفوف المتلاحمة كالسهم نحو القائد حتى إذا بلغه هوى عليه في كرة واحدة فهوى، ثم استدر بمن معه من الجنود الذين كانوا يحيطون بملكهم فصرعهم ثم صاحوا: الله أكبر، وشدوا شدة رجل واحد وانتهى كل شيء لصالح المسلمين.

على أن بطولته في القتال كانت - رغم تفوقها - تتوارى أمام بطولته في العبادة.

وظل ابن الزبير أمير المؤمنين متخذًا من مكة عاصمة خلافته باسطًا حكمه على الحجاز واليمن والبصرة والكوفة وخراسان والشام كلها ما عدا دمشق.

حتى جاء عهد عبد الملك بن مروان فانتدب لمهاجمة عبد الله بن الزبير واحدًا من أشقى بني آدم وأكثرهم إيغالاً في القسوة والإجرام ذلكم هو﴿الحجاج بن يوسف الثقفي﴾ الذي قال عنه الإمام العادل عمر بن عبد العزيز ﷺ: لو جاءت كل أمة بخطاياها وجئنا نحن بالحجاج وحده لرجحناهم جميعًا.

وذهب الحجاج بجيشه وحاصر مكة وطال حصارها واشتد الجوع وتحت وطأته استسلم الأكثرون، ووجد عبد الله نفسه وحيدًا أو يكاد، وراح يقاتل جيش الحجاج في شجاعة أسطورية وهو يومئذٍ في السبعين من عمره.

ولن نبصر صورة أمينة لذلك الموقف الفذ إلا إذا أصغينا إلى الحوار الذي دار بين عبد الله وأمه العظيمة المجيدة﴿أسماء بنت أبي بكر﴾ في تلك الساعات الأخيرة من حياته.

دخل على أسماء وكانت عجوز فانية، قد كف بصرها، ولم يسقط لها سنة ولا ضرس، فقال: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته، فقالت: وعليك السلام يا عبد الله، ما الذي أقدمك في هذه الساعة والصخور التي تقذفها منجنيقات الحجاج على جنودك في الحرم تهز دور مكة هزًا، قال: جئت لأستشيرك يا أماه، قالت: تستشيرني في ماذا ؟ قال: لقد خذلني الناس وانحازوا عني رهبة من الحجاج أو رغبة بما عنده، حتى أولادي وأهلي انفضوا عني ولم يبق معي إلا نفر قليل من رجالي ومن لم يكن عندهم من الصبر ساعة، ورسل بني أمية يفاوضونني على أن يعطوني ما شئت من الدنيا إذا أنا ألقيت السلاح وبايعت عبد الملك بن مروان فماذا ترين يا أماه ؟ فعلا صوتها في شجاعة وقالت: الشأن شأنك يا عبد الله، وأنت أعلم بنفسك فإن كنت تعلم أنك على حق، فاصبر عليه حتى تموت في سبيله ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم أنك أردت الدنيا فلبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك.

قال عبد الله: لست أخشى القتل وإنما أخاف أن يمثلوا بي فتقول أسماء ﵂ لوحيدها: ليس بعد القتل ما يخافه المرء، فالشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها، فأشرقت أسارير وجهه، قال: بُوركت من أم، وبُوركت مناقبك الجليلة، فأنا ما جئت إليك في هذه الساعة إلا لأسمع منك ما سمعت والله يعلم أني ما وهنت ولا ضعفت وهو الشهيد على أنني ما قمت بما قمت به

حبًا في الدنيا وزينتها، وإنما غضبًا لله أن تستباح محارمه، وها أنا ماض إلى ما تحبين وقال: يا أماه، كوني على ثقة بأن ابنك لم يتعمد إتيان منكر قط ولا عمل بفاحشة قط ولم يجر في حكم الله، ولن يعذرني في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يكن شيء عنده أفضل من رضا الله ﷻ، لا أقول ذلك تزكية لنفسي فالله أعلم مني بي قلته لأدخل العزاء على قلبك فقالت: الحمد لله الذي جعلك على ما يحب، وأحب، فقالت: اقترب مني يا بني لأتشمم رائحتك، وألمس جسدك، فقد يكون آخر العهد بك.

فأكب عبد الله على يديها ورجليها يومها يوسعهما تقبيلاً، وجالت هي بأنفاسها في رأسه ووجه وعنقه تتشممه وتقبله وأطلقت يديها تلتمس جسده ثم ما لبست أن ردتها وهي تقول: ما هذا الذي تلبسه يا عبد الله ؟ قال: درعي، قالت: ما هذا يا بني لباس من يُريد الشهادة، قال: إنما لبستها لأطيب خاطرك وأسكن قلبك.

قالت: انزعها عنك فذلك أشد لحميتك وأقوى لحركتك، ولكن البس بدلاً منها سراويل مضاعفة حتى إذا صرعت لم تنكشف عورتك، ومضى عبد الله إلى الحرم لمواصلة القتال وهو يقول: لا تفتري عن الدعاء لي يا أماهُ، فرفعت كفيها إلى السماء وهي تقول: اللهم إني لأرجو الله أن يكون عزائي فيك حسنًا إن سبقتني إلى الله، أو سبقتك، اللهم ارحم طول قيامه في الليل، وظمأه في الهواجر، وبره بأبيه وبي، اللهم إني أسلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله بن الزبير ثواب الصابرين الشاكرين، وتبادلا معًا عناق الوداع وتحيته، وبعد ساعة من الزمن انقضت في قتال مرير غير متكافئ، تلقى الشهيد العظيم ضربة الموت في وقت استأثر الحجاج فيه بكل ما في الأرض من حقارة ولؤم فأبى إلا أن يصلب الجثمان الهامد تشفيًا وخسة.

وقامت أمه وعمرها يومئذٍ سبع وتسعون سنة، قامت لترى ولدها المصلوب، وكالطود الشامخ وقفت تجاهه لا تريم، واقترب الحجاج منها

في هوان وذلة قائلاً لها: يا أماه إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد أوصاني بك خيرًا فهل لك من حاجة ؟

فصاحت به قائلة: لست لك بأم. إنما أنا أم ذلك المصلوب على الثنية، ومالي إليكم من حاجة، ولكني أحدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ قال:﴿**يخرج من ثقيف كذاب ومبير**﴾، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أراه إلا أنت.

وتقدم عبد الله بن عمر ﷺ معزيًا وداعيًا إياها إلى الصبر فأجابته قائلة: وماذا يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل ؟

أهناك كلمات أروع من هذه تقال للذين فصلوا الرأس عن الجسد قبل أن يصلبوه ؟

أجل، إن يكن رأس ابن الزبير قد قدم هدية للحجاج ولعبد الملك بن مروان، فإن رأس نبي كريم وهو يحيى عليه السلام قد قدم من قبل هدية﴿لسالومي﴾، بغي حقيرة من بني إسرائيل.

ما أروع التشبيه وما أصدق الكلمات.

وبعد، فهل كان يمكن لعبد الله بن الزبير أن يحيا حياته دون هذا المستوى البعيد من التفوق والبطولة والصلاح وقد رضع لبن أم من هذا الطراز ؟

فلا عجب فإنها الزهرة الفواحة التي تربت في حقل الإسلام رباها الصديق ﷺ بتربية القرآن والسنة.

سلام على عبد الله.

وسلام على أسماء.

سلام عليها في الشهداء الخالدين.

سلام عليها في الأبرار المتقين.

ألا تستحق هذه الأسرة:

الجد: أبو بكر الصديق.

الأم: أسماء بنت أبي بكر.

الأب: الزبير بن العوام.

الابن: عبد الله بن الزبير.

التقدير والاحترام والاقتداء بهما ؟ فما أحوج الأسرة المسلمة اليوم إلى قدوة صالحة وها هي القدوة كأنها تعيش بيننا فهلمي أيتها الأم وأيها الأب وأيها الأبناء إلى ذلك الصرح العظيم، صرح القدوة الحسنة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قدوة الرجال في البطولة

مر بنا أحد هؤلاء الأبطال القدوة وهو عبد الله بن الزبير ﷺ، ومر بنا أبوه الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ.

قوة الإخوة الأشقاء

ونستعرض معًا صورة من صور البطولة النادرة التي لا توجد إلا حيث وجد الإيمان واستقر في القلب، ومزج هذا الإيمان بالإخلاص وإليكم النموذج الفذ: ثلاثة إخوة أشقاء في المعركة.

معركة فتح نهاوند﴿بلاد فارس﴾.

فكان القائد: النعمان بن مقرن.

ومعه: أخوه نعيم بن مقرن، على مقدمة الجيش.

ومعه: أخوه سويد بن مقرن على مجبنة الجيش ومعه حذيفة بن اليمان.

ومعه: القعقاع بن عمرو على المجردة.

ومع: مجاشع بن مسعود على الساقة.

قال النعمان قائد الجيش لجنوده: استعدوا فإني مكبر ثلاثًا فإذا كبرت الأولى فليتهيأ من لم يكن تهيأ، وإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض. فإذا كبرت الثالثة فإني حامل على العدو إن شاء الله فاحملوا معًا، ورفع النعمان رأسه إلى السماء يبتهل إلى الله ﷻ أن يكتبه مع الشهداء، فقال:﴿اللهم أعز دينك وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهداء اليوم على إعزاز دينك، وانصر عبادك﴾.

فتح الفتوح:

انتهى النعمان من حديثه مع جنوده وصلى الظهر ركعتين، صلاة الخوف، وعاد إلى مكانه والناس ينتظرون التكبير فلما كبر الثالثة حمل المسلمون على عدوهم وانقض النعمان على العدو كأنه عقرب انقض على فريسته، وقد أعم نفسه بعمامة بيضاء وثياب أبيض، والتحم الجيشان.

وقتل النعمان أمير المسلمين حيث زلق فرسه في الدماء فصرعه وأصابه سهم في خاصرته ولم يشعر به أحد إلا أخوه نعيم بن مقرن فحمل الراية إلى حذيفة بن اليمان وخشي المغيرة بن شعبة أن ينكشف أمر المسلمين فقال: اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم.

ولبس سواد بن مقرن ثياب أخيه القائد الشهيد وتقلد سيفه وركب فرسه، فلم يشك الناس أنه النعمان فثبتوا يقاتلون عدو الله وعدوهم حتى أنزل الله نصره وأعز جنده وهزم عدوه.

وسمي ذلك الفتح فتح الفتوح؛ لأنه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون بلادهم.

هدأ المسلمون بعد عناء طويل ونعمت أعينهم بنصر الله لهم، وراحوا يسألون عن قائدهم أين النعمان ؟ فقال لهم أخوه معقل: هذا أميركم قد أقر

الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة، وأدرك معقل النعمان وبه رمق فغسل وجهه فقال له النعمان: من أنت ؟ قال: معقل، قال النعمان: ماذا صنع المسلمون ؟

قال: أبشر بفتح الله ونصره.

قال النعمان: الحمد لله، اكتبوا إلى عمر ﷺ.

ليست هذه أساطير، ولا أمنيات، ولا خيال، ولكنه الواقع، واقع الإخوة الأربعة، القدوة الفذة التي لم يكن الشباب مثل اليوم أشد حاجة لها في واقعه الذي صار بينه وبين المثل العليا، والقدوة الصالحة للإخوة الأشقاء، أمد بعيد، فانهضوا ولا تتأخروا، ولا تسوفوا، فالوقت هو الحياة، ولن تكون الحياة حياة حقيقية إلا وفي مقدمتها الشباب وصانعها الشباب، وحارسها الشباب، ومعقد الأمل البسام الشباب.

والله معكم أبنائي الأعزاء ولن يتركم أعمالكم.

أما قدوة النساء

فمنها الكثير:

ولنأخذ أولاهن في الفهم والبذل والثبات والوقوف بجانب الزوج.

السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ﷺ:

هي أول زوجات النبي ﷺ، ولها مواقف لا يدانيها فيها أحد، فمنها:

١- وقوفها بجانب النبي ﷺ تشد أزره وتهدئ من روعه، عندما نزل عليه جبريل ﷺ في غار حراء بأول آيات القرآن الكريم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق:١- ٣].

فعاد النبي ﷺ إلى بيته يرتجف ويقول:﴿**زملوني زملوني**﴾، وعندها تقول له زوجه الوفية: لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق.

٢- هي التي وقفت بجانب النبي ﷺ في شعب أبي طالب الذي حاصر الكفار المسلمين فيه، وقاطعوهم فأنفقت كل مالها، وكان كثيرًا، في إطعام المسلمين المحاصرين حتى نفد كل مالها.

٣- وهي التي نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ يقول له:﴿**الله تبارك وتعالى يقرئ خديجة السلام، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**﴾.

٤- وهي القائلة عند اشتداد المرض عليها وقرب نهايتها: يا رسول الله، كنت أرجو أن أعيش حتى أرى راية الإسلام خفاقة في العالمين .

٥- وهي التي لم يتزوج الرسول ﷺ غيرها حتى لقيت ربها وكان أشد ما يكون وفاؤه لها بعد موتها، حتى إنه كان يكرم صديقاتها إكرامًا لها.

أما الثانية فهي:

- **الصديقة بنت الصديق﴿عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها﴾**:

١- وهي التي لم يتزوج النبي ﷺ بكرًا غيرها.

٢- وكانت ذكية لماحة فقيهة عالمة بالفقه والدين حتى إن كبار الصحابة كانوا يسألونها عندما لا يجدون من يُفتيهم في مسألة من المسائل الفقهية وقد ألف الإمام الزركشي كتابًا سماه الإصابة فيما استدركته أمنا عائشة على الصحابة.

يقول عنها الكاتب الأديب عباس العقاد رحمه الله:

نحن لا نعتسف التوفيق والترتيب حين نقول عن عائشة بنت الصديق: إنها لوحظت في آداب العرب والإسلام كأنها الوجهة التي اتجهت إليها هذه الآداب في طريق الارتقاء والتهذيب.

٣- ومن قسمتها في الإسلام أنها ملكت حقوق المرأة المسلمة وتجاوزتها فملكت الحظوة التي يضيفها على نسائه نبي كريم ﷺ، يتجاوز الحقوق المفروضة صُعدًا في معارج الكمال، وكانت هي بعد هذا صاحبة

الحظوة الأولى بين هؤلاء النساء.

٤- وأعظم من ذلك شأن المرأة التي كتبت لها خلاصة الرعاية في دين من الأديان والتي اشتركت في سيرة النبي ﷺ المرسل بذلك الدين ونقلت أحاديثه في أحكام شريعته وخطرات ضميره ولقيت عنده الحظوة التي لم تلقها واحدة من النساء.

٥- وهي المرأة التي قال عنها النبي ﷺ: إنها أحب الناس إليه، وتلقى الأعقاب عنها مئات الأحاديث التي عرفوه بها في دينه ودنياه.

٦- والسيدة عائشة ﵂ مثل من أمثلة الأنوثة الخالدة في جميع أقوامها وجميع عصورها، وإنها ترينا النبي ﷺ في بيته فترينا الرجل الذي ارتفع بالنبوة إلى أعلى مراتب الإنسانية ولكنه مع هذا الرجل في بيته كما يكون الرجال بين النساء على سنة الفطرة المعهودة من آدم وحواء.

٧- ولم تنس قط أن تتحلى بما يروق النبي ﷺ من مرآها فكانت تلبس المعصفر والمضرج وتتحرى ما يعجبه من الطيب والحلية، ودخلت امرأة وهي معصفرة فسألتها عن الحناء فقالت: شجرة طيبة، وماء طهور، وسألتها عن الخفاف فقالت لها: إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتصنعيهما أحسن ما هما فافعلي.

وبهذه الوصية الذهبية من السيدة عائشة ﵂ نختم الحديث عنها ولو أننا لم نثبت كثيرًا من فضائلها وحسبنا ذلك والله ولي التوفيق.

- والثالثة: الخنساء بنت عمرو:

هي الشاعرة المشهورة صاحبة اللفظ والمنطق وربة الرأي والبيان وصاحبة الإحسان والإيمان وهي الوفية للأهل والمعروف.

قالت في أخيها صخر وفاء له من الشعر ما ملأ الأسماع وأعجب البلغاء، وكان أخوها صخر بها بارًا تقول في ذلك: زوجني أبي رجلاً مبذرًا، فأذهب ماله، فأتيت صخرًا فقسم ماله شطرين فأعطاني أفضلهما

ثم فعل زوجي بالمال مثل ما فعل به أولاً، فقسم أخي ماله شطرين مرة ثانية، فأعطاني خيرهما، فقالت له امرأته: أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها الخيار ؟ فقال لها صخر:

والله لا أمنحها شرارها وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت خرقت خمارها واتخذت من شعر صدارها

ولهذا لما قُتل ملأت عليه الدنيا شعرًا حتى سار به الركبان، ومن ذلك قولها فيه:

أيا صخر لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمس

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأبكيه لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها، فأسلمت معهم، فذكروا أن رسول الله ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها فيقول:﴿**هيه يا خنساء**﴾.

روى ابن الأثير: أن الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها فقالت لهم أول الليل: يا بني، إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل، في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها، وحللت نارًا على أرواقها، فيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا الغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فلما أصبحوا باشروا القتال واحدًا بعد واحد، حتى قتلوا جميعًا والتهمتهم المعركة في سبيل الله سبحانه وتعالى، ونصرة دينه وكل منهم يذكر وصية أمه فأنشد الأول:

يــا أخــوتي إنَّ العجــوز الناصــحة قــد نصــحتنا إذ دعتنــا البارحــة

بمقالـــةٍ ذات بيـــان واضـــحة فباكروا الحرب الضروس الكالحة

وتقدم الثاني فقاتل حتى قتل، ثم قال وهو يرتجز:

إن العجـــوز ذات حـــزم وجلـــد والنظـر الأوفـق والـرأي السـدد

قـــد أمرتنـــا بالســـداد والرشـــد نصـــيحة منهـــا وبـــرًّا بالولـــد

وقاتل حتى قُتل، وحمل الثالث وهو ينشد:

والله لا نعصي العجـــوز حرفًـــا نصـــحًا وبـــرًا صـــادقًا ولطفًـــا

فبادروا الحـرب الضـروس زحفًـا حتـــى تلفـــوا آل كســـرى لفًـــا

وقاتل أيضًا حتى استشهد وحمل الرابع وهو ينشد:

لســـنا لخنســـاء ولا للأحـــزم ولا لعمـــرو ذي الســـناء الأقـــدم

إن لم أرد في الجيش جيش الأعجـم ماضٍ على هـول خصـم خضـرم

إمـــا لفـــوز عاجـــل ومغـــنم أو لوفـــاةٍ في الســـبيل الأكـــرم

وتقدم فقاتل حتى الشهادة .

فلما بلغها خبر استشهادهم قالت: ما عن هذا أسأل، هل قتلوا من الأمام أم من الخلف ؟ أي: وهم يهجمون أم وهم يفرون ؟ فقال لها المبشر: كلا يا أماه، بل استشهدوا من الأمام، وهم يصارعون العدو.

فقالت قولتها المشهورة التي سطرها التاريخ بحروف من نور، قولة أم مؤمنة: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته [(١)].

رحم الله الشهداء، وأم الشهداء وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء ونكتفي بهذه الأمثلة في القدوة النسائية.

ثم نعود إلى القدوة في رجال حول الرسول ﷺ ومنهم:

عمر بن الخطاب ﷺ:

هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بعد الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ ولا يسعنا هنا أن نذكر قول فلان، وبحث فلان عن عمر بن الخطاب ولكن أولى ثم أولى أن نذكر قول الرسول ﷺ في عمر.

يقول عباس العقاد في كتابه﴿عبقرية عمر﴾:

﴿قد كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي أحد فعمر﴾ [(٢)].

ويقول ﷺ:**﴿لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب﴾** [(٣)].

وقوله ﷺ:**﴿إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه﴾** [(٤)].

وقوله ﷺ:**﴿عمر معي حيث أحب وأنا معه حيث يحب، والحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان﴾** [(٥)].

---

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (١٨٢٧/٤، ١٨٢٩)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٦١٤/٧- ٦١٦).

(٢) البخاري (٣٦٨٩).

(٣) البخاري (٣٤٨٦) .

(٤) أبو داود (٢٩٦١) وقال الألباني ضعيف الإسناد.

(٥) الطبراني في الأوسط (٢٦٢٩).

ومن الحكم التي رويت عن عمر ﷺ:

ففي الكتابة والقراءة قال:

﴿شر الكتابة المشق، وشر القراءة الهزرمة، وأجود الخط أبينه﴾.

ومنها في المشورة:

﴿الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة سراء لا يكاد ينتقض﴾.

ومنها:﴿إن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في الضلالة، فافهموا ما توعظون به، فإن الحريب من حُرب في دينه﴾، يريد المسلوب.

ومنها:﴿ثلاث من الفواقر: جار مقامه إن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها، وامرأة إن دخلت عليها لسنتك، وإن غبت عنها لم تأمنها، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك، وإن أسأت قتلك﴾، ولسنتك: أي تناولتك بلسانها.

حب الأبناء والعدل بينهم:

ورزق عمر الذرية من ذكور وإناث نجباء ونجيبات، فقرت عينه بهم؛ لأنه كان كأهل البادية كافة يستكثرون من الذرية ويوصي الناس أن يستكثروا منها وكانوا جميعًا عنده بمكان الحب والمودة لا يخشى الانحراف عن العدل من جانب كما يخشاه من جانب هذه الذرية أو جانب أهله على التعميم ويذكرهم:

﴿إن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم ويقسم لهم: لئن مثله أحد منكم لأضاعفن عليه العقوبة﴾.

ومن أمثلته في العدل مع أبنائه:

وهو قضاؤه في اتجار أبنائه بمال من بيت مال المسلمين وذاك أن ابنيه عبد الله وعبيد الله خرجا في جيش العراق فلما قفلا نزلا بالبصرة وذهبا إلى أبي موسى الأشعري وهو أميرها فقال لهما: لو أقدر على أمر

أنفعكما به ؟ ثم عرض عليهما أن يحملا إلى أبيهما مالاً من مال الله فيشتريا به متاعًا من العراق يبيعانه بالمدينة ثم يؤديان رأس المال ويكون لهما الربح فلما علم عمر ﷺ سألهما: أكل الجيش أسلفه ؟ ثم أمرهما أن يؤديا المال وربحه فسكت عبد الله وقال عبيد الله: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا، لو نقص هذا المال لضمناه، وقال رجل في المجلس: يا أمير المؤمنين، لو جعلته قراضًا ؟ فأخذ رأس المال ونصف ربحه وأخذا أبناءه نصف ربح المال.

عمر أمير المؤمنين يموت مدينًا:

وحدث ما توقعه عمر من مجيء أجله قبل سداد ديونه جميعًا، فلم يشغله الموت ولا شغلته كبار الخطوب التي يضطلع بتصريفها قبل موته أن يسأل عن ديونه، ويوصي بسدادها من ماله ومال أهله وقال لابنه:

إن وفى به - أي بالدين - مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فاسأل فيه بني عدي فإن لم تف أموالهم فاسأل قريشًا ولا تعدهم إلى غيرهم، وكان عبد الرحمن بن عوف حاضرًا فأشار عليه مقترحًا أن يستقرضها من بيت المال حتى يؤدي لم يقبل عمر ودعا ابنه عبد الله فقال: أضمنها فضمنها، ووفى بوعده، فلم يدفن أبوه حتى أشهد بها على نفسه أهل الشورى وعدة من الأنصار، وما انقضى أسبوع حتى حمل المال إلى عثمان وأحضر الشهود على البراءة بدفعه وقد بيعت لعمر دار في الدين وسميت زمنًا باسم﴿دار القضاء﴾، لأنها بيعت في قضاء دينه.

ولأن يموت عمر مدينًا وفي الدين لهو أعظم الشرفين وأيسر من ذلك شرفًا أن يموت غنيًا بغير دين، فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه الله فسيح جناته في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

خامس الخلفاء الراشدين: عمر بن عبد العزيز:

يجدر بنا أن نعلم عن حفيد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسميه وشبيهه في عدله وتقواه وزهده، وعودة دولة الإسلام إلى عهدها العمري الراشدي.

يقول عمر بن عبد العزيز لأمه ليلى التي تُكنى بأم عاصم:

تعرفين يا أماه، لأكونن مثل خالي عبد الله بن عمر.

وعبد الله بن عمر في منزلة جده؛ لأنه عم والدته ليلى.

كان ذلك وهو مع أمه بالمدينة المنورة يدرس على يد علمائها وفقهائها فقد كان على شبابه المبكر، محبًا للعلم والعلماء، ولا يجالس إلا الشيوخ يتعلم ويختزن الحكم والنصائح.

في سنه الخامسة والعشرين اختاره الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ليكون واليًا على المدينة المنورة وحاكمها.

ومن ثم بدأ أول ما بدأ، باختياره عشرة من أئمة العلم والورع والفضل في المدينة المنورة فجعلهم مجلس شوراه.

وهؤلاء العشرة هم: عبد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وعروة وأبو بكر بن خيثمة، والقاسم بن محمد بن حزم، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسالم بن عبد الله، وعبد الله بن عامر بن ربيعة.

وفي أول اجتماع له بهم قال لهم: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانًا لي على الحق، أناشدكم الله إن رأيتم عدوانًا أو باطلاً إلا أبلغتموني أمره وأرشدتموني إلى الحق.

وراح يجعل من ولايته مثالاً عاليًا واتسعت رقعة سلطانه فصار واليًا على الحجاز كله مكة والمدينة والطائف وما حولها.

ولكن القدر أراد أن يجعل من إمارته هذه تجربة للمهمة الجليلة العظيمة التي يدخرها له في غد يوم تنتهي إليه خلافة المسلمين وحكم الدولة المسلمة من أقصاها إلى أقصاها.

تروي زوجته فاطمة بنت عبد الملك هذه الواقعة:

دخلت عليه يومًا وهو جالس في مصلاه واضعًا خده على يده ودموعه تسيل فقلت له: ما بالك وفيم بكاؤك ؟

فقال: ويحك يا فاطمة، إني قد وليت أمر هذه الأمة ما وليت ففكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير والشيخ الكبير، والأرملة الوحيدة، وذي العيال الكثير والرزق القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة وأن خصمي دونهم يومئذٍ محمد ﷺ فخشيت ألا تثبت لي حجة فلذلك أبكي.

عبر عمر عن حاله أوضح تعبير خادم له رآه أمير المؤمنين يسحب برذونه﴿البغلة﴾ التي يركبها مشاكه: كيف حال الناس ؟ فيجيب الخادم: كل الناس في راحة إلا أنت، وأنا وهذا البرذون.

وحكت عنه عمته أم عمرو حين ألغى كل مخصصات بني أمية وهي منهم، وسلمت العمة ثم جلست وراحت تحملق بعينيها لا تكاد تصدق ما تراه.

لقد كان كل ما لديه من طعام: خبز جاف، وطبق عدس، وملح.

ودارت بها الأرض، أهذا هو عمر الذي كان يخوض في النعيم خوضًا ؟ الآن وهو الخليفة المطاع يصير هذا طعامه.

لقد عاد يومًا إلى داره بعد صلاة العشاء ولمح بناته الصغار فسلم عليهن كعادته، بدلاً من أن يسارعن نحوه بالتحية كعادتهن رحن يغطين أفواههن بأكفهن ويتبادرن الباب، فسأل: ما شأنهن ؟ فأجيب: بأنهن لم يكن

لديهن ما يتعشين به سوى عدس وبصل، فكرهن أن يشم من أفواههن ريح البصل فتحاشينه لهذا.

فبكى عمر أمير المؤمنين وقال يخاطبهن: يا بناتي، ما ينفعكن أن تعشين الألوان والأطايب ثم يذب بأبيكن إلى النار ؟

وترى إحدى بناته الصغار صديقة لها تزين أذنيها بلؤلؤتين جميلتين فترسل إلى أبيها ضارعة أن يشري لها مثلهما.

ويدعو أمير المؤمنين خادمه ويأمره أن يجيئ بجمرتين ملتهبتين ثم يطلب ابنته فيقول لها: إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنيك بلؤلؤتين كهذه.

إن مسؤولية القدوة إذن لا تنحصر فيه هو - الخليفة والحاكم - بل وحسب منهجه وتقديره - تنال أهله جميعًا حتى ينال بناته الصغيرات.

ويدخل عليه في داره أحد خاصته المقربين فيجده بركن تغطيه الشمس، وقد دثّر جسمه في إزاره، وحسبه الزائر مريضًا، فسأله: ما باله ؟ فأجاب أمير المؤمنين: لا شيء غير أني أنتظر ثيابي حتى تجف.

قال الزائر: وما ثيابك يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر: قميص ورداء وإزار.

قال صاحبه: ألا تتخذ قميصًا ورداء إزارًا ؟

قال الخليفة: كان لي ثم بليت.

قال الزائر: ألا تتخذ سواها ؟

وهنا شرقت كلماته بدموعه وراح يجهش بالبكاء مسندًا جبهته على راحتيه مرددًا آية من القرآن الكريم: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

دخل عليه ابنه عبد الملك وكان يومئذٍ يتجه نحو السابعة عشرة من عمره وقال: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين ؟

فقال: أي بُني، أريد أن أغفو قليلاً، فلم يبق في جسدي طاقة.

فقال عبد الملك لأبيه: أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين ؟

فقال: أي بُني، إذا حان الظهر صليت في الناس ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله.

فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين، ومن لك بأن تعيش إلى الظهر ؟

فألهبت هذه الكلمة عزيمة عمر وأطارت النوم من عينيه، وبعثت القوة والعزم في جسده المتعب وقال: ادن مني أي بني، فدنا منه فضمه إليه وقبله ما بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني.

ثم قام وأصر أن ينادي في الناس: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها.

وبلغه أن أحد أولاده اتخذ خاتمًا واشترى له فصًا بألف درهم فكتب إليه: أما بعد، فقد بلغني أنك اشتريت فصًا بألف درهم، فبعه وأشبع به ألف جائع، واتخذ خاتمًا من حديد، واكتب عليه﴿رحم الله امرأ عرف قدر نفسه﴾.

ومرض ابنه عبد الملك وجزعت فاطمة أمه أشد الجزع، أما أبوه فلم يجزع، لقد علمته الأيام أنه لا يملك له شيئًا، وأن قضاء الله نافذ وراح يعود ابنه فيجد نور عينيه ينطفي فيستشعر ألمًا، إنَّ عبد الملك يموت أمام عينيه فيحزن ولا يجد في حزنه مأثمًا، فرسول الله ﷺ بكى لموت ابنه إبراهيم ولم يتحرك لسانه بما يغضب الله وفاضت روح عبد الملك وهو بين ذراعيه فسالت دموعه على خديه حتى بللت لحيته وبكت فاطمة وبكى كل من في الدار.

وجاؤوا إليه يعزونه فقال: أمر رضيه الله فلا أكرهه.

أما عن خاتمته:

فقد كان عمر بخناصرة من دير سمعان بين حماة وحلب، فلما ذاع خبر مرضه هرع إليه أصحابه وجاء رجاء بن حيوة يعود الخليفة العادل فألقاه وهو في مرضه مشغولاً بأمور المسلمين إنه يكتب إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص.

إن الشائعات قد انتشرت في أرجاء البلاد تقول: إن بني أمية قد دسوا السم للخليفة العادل وقد سمع رجاء تلك الشائعات، ثم قال لعمر المريض: إنك مسموم، فقال عمر في هدوء: لقد علمت يوم سقيت السم، تدارك نفسك.

راح عمر يوصي رجاء بن حيوة أن يغسله ويكفنه وأخذ رجاء ينظر إلى الرجل الأسمر النحيل المسجى في إشفاق ولم يكن إشفاقه على الرجل الذي لم يبلغ من العمر الأربعين بعد، وحسب بل كان إشفاقه على الأمة التي ذاقت طعم الحق وستفقده من بعده، واستدعى عمر بن عبد العزيز مولاه الذي سقاه السم فقال له: ويحك ما حملك على ما صنعت ؟ ألف دينارًا أعطيتها، هاتها.

فذهب مولاه وأحضر الدنانير فأخذها عمر فوضعها في بيت المال ثم قال لمولاه الخائن: اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك.

ودخل عليه سلمة بن عبد الملك ابن عمه فرأى الموت في وجه أمير المؤمنين فقال: هؤلاء بنوك ألا توصي لهم بشيء، فإنهم فقراء، قال عمر: إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، والله لا أعطهم حق أحد وهم بين رجلين: إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه.

وأحس شوقًا إلى رؤية بنيه فأمر أن يدعوهم فجاؤوا كانوا اثني عشر ذكرًا فنظر إليهم فذرفت عيناه، ثم راح يوصي أبناءه ويودعهم فيقول: يا بني، إن أباكم خير بين أمرين: أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو أن تفتقروا ويدخل الجنة، فاختار الجنة، وآثر أن يترككم لله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم.

وجاء صوته وأهب يقول: أجلسوني فخفوا إليه وأجلسوه، فقال: إلهي أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ثم رددها ثلاث مرات، وقال: ولكن لا إله إلا الله.

وإذ بصوت عمر بن عبد العزيز يسري في جنبات المكان كأنه آتٍ من بعيد: اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك حتى لا أحب لما عجلت تأخيرًا، ولما لما أخرت تعجيلاً، ثم قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا وجلس مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة فسمعوه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

وهدأ الصوت وساد المكان سكون مريب فدخلت فاطمة عليه، فندت منها صرخة مدوية مفجوعة فوجدته قد مات.

رحمك الله يا عمر، يا خامس الخلفاء الراشدين المهديين.

لقد عدت كما يعود المسافر إلى وطنه وآب إلى داره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

رحمك الله رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته.

* * *

الفصل السادس

الأســوة الحسنـة

الأسوة الحسنة

من لدن آدم وحتى قيام الساعة يبرزها في الواقع، ويؤكدها بنفسه وحياته قولاً وعملاً وسلوكًا، ونية محمد ﷺ، ابنًا، وزوجًا، وأبًا، وصديقًا، وجارًا، حتى لا يكون هناك حجة أو عذر لمقصر أو مفرط في أي شأن من شؤون الحياة.

محمد ﷺ الزوج:

ماذا صنع محمد ؟ وماذا صنعت رسالة محمد ؟

هكذا يصدر عباس العقاد هذا الفصل بهذا التساؤل.

والبيان عن المثالية والقدوة الصالحة في الرسول ﷺ كزوج، يوجب البيان عن المرأة والزوجية بجانبه، يقول العقاد رحمه الله: حكم واحد من أحكام القرآن الكريم أعطى المرأة من الحقوق كفاءة ما فرض عليها: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة:٢٢٨]، وحكم آخر من أحكامه العالية، أمر المسلم بإحسان معاشرتها ولو مكروهة غير ذات حظوة عند زوجها: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:١٨٩].

وأباح لها الدين في الجهاد أن تكسب كما يكسب الرجل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء:٣٢]، ولم يفضل الرجل عليها إلا بما كلفه من واجب كفالتها وإقامة أودها، والسهر عليها، أما محمد ﷺ فقد جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم، حيث قال:﴿**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخيارهم لنسائهم**﴾ [(١)]، وفي رواية:﴿**ألطفهم بأهله بمداراة ضعفها ونقصها**﴾، لأن﴿المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقه فإن استمتعت بها استمتعت وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها﴾.

(١) أبو داود (٤٦٨٢)، وقال الألباني: حسن صحيح.

وأوجب على الرجل أن يتجمل لا امرأته ويبدو لها في المنظر الذي يروقها فقال ﷺ في هذا المعنى:﴿**اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا**﴾، أي: استعملوا السواك﴿**وتزينوا وتنظفوا فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم**﴾ (١).

وأوجب ﷺ الرجل إذا خطب المرأة أن يظهرها على عيبه إن كان به عيب مستور:﴿**إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها أنه يخضب**﴾(٢)، أي: يصبغ شعره بالسواد، وبلغ من رعاية شعورها ومداراة خجلها الذي فطرت عليه أنه أوجب على الرجل أن يمتعها كما تمتعه؛ لأنها لا تطلب لنفسها إلا ما يطلبه الرجل منها فقال ما معناه:﴿**فإن جامع أحدكم أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها**﴾ (٣).

وكان تأديبه المسلمين في هذه الصلة غاية في الكياسة والرفق فقال ما معناه:﴿**إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة، الكيس، الكيس في استعمال النساء**﴾ (٤).

وما أوجبه ﷺ على المسلمين عامة في معاملاتهم لزوجاتهم وهو دون ما أوجبه على نفسه في معاملة زوجاتهم بكثير وهاك طرف من معاملته لزوجاته رضي الله عنهن:

- كان يشفق أن يرينه غير باسم في وجوههن ويزورهن جميعًا في الصباح والمساء، وإذا خلا بهن﴿كان ألين الناس ضاحكًا بسامًا﴾، كما قالت أمنا عائشة ﵂.

(١) أخرجه ابن عساكر (٣٦ / ١٢٤)، والذهبي في السير (١٨/ ٢٥٩).
(٢) السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٩١).
(٣) إرواء الغليل للألباني (٧/ ٧٧)، وقال: ضعيف.
(٤) البخاري (٥٠٧٩)، (٥٢٤٥)، (٥٢٤٦).

- ولم يجعل من هيبة النبوة سدًا رادعًا بينه وبين نسائه بل أنسهن برفقه وإيناسه أنهن يخاطبن رسول الله ﷺ في بعض الأحايين، فكانت منهن من تقول له أمام أبيها: تكلم ولا تقل إلا حقًا، وكانت هذه العبارة من السيدة عائشة حين نشأ بينها وبين النبي ﷺ خلاف، فقال لها:﴿**من ترضين حكمًا بيننا؟ أترضين أبا بكر؟**﴾، قالت: نعم، فلما قالت ما قالت، لم يطق أبو بكر ذلك الخروج من ابنته فلطمها وقال: من من الخلق أجمعين يقول الحق غير رسول الله ﷺ ؟ ولما سال الدم منها من أثر اللطمة قام ﷺ وغسل آثار الدم وضمد مكانه وقال لأبي بكر:﴿**ما لهذا دعوناك**﴾. ومنهن من كانت تراجعه أو تغاضبه سحابة نهارها.

- وكان ﷺ يتولى خدمة البيت معهن، فيحلب شاته، ويخصف نعله، ويقم البيت﴿أي: ينظفه من القمامة﴾، وقال في هذا المعنى:﴿**خدمتك زوجتك صدقة**﴾ (١).

سماحة الكريم:

ولقد علمنا من رواية السيدة عائشة ﵂ كما علمنا من روايات شتى أن عبد الله بن أبي ابن سلول كان أكبر اللاغطين بحديث الإفك عن سوء نية وكيد مبيت للنبي ﷺ وللإسلام، وكان هذا الرجل بغيضًا إلى المسلمين متهمًا عندهم يتوجسون منه ويسمونه رأس المنافقين، ولا يكفون عن طلب دمه، واستئذان النبي ﷺ في قتله، فما ضر النبي ﷺ لو خلى بين المسلمين وبينه يحاسبونه على فريته في حديث الإفك المعروف، والذي ورد تفصيله في سورة النور ثم يحاسبونه على كيده وينتقمون لعرض النبي ﷺ منه ليأمنوا شره ويجعلوه عبرة لغيره ؟ وإذا قيل: إن عبد الله بن أبي كان من أصحاب العصبية التي يحسب حسابها وتتقي بوادرها فماذا يقال في مسطح وهو مكفول أبي بكر ﵁ الذي كان يأكل من مال أبي بكر ؟ ما الذي أنجاه من السخط والعقاب وكفل له دوام البر والمعونة لولا

(١) كنز العمال (٢٣/ ٤١).

سماحة النبي ﷺ وسماحة أبي بكر ﷺ وسماحة القرآن الكريم ؟

فهي السماحة التي شملت مسطحًا كما شملت كبير المنافقين وخرجت من حديث الإفك كله بالعفو عن جميع المسيئين مخلصين في الرأي وغير مخلصين.

وهذه السماحة هي التي سبرت غورًا في قصة هذا الحديث فتكشفت عن أطيب معاملة للزوجات في أحرج الحالات وتلك هي المعاملة في مثلها الأعلى معاملة لا تتبدل بعد أيام وشهور تطوي مدى الستين وتطول مع السنين مع نساء مختلفات لا مع امرأة واحدة وتطول في جميع الحالات، ومنها حالة الألم البالغ، ولا تنحصر في حالة الرضا والطمأنينة، وأقل من ذلك أمنية يتمناها الحالمون بالوءام بين الأزواج في العصر الذي وصفوه بعصر المرأة وحقوق المرأة لفرط ما أطنب فيه المطنبون من إكبار شأنها والدعوة إلى إنصافها.

والنبي ﷺ لم يطلق زوجة من زوجاته دخل بها وعاشرها ولم يضرب قط واحدة منهن، ولم يرد عنه قط أنه ضرب أو نهر خادمًا، فضلاً عن زوجه، بل روي عنه ما ينفي ذلك ممن عاشروه ولازموه.

بل كان النبي ﷺ يكره ضرب النساء ويعيبه كما قال:﴿**أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد ؟ يضربها أول النهار ثم يجامعها آخره**﴾ [(١)].

أربعون سنة في الحياة الزوجية يُجملها الصفاء ويحرسها الولاء:

إن حارت الأدلة في قوام تلك الحياة الزوجية المثالية القدوة، فالدليل الذي لا يُحار أن ينقضي نحو أربعين سنة عليها وهي على ذلك الصفاء والولاء الذي لم يُعرف مثله في علاقات الرجال والنساء، هذه حياة زوجية لا تقوم على الحس والمتعة، ولن تدوم ذلك الدوام لو كان لها قوم

(١) البيهقي في السنن الكبرى (٧٧/ ١٥) .

غير مودة القلوب وراحة النفوس وحب الخير ومبادلة العطف والتعظيم.

محمد ﷺ الأب:

أي أبوة إنسانية تغني عن أبوة اللحم والدم كما تغني أبوة النبي ﷺ الذي تكفل بتربية الأرواح في أمته وفي أمم لا يلقاها في زمانه وأمم لا تزال تستجد بعد زمانه إلى آخر الزمان.

نذكر هذا حين نذكر حظ النبي ﷺ من الأبوة الروحية ومن الأبوة النوعية، ونرى تكافوءًا في الجانبين جديرًا بالملاحظة والاعتبار ألا ما أثقل ثمن الإصلاح.

فمحمد الأب كان أصلح الآباء ثم فجع بنيه فجيعة لا يداري فيها ألم الإنسان إلا صبر الأنبياء.

ومن الناس من لا يكون صديقًا صالحًا ولا سيدًا صالحًا ولا زوجًا صالحًا ولكنه أب صالح بَرٌّ ببنيه.

لأن الرحم بين الآباء والأبناء أوفى الرحم إلى المودة وأحراها بتحريك الشفقة فيمن لا يشفق على أحد.

فيكف تكون الأبوة في نفس صلحت للصداقة وصلحت للسيادة وصلحت للزوجية لأنها تصلح للعطف الذي يعم القريب والغريب ويشمل القوي والضعيف ؟ ذلك أب نعلم كيف يفرح بأبنائه.

ونعلم كيف يحزن حين يُفجع في أولئك الأبناء.

ومن الراجح أن العنف الأبوي لم يتمثل قط في مولد أحد من أبناء محمد ﷺ كما تمثل في مولد ابنه الذي سماه جده الأكبر﴿إبراهيم عليه السلام﴾ ، ولعل العطف الأبوي قد تمثل في تشييع هذا الطفل الصغير أشد من تمثله في استقباله يوم ميلاده.

ومحمد ﷺ يحب التكاثر ويحبه لأمته ويوصي المسلمين أن يستكثروا من النسل ما استطاعوا ليفاخر بهم الأمم وفرة وعزة، فاشتياقه إلى العقب

من الذكور خليقة عربية تقترن بالخليقة الإنسانية والخليقة النبوية.

وفضل النبي ﷺ في نبوته وفي أبوته أن حزن وبكى وتلك هي الصلة بينه وبين القلب الإنساني وبينه وبين الناس وأي نبي تنقطع بينه وبين القلب الإنساني صلة كهذه الصلة التي تجمع أشتات القلوب ؟

روى أسامة بن زيد ﷺ أن زينب بنت النبي ﷺ أرسلت إليه، إن ابنتي قد حضرت فاشهدنا، فأرسل إليها ﷺ يقول:﴿**إن لله ما أخذ وما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلنحتسب ولنصبر**﴾، فأرسلت تقسم عليه، فقام النبي ﷺ وقمنا فرفع الصبي في حجر النبي ﷺ ونفسه تقعقع﴿أي: تخرج﴾، ففاضت عينا النبي ﷺ فقال له سعد بن معاذ: ما هذا يا رسول الله ؟ قال:﴿**هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء**﴾ [(١)].

وبمقدار هذا الفرح الطهور يوم استقبال إبراهيم ابنه يوم ميلاده كان الحزن الوجيع يوم الوداع.

خرج النبي ﷺ الذي اضطلع بأعباء الدنيا ومن فيها وهو لا يضطلع يحمل قدميه، خرج يتوكأ على بعض أصحابه إلى حيث يحمل الوليد آخر مرة، في حجره الأبوي قبل أن يودعه التراب وكان يستقبل الجبل بوجهه فقال:﴿**يا جبل لو كان بك مثل ما بي لهدك ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون**ـــ، وصرخ أسامة حين بكى رسول الله ﷺ فنهاه الرسول ﷺ وقال:♂**البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان**﴾ [(٢)].

وكسفت الشمس يوم موت إبراهيم فظن المسلمون أنها انكسفت لموته فقال ﷺ:﴿**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته**﴾ [(٣)].

---

(١) البخاري (٥٦٥٥)، (٥٣٣١).
(٢) ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٣٨)، وقال الألباني: ضعيف.
(٣) البخاري (١٠٤٢)، ومسلم (٩٠١).

أكرم الآباء:

أو كان من الحتم أن يكون محمد مثال الآباء كان مثال الأنبياء ؟

كذلك شاء القدر القادر وكذلك رأينا مثال الأب يوم ولد له إبراهيم ومثال الأب يوم ذهب إبراهيم.

ما يتمنى طفل - لو جاز أن يتمنى الأطفال - أبوه أرحم ولا أزكى من هذه الأبوة في الحالتين بل كان محمد مثال الأب كان له نسل قريب أو بعيد وذكر أو أنثى، وصغير أو كبير، أرأيت إلى الحسن بن فاطمة وقد دخل عليه فركب ظهره وهو ساجد في صلاته ؟ إن النبي ﷺ في صلاته لهو النبي في مقامه الأسنى، وإن النبي في مقامه الأسنى ليشفق أن يشغل الصبي عن لعبه فيطل السجود حتى ينزل الصبي عن ظهره غير معجل ويسأل بعض أصحابه لقد أطلت سجودك ؟ فيقول:﴿**إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله**﴾ (١).

أرأيت إلى فاطمة تدخل البيت أشبه الناس بمشية أبيها ﷺ ؟

أرأيت أي حنان يفيض على القلب كحنانه ﷺ حين ترى فتاة تشبه أباها في مشيته وسمته ؟

تلك فاطمة بقية الباقيات من الأبناء والبنات مختصها النبي ﷺ بمناجاته في عشية وفاته، إني مفارق الدنيا فتبكي، إنك لاحقة بي فتضحك، في هذا الضحك وفي ذلك البكاء برزخ الفراق بين الدنيا والآخرة، أخلص الود والحنان بين الآباء والأبناء.

سرها بنبوته وسرها بأبوته فضحكت ساعة الفراق ساعة الوعد باللقاء وكذلك فارق الدنيا أكرم الأنبياء وأكرم الآباء.

محمد ﷺ الصديق عطوف ودود:

إن كان الرجل محبًا للناس، أهلاً لحبهم إياه، فقد تمت له أداة الصداقة

(١) النسائي (١١٤١)، وقال الألباني صحيح .

من طرفيها وإنما تتم له الصداقة بمقدار ما رزق من سعة العاطفة الإنسانية ومن سلامة الذوق ومتانة الخلق وطبيعة الوفاء.

كذلك تتم الصداقة بالعاطفة الحية والذوق السليم والخلق المتين وقد كان النبي ﷺ في هذه الخصال جميعًا عاليًا بين صفوة الخلق.

كان صبيًا في الثانية عشرة من عمره يوم سافر عمه أبو طالب فتعلق به حتى شفق العم أن يتركه وحده فاصطحبه في سفره.

وكان شيخًا قارب الستين يوم بكى على قبر أمه بكاء من لا ينسى وهو لا ينسى وصيته في آخر كلماتها عند الانتهاء من الأجل تقول له: يا محمد كن رجلاً، ولذلك روى البيهقي بسنده عن رسول الله ﷺ قال:﴿**لو كنت في صلاة العشاء وكبرت وقرأت بسورة الحمد وسمعتها تنادي: يا محمد، لقلت لها: لبيك**﴾، أو كما قال ﷺ.

فما أروع وأعظم تكريمًا وإعزازًا واعترافًا بحق الأم من هذا القول الكريم، وليس في سجل المودة الإنسانية أجمل ولا أكرم من حنانه على مرضعته حليمة ومن حفاوته بها وقد جاوز الأربعين فيلقاها هاتفًا بها:﴿**أمي أمي**﴾، ويفرش لها رداءه ويمس ثدييها بيده الشريفة كأنه يذكر ما لذلك الثدي عليه من جميل ويعطيها من الإبل والشاة ما يغنيها في السنة الجدعاء.

واهتم بحاضنته﴿أم أيمن﴾ في طفولته، واهتم بأن تنعم بالحياة الزوجية، ما يشغل الأب من أمر بناته ورحمته، فقال لأصحابه:﴿**من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن**﴾ [1]، وما زال يناديها:﴿**يا أمه يا أمه**﴾، كلما رآها وتحدث إليها.

---

(١) ضعيف الجامع (٣/٤٣٥).

وقال أنس: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف قط، ولا قال لي لشيء صنعته: لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟ وكان إذا ودع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدعُ يده.

ومع هذا كله أمانة يثق بها العدو فما بال الصديق ؟ وحسبك من ثقة الناس به ما أودعوه من أمانات وهم يناصبونه العداء، فلم يخرج للهجرة وهو مهدد في سرية حتى رد الأمانات إلى أهلها واشتهاره بتلك الصفة حتى سمي بالصادق الأمين ﷺ.

كل هذه المزايا النفسية - بل بعض هذه المزايا النفسية - خليق أن يتم لصاحبها أداة الصداقة أو في تمام فلم يعرف في تاريخ العظمة - لا بين الأنبياء ولا غير الأنبياء إنسان ظفر بنخبة من الصداقات على اختلاف الأقدار والبيئات والأمزجة، والأجناس كالتي ظفر بها محمد ﷺ ولم يعرف عن إنسان أنه أحيط من قلوب الضعفاء والأقوياء بما يشبه الحب الذي أحيط به هذا القلب الكبير.

ضعف مولاه ثوبان ونحل جسمه وألح عليه الحزن في ليله ونهاره، فلما سأله السيد العطوف ﷺ يستفسره على حزنه ونحوله قال في طهارة الأبرار: إني إذا لم أرك اشتقتك واستوحشتك وحشة عظيمة فذكرت الآخرة حيث
لا أراك هناك لأني إذا دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك ورويت هذه القصة في أسباب نزول الآية الكريمة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩].

وأدرك الموت بلالاً ﷺ فأحاط أهله به يصيحون: واكرباه، وهو يجيبهم: وا طرباه، غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه.

تلك هي بلا ريب عظمة العظمات ومعجزة الإعجاز في باب الصدقات وما استحقها محمد ﷺ إلا بنفس غنيت بالحب وخلصت له حتى أعطت

كل محبة لها كفاءة له ما يعطيها مودة بمودة وصفاء بصفاء وعليها المزيد من فضل التفاوت في الأقدار.

ولقد كان صاحب الفضل على أصفيائه جميعًا بما هداهم إليه من نور العقل ونور البصيرة، وهما أشرف من نور البصر الذي يشترك فيه جميع العجماوات.

ونور العقل ونور البصيرة نعمتان يختص بهما الإنسان ومع هذا كان يذكر فضلهم ويشيد بذكرهم كما قال عن أبي بكر: **﴿ما أحد أعظم عندي يدًا من أبي بكر، واساني بنفسه وماله، وأنكحني ابنته﴾** [١].

وكما قال عن أبي بكر وعمر: **﴿أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر﴾** [٢].

وكما قال عن علي كرم الله وجهه: **﴿علي أخي في الدنيا والآخرة﴾** [٣].

وكما قال عن بعض أصحابه: **﴿إن الله تعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم علي منهم وأبو ذر والمقداد وسلمان﴾** [٤].

وكما قال عن الأنصار جميعًا وهو في مرض الموت: **﴿استوصوا بالأنصار خيرًا إنهم عيبتي التي أويت إليهم فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم﴾**[٥].

جيء بأحد الستة الذين قتلتهم قبيلة هذيل غدرًا بينما هم الذين طلبوهم ليعلموهم القرآن وأحد الستة هو زيد بن الدثنة أسير ليباع فاشتراه صفوان ابن أمية ليقتله بأبيه ونصب للقتل فسأله أبو سفيان وكان لم يسلم بعد قائلاً

---

(١) الطبراني في الأوسط (٥٠٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٤٢): ضعيف .

(٢) أبو نعيم في المعرفة (٢/ ٨٨٦، رقم ٢٢٩٤)، وابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٤٠١)، وضعفه .

(٣) ضعيف الجامع (٣/ ٣٠٩).

(٤) الترمذي (٨/ ٣٧)، وقال الألباني ضعيف .

(٥) البخاري (١٣٩٢)، (٣٦٢٨)، ومسلم (٢٥١٠).

باستهزاء: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا في مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك ؟

فأجابه زيد: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي.

فصاح أبو سفيان دهشًا: ما رأيت من الناس أحدًا يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمدًا.

من فعلة كهذه نعلم مدى ما استحقه محمد من حب الأصدقاء ومدى ما استحقه أعداؤه من جزاء فقد أحب أصدقاؤه وأحبوه لأنه طبع على الصداقة أما أعداؤه فقد لقوا جزاءهم لأنهم طبعوا على العداء والاعتداء.

وبذلك نختم الصداقة النبوية والخلق النبوي الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، بخير صديق لكل الناس، من اتبعوه ومن خالفوه، بل ولكل خلق الله حتى العجماوات نالها قسط كبير من حبه ورعايته ﷺ، ولذلك كان خاتم الأنبياء وصفوة الخلق وسيد ولد آدم ولا فخر كما عبر عن نفسه وله، دون جميع الأنبياء والخلق أجمعين.

منزلة لا يبلغها أحد غيره والتي ندعو بها دائمًا له: اللهم أعط محمدًا الوسيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واحشرنا تحت لوائه متبعين لا مبتدعين. اللهم آمين آمين.

* * *

بيان وختام

إن الذي قصدته من ختام موضوع هذا الكتاب الحاجة الملحة للقدوة الصالحة في الأسرة بخير ختام بذلك الطود العظيم وذلك المجد الأثيل وتلك العظمة في كل شأن من شؤون الحياة، أقول: ما قصدت بذلك إلا أن هذه القدوة الحسنة التي ذكرها تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، إلا لأن كل ما ذكرناه قبلها من حسن الأسوة في الأسر وفي الرجال والنساء، الجميع وصل إلى هذه القدوة لاقتدائه بهذه الأسوة الحسنة التي من الله علينا بأن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، هذا هو القصد الأول.

أما القصد الثاني: فتلكون هذه الأسوة حافزًا للاقتداء الفعلي في واقع الحياة وصولاً إلى تقديم الدليل على حب الله ورسوله.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولقول الرسول ﷺ: **﴿لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به﴾**(١).

ويقول النبي الكريم ﷺ: **﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين﴾** (٢).

وما ورد من الحديث الذي دار بينه ﷺ وبين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روي أنه كان يسير مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر فقال عمر: والله يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي،

(١) البيهقي في المدخل (١/ ١٨٨ (٢٠٩)، والخطيب في تاريخه (٢١١٦).
(٢) البخاري (١٥)، (١٨٦٧)، (١٨٧٠)، ومسلم (٤٤).

فقال ﷺ: ﴿**لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك**﴾، فقال سيدنا عمر: والله يا رسول الله لأنت الآن أحب إليَّ من نفسي، فقال ﷺ: ﴿**الآن يا عمر**﴾، يعني: الآن أنت مؤمن.

وعلامة الحب والاتباع:

فاجتهدوا - رحمكم الله - في أن يكون حبكم لرسول الله ﷺ مصحوبًا بالدليل وهو حسن اتباعه ﷺ.

ورجائي ألا تكون مادة الكتاب حين ييسر الله جلَّ وعلا أن يطلع عليها من باب تثقيف الفكر أو حب الأدب أو زيادة المعلومات أو أي شيء آخر غير ما بينت وهو إظهار القدوة الصالحة عمليًا في واقع الحياة في الأسرة والآباء والأمهات، والأبناء من النوعين ذكرًا كان أو أنثى فالكل مطالب بالاقتداء به ﷺ.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾. [هود:٨٨]

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله أولاً وأخيرًا وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه

كتبه الفقير إلى عفو ربه

فضيلة الشيخ: أحمد عبد الرحمن السعدني

فهرس الموضوعات

* * *